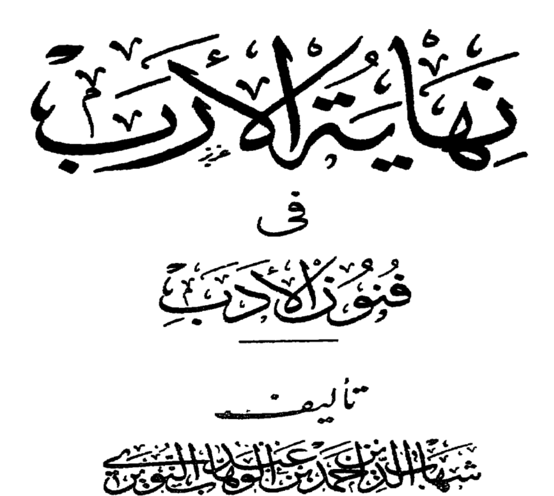
دار الكتب المصرية



السفر الثانى

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م

فهرس

السّفر الثانى

من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب

للنويرى

الفن الثانى

فى الإنسان وما يتعلق به . ...

القسم الأول

فى آشتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، ووصفه، والتشبيه...

والغزل، والنسيب، والهوى، والمحبة، والعشق، والأنساب.

وفيه أربعة أبواب

الباب الأول :

صحيفة

البـاب الثـانى :

صحيفة

صحيفة

الباب الثالث :

صحيفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن الثانى

فى الإنسان وما يتعلق به

وهذا الفن قد اشتمل على معانٍ مؤنسة للسامع، مشنِّفة للسامع، مرصِّعة لصدور الطروس والدفاتر، جاذبةٍ لنوافر القلوب والخواطر، واضحةِ البيان، معربة عن وصف الإنسان .

فمن تشبيهاتٍ فائقه، وغَزَلِيَّات رائقه، وأنسابٍ طاهره، ووقائعَ ظاهره، وأمثالٍ امتدّت أطنابها، وتبينتْ أسبابُها، وأوابدَ جعلتها العرب لها عادةً ودليلا، واتخذتها ضَلَالة وتبديلا، ونصبتها أحكاما ونُسُكا، وصيرتها عبادة ومُداواة فتبوّأت بها من النار دَرَكا، وشيء من أخبار الكُهّان، وزَجْر عَبَدة الأوثان، وكناياتٍ نَقَلت الألفاظ إلى معانٍ أبهى من معانيها، وبلّغت النفوسُ بعُذُوبتها غاية أمانيها، وألغازٍ غوّرَتْ بالمعانى وأنجدَتْ، وأشارتْ إليها بالتأويل حتّى إذا قرّبتها من الأفهام أبعدَتْ، ومدائحَ رفعتْ للممدوح من الفضل مَنَارا، وأهاجِىَ صيّرت المهجُوَّ من القوم يتوارى، ومُجُون ترتاح إليها عند خلوتها النفوس، ويبتسم عند سماعها ذو الوجهِ العَبُوس، وشيءٍ مما قيل فى الخمر والمُعاقره، وأرباب الطَّرَب وذوى المسامره، وتهانٍ نَشَرتْ من البشائر مُلَاء، ورفعتْ من المحامد لِوَاء، وتعازٍ حسرتْ نقاب الحسَرات، وأبرزتْ مَصُون العَبَرات .

وأوردتُ فيه نبذةً من الزهد والإنابه، وجملةً من الدعَوات المستجابه .

وطرّزتُه بذكر ملِك ، مدّ رِوَاق العدل ، ونشر لِواء الفضل؛ وقام بفُروض الجهاد وسُنَنه، وأراع العدُوّ فى حالتى يقظته ووَسَنه؛ وعمّ الأولياء بمواصـلة بِرّه وموالاة نَواله ، وقهر الأعداء بمراسلة سِهامه ومناضلة نِصاله؛ وشَمِل رعاياه بعدله وجُوده، واردف سَراياه بجيوشه وجُنُوده؛ فهو الملك الذى جَمَع بين شِدّة البأس، ولين النَّدى، وأزال مَرَارة الإياس، بحلاوة العطا .

وما يحتاج إليه لإقامة المملكة : من نائبٍ ناهيك به من نائب ! ، يكُفُّ بعزمه كَفَّ الحوادث ويفُلُّ بحَزْمه ناب النوائب؛ ويُنْصِف الضعيف من القوىّ ، ويفرّق ببديهته بين المُرِيب والبرىّ؛ ويتفقد أحوال الجيوش ويصْرِف همته إليهم ، ويجعل ٱهتمامه بهم وفكرتَهُ فيهم وتعويلَهُ عليهم؛ إلى غير ذلك من ٱستكمال عَدَدها ، والمطالبة بعَرْض خيولهـا وإصلاح عُدَدها ؛ وسَدِّ ثغور الممـالك ، وضبط الطرق وتسهيل المسالك؛ وقَمْع المفسدين ، وإرغام المُلْحِدين؛ وبث السَّرايا ، وتيسير الأرزاق والعطايا . ووزيرٍ يشـيِّد قواعد ملكه بحسن تدبيره وجميل سَدَاده ، ويُعْمِل فكره فيما يستقر بسببه نِظامُ الملك على مِهاده ؛ ويأمر بتحصـيل الأموال من جهـات حِلّها ، ويقرّ مناصب الدّولة الشريفة فى الكُفَاة من أهلها ؛ ويتصـفَّح الأقاليم والمعاملاتِ والأعمـال ، ويستكفِى لمباشرتها أمناءَ النظّار ومحقِّق المستوفين وكُفَاةَ العمال .

وقائد جيوش إن ٱنتدبه للقاء عدوّ بَدَر الكتائب ، وأنهل من دمائهم السُّمْر العوالى وعلا هامهم بالبيض الفواضب؛ تتبعه عساكر تَنْفِر قلوبهم عن الفِرار ، ويُحِلُّوا مَنْ قاتلهم من أعداء الله دارَ البَوَار؛ يدَّرِعون السابِرِيَّة[1] الذوائل ، ويعتقلون السَّمْهرية الذَّوابل؛

(١) هى دروع دقيقة النسج فى إحكام ، والذوائل جمع ذائلة وهى الطويلة "قاموس" .

ويتقلدون المَشْرَفية البواتر، ويتنكّبون القِسِيّ النواتر،(١) ويمتطُون من كل جواد صَفَا منـه أديمُه وعيناه وحوافره، واتسع منه جوفُه وجبهته ومَنَاخره ؛ وطال منـه أنفه وعنقه وذراعه، وقَصُر منـه ظهره وساقه وعَسِيبه وامتدّ عند الحُضْر باعه : فهو من أكرم الأصائل، والمعنيّ بقول القائل :

٥ وَقَدْ أغتدِى قَبْلَ ضَوْء الصَّباحِ * ووِرْدِ القَطَا فى الغُطَاطِ الحَثَاث .

بصافِى الثّلاث عريضِ الثلاث * قصيرِ الثلاث طويلِ الثّـلاث .

وذكرتُ ماورد فى فضـل الرباط والجهـاد، وما أعدّ اللهُ تعالى من الثواب لمن أنفق فيه الطّوارف والتِّلاد؛ وبذل الكريمين : (النفسَ والمـال) لحسن المآل؛ وهجر الحبيبين : (الوطنَ والعيال) لبلوغ الآمال .

١٠ ومِن قاضٍ يحكُم بين الناس بالعدل ، ويقدّم ذوى النباهة والفضل .

ومتولّى مظالمَ يردّها على أهلها بقهره وسلطانه، وسطوته وأعوانه .

وناظرِ حِسْبة يُجرِى الأمور على قواعدها الشرعيـة ، وأوضاعها العُرفية وقوانينها المَرْضية .

إلى غير ذلك :

١٥ من كاتب ، ذى رأى صائب ، وفهم ثاقب؛ انقادت له المعـانى بأسهل زمام، وأغنت صحائفه عن صفَحَات الحُسَام :

لَوْ لاحظَتْ عينُ ابن أوْسٍ كُتْبَهُ . ماقال : "إن السيف منها أصْدقُ".

---

(١) فى القاموس " قوس ناترة تقطع وترها لصلابتها " .

وكاتبِ خراج ضَبَط بقلمه الأموال، وحرّر بنَباهتــه الغِلال، وبسط الموازين، ووضع القوانين،وفصل بين الخراجىّ والهلالى، وميز ما بين الأعمــال والتوالى .

وما لا بدّ للملك منه من خواصّ جُبلتْ على محبته قلوبُهم، وتجافت عن المضاجع فى خدمته جُنُوبُهم .

ومن معقِلٍ شَمخ على الجوزاء بأنْفه، وآتخذ الثريّا وِشاحا لِعطْفه، تَوَارى فى قَرار التخوم أساسُــه ، ولاح للسارى ككوكب الظلماء مِقْباسُــه . فالأرض تدّعيه : لأنه ثبتَ على مناكبها، والسماء تنازعها فيه : لأنه تَمَنطَق بكواكبها، والجبال تقول منى آتَّخِذت أحجارُه، والمياه تقول علىّ آستقرّ قرارُه، وجفن السحاب يَهْمَع لانحطاطه عن هذه الرتبة، والطير تقول إن لم أبلغه فقد آتّحَدَ به مَنْ بينى وبينه نِسْبَه . ٥

وضَمَّنتُ هــذا الفن من المنقول ما يسهُل تعاطيه على الأفهام، ووضعتُه على خمسة أقســام . ١٠

القســـم الأوّل

فى آشـــتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، ووصفه، وتشبيهه . والغَزَل ، والنَّسيب، والهوى، والمحبة، والعشق، والأسباب

وفيــه أربعـــة أبواب

البـاب الأوّل

من القسم الأوّل من الفن الثـانى

(فى آشتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، وما يتصل بذلك)

فأما آشتقاقه وتسميته ، فقد آختلف الناس فى ذلك : هل هو من الأُنْس الذى هو نقيض الوحشة، أو النَّوْس الذى هو نقيض السكون، أو الإيناس الذى هو بمعنى الإبصار، أو النِّسيان الذى هو نقيض الذِّكْر .

قال الشريف السيد ضياء الدّين أبو السعادات هبــة الله المعروف بابن الشجرى فى "أماليه" (فى المجلس التاسع عشر وهو يوم السبت سابعَ عشرَ رجب سنة أربع وعشرين وخمسمائة) فى شرح قول أعشى تَغْلِب :

وكانُوا أناسًا يَنْفَحُون فأصبَحُوا ، ،، وأكثرُ مايُعْطُونَكَ النظَرُ الشَّزْرُ.

قوله : "وكانوا أناسا ينفَحون" وزن أناس فُعال، وناس منقوص منه عند أكثر النحويين : فوزنه عالٌ. والنقص والإتمـام فيه متساويان فى كثرة الآستعمال ما دام منكورا . فإذا دخلت عليه الألف واللام، آلتزموا فيه الحذفَ، فقالوا "النـاس" ولا يكادون يقولون "الأُناس" إلا فى الشعر . كقوله :

إنَّ المَنَـايَا يَطَّلِعْـــنَ على الأُناسِ الآمِنِينَا .

وحجة هـذا المذهب وقوع الأُنس على الناس . فاشتقاقه من الأُنس نقيض الوحشة : لأن بعضهم يأنس إلى بعض . [وبه[(1)] أخذ بعض الشعراء فى قوله :

وما سُمِّىَ الإنسانُ إلا لأُنْسِه ،، ولا القلبُ إلا أنه يتقلَّبُ] .

قال : وذهب الكسائىّ إلى أن "الناس" لغة مفردة، وهو آسم تامّ وألفه منقلبة عن واو. وآستدلّ بقول العرب فى تحقيره نُوَيْس . ٥

قال : ولو كان منقوصا من أناس لردّه التحقير إلى أصله ، فقيل" أُنَيْس" .

وقال بعضُ مَنْ وافق الكسائىّ فى هذا القول : إنه مأخوذ من النَّوس، مصدر ناس ينُوس إذا تحرّك . ومنه قيــل لملِك من ملوك حمير ذو نُوَاس : لضفيرتين كانتا تنُوسان على عاتقه .

قال الفرّاء : والمذهب الأوّل أشبه، وهو مذهب المشيخة . ١٠

وقال أبو علىّ الفارسىّ : أصـل الناس الأناس . فحذفت الهمزة التى هى فاء ويدلك على ذلك الإنْسُ والأَنَاسِىّ . فأما قولهم فى تحقيره نُوَيس فإن الألف لمـا صارت ثانية وهى زائدة أشبهت ألف فاعل ، يعنى أنها أشبهت بكونها ثانية وهى زائدة ألِفَ "ضارِب" فقيل نويس، كما قيل ضويرب .

وقال سَلَمَة بن عاصم ،وكان من أصحاب الفراء : الأشبه فى القياس أن يكون كلُّ واحد منهما أصـلا بنفسه فأناس من الأنس ، وناس من النوس لقولهم فى تحقـيره نويس كبويب فى تحقير باب . ١٥

هذا ما قاله آبن الشجرىّ فى أماليه .

(1) لم نجد هذه الزيادة فى أمالى آبن الشجرى الموجود منها نسخة مخطوطة "بدار الكتب المصرية" .

وذهب أبو عمرو الشَّيبانىّ : أنه مشتق من الإيناس، الذى هو بمعنى الإبصار، وحجته قوله تعالى : "إنِّى آنَسْتُ نارًا" أى أبصرت نارا .

وذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من النِّسْيان، وحجتهم أن أصله إنسِيَان. فحذفت الياء تخفيفا وفتحت السين لأن الألف تطلب فتح ماقبلها . ولأن العرب حين صغرته قالت فيه أُنَيْسِيان، فزادت الياء . والتصغير يردّ الأشياء إلى أصولها، ولو لم تكن في المكبر لما رُدَّت فى المصغَّر . و به أخذ أبو تمام فى قوله :

لا تَنْسَيَنْ تلك العُهودَ فإنما . سُمِّيتَ إنسانًا لأنك ناسِى .

وأنكر البصريون ذلك، وقالوا : لا حجة فيه، لأن العرب قد صغرت أشياء على غير قياس كما قالوا فى تصغير رجل بمعنى راجل رُوَيْجِل ، وفى تصغير ليلة لُيَيْلَة . وفى تصغير عَشِيّة عُشَيْشِية .

وقال ابن عباس : إنما سمى الإنسان إنسانا لأنه عُهِد إليه فَنسِى .

وهذا هو الأرجح والله تعالى أعلم .

فصـــــل

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد فى كتابه يرفعه إلى وهب بن منبِّه إنه قال : قرأت فى "التوراة" أن الله عز وجل حين خلق آدم ركَّب جسده من أربعة أشياء، ثم جعلها وِراثة فى ولده، تنمى فى أجسادهم وينمون عليها إلى يوم القيامة . رَطْب، ويابس، وسُخْن، وبارد . قال : وذلك أن الله سبحانه وتعالى خلقه من تراب وماء، وجعل فيه يُبْسا ورطوبة، فيبوسة كل جسد من قِبَلَ التراب، ورطوبته

من قِبَل المـاء، وحرارتُه من قِبَل النفس، و برودته من قِبَل الروح . ثم خلق للجسد بعد هذا الخلق الأوّل أربعةَ أنواع أُخَر وهى مِلَاك الجسد وقِوَامه، لا يقوم الجسد إلا بهنّ، ولا تقوم واحدة منهنّ إلا بالأخرى: المِرّة السوداء، والمِرّة الصفراء، والدم الرطب الحارّ، والبلغم البارد . ثم أسكن بعضَ هـذا الخلق فى بعض، فجعل مَسْكن اليبوسة فى المِرّة السوداء، ومسكن الرطوبة فى الدّم، ومسكن البرودة فى البلغم، ومسكن الحرارة فى المِرّة الصفراء . فأيما جسدٍ اعتدلت فيه هـذه الفِطَر الأربع وكانت كلُّ واحدة فيه وفقا لا تزيد ولا تنقص، كملت صحته واعتدل بناؤه . فإن زادت واحدة منهنّ عليهنّ وقهرَتْهنّ ومالت بهنّ، دخل على أخواتها السُّقْم من ناحيتها بقدر ما زادت ؛ وإن كانت ناقصة عنهنّ، مِلْن بها وعلونها وأدخلن عليها السُّقْم من نواحيهنّ، لغلبتهنّ عليها حتّى تضعُف عن طاقتهنّ وتعجزَ عن مقاومتهنّ .

قال وهب : وجعل عقله فى دماغه، وشَرَهه فى كُلْيتيه، وغضبه فى كبده، وصَرَامته فى قلبه، ورغبته فى رئته، وضحكه فى طحاله، وحزنه وفرحه فى وجهه . وجعل فيـه ثلثمائة وستين مَفْصِلا .

ويقال : إنمـا لُقِّب الإنسان بالعالم الصغير، لأنهم مَثَّلُوا رأسـه بالفلك، ووجهه بالشمس إذ لا قِوام للعالَم إلا بها كما لا قوام للجسد إلا بالرُّوح، وعقلَه بالقمر لأنه يزيد وينقص ويذهب ويعود، ومثلوا حواسَّه الخمس ببقية الكواكب السـيَّارة، وآراءه بالنجوم الثابتة، ودمعه بالمطر، وصوته بالرعد، وضحكه بالبرق، وظهره بالبَرّ، وبطنه بالبحر، ولحمه بالأرض، وعظامه بالجبال، وشعره بالنبات، وأعضاءه بالأقاليم، وعروقه بالأنهار، ومغار عروقه بالعيون .

ومنها : أن فيه ما يشاكل الجمعة، والشهر، والأيام، والسنة .

أما أيام الجمعة، فإن بدنه سبعة أجزاء، وهى اللحم، والعظام، والعروق، والأعصاب، والدَّمُ، والجلد، والشعر .

وأما الشهور، فإن لبدنه آثنى عشر جزءا مدبرةً : ستة منها باطنة؛ وهى الدماغ، والقلب، والكَبِد، والطِّحال، والمعـدة، والكُلْيتان؛ وسـتة ظاهرة، وهى العقل، والحواسُّ الخمس؛ فهذه الآثنا عشر مقابلة لشهور السنة .

وأما الأيام، فإن فيه ثلثمائة وستين عظما؛ منها ما هو لبِنْية الجسـد مائتان وثمـانية وأربعون عظما . والإنسان ينقسم إلى أربعة أنواع : الرأس، واليدان، والبدن، والرِّجلان؛ ففى الرأس آثنان وأربعون عظما؛ وفى اليدين آثنان وثمانون عظما؛ وفى البدن أربعون عظما؛ وفى الرجلين أربعة وثمـانون عظما؛ والباقى سُمْسُمانية لسـدّ الفروج التى تكون بين العظام . وفيه ثلثمائة وستون عِرْقا .

وأما فصول السنة : فإن فيه أربعة أخلاط طبْعُها طبعُ الفصول الأربعة، فالدّم كالربيع فى حرارته ورطوبتـه، والمِرّة الصفراء كالصيف فى حرّه ويبسـه، والمرّة السوداء كالخَرِيف فى برده ويبسه، والبلغم كالشـتاء فى برده ورطوبتـه . وهذه الأخلاط من أوّل مزاج الأركان التى هى العناصر الأربعة، وهى : النار، والهواء، والمـاء، والأرض .

فصـــل

وأما ترتيب أحواله وتنقل السنّ به إلى أن يتناهى :

[قال الله تبارك وتعالى : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ .[1]

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

وفى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يومًا ، ثُمَّ يكون عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يبعثُ اللهُ تعالى مَلَكًا فيؤمَرُ بأَرْبَعٍ : برزقه وأجله وشقىّ أو سعيد" ، الحديث .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "وكَّلَ اللهُ بالرحم مَلَكًا : فيقولُ أىْ رب نطفةٌ ! أى ربِّ علَقةٌ ! أى ربِّ مضغةٌ ! فإذا أراد اللهُ أن يقضىَ خَلْقَها قال : أىْ ربِّ ذكَرٌ

(١) هذه الزيادة المحصورة بين قوسين مربعين منقولة كما هى عن إحدى النسخ .

أم أنثى ؟ أشقيّ أم سعيد؟ فما الرزقُ؟ فما الأجلُ؟ فيُكتَبُ كذلك فى بطن أمّه" .

خرّج ذلك البخارىّ فى "صحيحه" فى باب القَدَر .

وقال الثعلبىّ فى تفسير قوله تعالى ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ :

" قالت الحكماء : يشتمل الإنسانُ من كونه نطفة إلى أن يهرَمَ ويموت على سبعة وثلاثين حالا ، وسبعة وثلاثين اسما (١) : نُطْفة (١) ، ثم عَلَقة ، ثم مُضْغة ، ثم عَظْما ، ثم خَلْقا آخر ، ثم جَنِينا ، ثم وَلِيدًا ، ثم رَضيعا ، ثم فَطِيما ، ثم يافعًا ، ثم ناشئًا ، ثم مُتَرَعْرِعا ، ثم حَزَوَّرا ، ثم مُرَاهِقا ، ثم مُحْتَلِما ، ثم بالِغًا ، ثم أمْرَد ، ثم طارًا ، ثم باقِلًا ، ثم مُسَيْطِرا ، ثم مُصْرِخا ، ثم مُخْتَطًّا ، ثم صُمُلًّا ، ثم مُلْتحِيا ، ثم مستريعا ، ثم مصعدا ، ثم مُجْتَمِعا .

وقال غيره] :

مادام الولد فى الرَّحِم ، فهو جَنين ، فإذا وُلِد ، فهو وَلِيد ، وما دام لم يَسْتَتِمّ سبعةَ أيام ، فهو صَدِيغ : لأنه لم يشتدّ صُدْغُه إلى تمام السبعة ، ثم مادام يَرْضَع ، فهو رَضِيع ؛ فإذا قُطِع عنه اللبن ، فهو فَطِيم ؛ ثم إذا غلُظ وذهبت عنه تَرارة الرَّضاعة ، فهو جَحْوَش .

قال الهذلىّ :

قَتَلْنَا مَخْـلدًا وابْنَىْ حُرَاق ، وآخَرَ جَحْوَشًا فوقَ الفَطِيم .

ثم إذا دَبَّ ونمـا ، فهو دارِج .

فإذا بلغ طُولُه خمسةَ أشبار ، فهو خُماسىّ .

فإذا سقطت رواضعُه ، فهو مَثْغُور .

فإذا نبتت أسنانه بعد السُّقُوط ، فهو مُثَّغِر ومتَّغِر معا .

---

(١) البيانات التالية بعده سبعة وعشرون فلعلها محرفة عنها .

فإذا تجاوز عشر سنين أو جاوزَها[1]، فهو مترعْرِع وناشئ .

فإذا كاد أن يبلُغَ الحُلُمَ أو بلغه، فهو يافِعٌ ومراهِق .

فإذا آحتلم وآجتمعَتْ قوّتُه، فهو حَزَوّر؛ وآسمه فى جميع هذه الأحوال التى تقدّم ذكرها غُلَام .

فإذا آخضَرّ شاربه وأخذ عِذارُه يَسِيل، قيل فيه قد بَقَل وجهُه .

فإذا صار ذا فَتَاء، فهو فتًى وشارخ .

فإذا آجتمعت لحيته وبلغ غايةَ شبابه، فهو مجتمِع .

ثم مادام بين الثلاثين والأربعين، فهو شابٌّ، ثم هو كَهْل إلى أن يستوفِىَ الستين .

فصـــــل

فى ظهـــور الشيب وعمومه

يقال للرجل أوّلَ مايظهر به الشيبُ، قد وَخَطَه الشيب .

فإذا زاد، قيل خَصّفه وخَوّصه .

فإذا ابيضّ بعضُ رأسه، قيل قد أخْلَس رأسُه، فهو مُخْلِس .

فإذا غلب بياضُه سوادَه، فهو أغثَمُ .

فإذا شَمِطت مواضعُ من لحيته، قيل وَخَزَه القَتير ولَهَزه .

فإذا كثر فيه الشيبُ وآنتشر، قيل فيه قد تفشّع[2] فيه الشيبُ .

---

(١) وردت هذه الجملة هكذا بالأصل . وفى فقه الثعالبى (فاذا كاد يجاوز العشر السنين، أو جاوزها فهو مترعرع وناشئ) وهو الصواب .

(٢) كذا بالأصل وفقه اللغة وهو محرف عن "تَفَشّغ" قال فى القاموس (وتفَشّغ فيه الشيب أو الدم: آنتشر وكثر) .

ويقال أيضا : شابَ الرجل، ثم شَمِط، ثم شاخَ، ثم كَبِر، ثم توجّه، ثم دَلَف، ثم دَبّ، ثم مَجّ، ثم هَدَج، ثم ثَلّب، ثم الموت .

وقيل : ما السرور؟ قال : إدراك الحقيقه، وٱستنباط الدّقيقه .



وأما النفس الغضبية، فهمُّ صاحبها منافَسَة الأكفاء ومغالبة الأقران ومكاثرة العشيرة .

ومن ذلك ما أجاب به حصين بن المنذر، وقد قيل له : ما السُّرور؟ قال: لواءٌ منشور، والجلوس على السرير، والسلام عليكَ أيها الأمير.

وقيل للحسن بن سهل : ما السرور ؟ قال : توقيعٌ جائز،وأمرٌ نافذ .

وقيل لعبد الله بن الأهتم : ما السرو ؟ قال : رفْع الأولياء، ووَضْع الأعداء، وطول البقاء،مع الصحّة والنماء .

وقيل لزياد : ما السرور؟ قال:من طال عُمُره،ورأى فى عدوّه ما يسُرّه .

وقيل لأبى مسلم، صاحب الدعوة : ما السُّرور ؟ قال : ركوب الهَمَاجلة،وقتل الجبابرة . وقيل له :ما اللذة ؟ قال : إقبال الزمان، وعِزُّ السلطان .

وأما النفس البهيمية، فهمُّ صاحبها طلبُ الراحة،وٱنهماك النفْس على الشهوة من الطعام والشراب والنكاح .

وعلى هذه الطبيعة البهيمية قسمت الفُرْسُ دهرها كلّه، فقالوا :

يوم المَطَر للشرب ؛ ويوم الريح للنوم ؛ ويوم الدَّجْن للصيد ؛ ويوم الصَّحْو للجلوس .

قيل : ولما بلغ ابن خالويه ماقسمته الفرس من أيامها قال : ما كان أعْرَفَهم بسياسة دنياهم ! ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ .

ولكنّ نبينا صلى الله عليه وسلم جَزَّأ نهارَه ثلاثةَ أجزاء : جزءا لله، وجزءا لأهله، وجزءا لنفسه، ثم جَزَّأ جزأه بينه وبين الناس، فكان يستعين بالخاصة على العامة، ويقول: "أبْلِغُوا حاجةَ مَنْ لا يَسْتطِيعُ إبلاغى. فإنه مَنْ أبلغ حاجةَ مَنْ لايستطيع، آمنه الله يوم الفَزَع الأكبر" .

قالوا : والطبيعة البهيمية هى أغلبُ الطبائع على الإنسان : لأخذها بمَجَامع هواه، وإيثار الراحة وقلة العمل .

ومن ذلك قولهم : الرأى نائم، والهوى يقظانُ؛ وقولهم : الهوى إلهٌ معبودٌ .

ومن ذلك ما أجاب به آمرؤ القيس ، وقد قيل له : ما السرور ؟ فقال: بيضاء رُعْبُوبه، بالطيب مَشْبوبه، باللحم مَكْروبه . "وكان مفتونا بالنساء" .

وقيل لأعشى بكر : ما السرور؟ قال: صَهْباءُ صافيه، تَمْزُجُها ساقيه، من صَوْب غاديه . "وكان مغرما بالشراب" .

وقيل لطَرَفة بن العبد : ما السرور ؟ قال مَطْعَم هَنِيّ، ومَشْرَب رَوِيّ، ومَلْبَس دَفِيّ، ومَرْكَب وَطِيّ . "وكان يؤثر الخفض والدَّعة" . وهو القائل :

فلولا ثلاثٌ هنّ من عِيشةِ الفتى، * وعَيْشِك ! لم أحْفِلْ متى قام عُوّدى .

فمنهنّ سبقى العاذلات بشَرْبة * كُمَيت متى ما تُعْلَ بالماء تزبِد .

وكَرّى إذا نادى المُضافُ مُحَنَّباً * كسِيدِ الغَضَا نبهته المتورِّدِ
وتقصيرُ يوم الدَّجْن، والدَّجْنُ مُعْجِب، * ببهكنةٍ تحت الخِبَاء المُعَمَّدِ

وسمع هذه الأبياتَ عمر بن عبد العزيز فقال : وأنا لولا ثلاث لم أحفل متى قام عُوّدى : لولا أن أعدِل فى الرعيه، وأقسِم بالسويّه، وأنفِرَ فى السَّرِيّه .

٥ وقال عبد الله بن نَهِيك، عفا الله تعالى عنه :

فلولا ثلاثٌ هنّ من عِيشة الفتى، * وعَيْشِك، لم أحْفِل متى قام رامسُ
فمنهن سَبْقُ العاذلات بشربة * كأنّ أخاها مطلَعَ الشمس ناعِسُ
ومنهنّ تجريدُ الكواعب كالدُّمى * إذا ابْتُزّ عن أكفالهنّ الملابِسُ
ومنهن تقريط الجَوَاد عِنانَه * إذا ابتدر الشخصَ الخفيَّ الفوارسُ

١٠ وقيل ليزيد بن مزيد : ما السرور ؟ فقال : قُبْلة على غفلة .

وقيل لحُرَقَة بنت النعمان : ما كانت لذةُ أبيك ؟ قالت : شربُ الجِرْيال، ومحادثة الرجال .

وقيل للحسن بن هانئ : ما السرور ؟ فقال : مجالسة الفِتْيان، فى بيوت القِيان، ومنادمة الإخوان، على قُضُب الرَّيْحان، ثم أنشد :

١٥ قلتُ بالقفْص لموسى، * ونَدَامايَ نِيَامُ :
يا رضيعى ثدى أمٍّ * ليس لى عنه فِطَامُ!
إنما العَيْشُ سَمَاعٌ * ومُدَامٌ ونِدامُ.
فإذا فاتك هذا، * فعلى الدّنيا السلامُ!

... ...

الباب الثانى

من القسم الأوّل من الفن الثانى

(فى وصف أعضاء الإنسان وتشبيهها)

وما وصف به طِيب الريق والنَّكهة، وحسن الحديث، والنَّغْمة، واَعتدال القدود، ووصف مشْى النساء. وهو مرتب على ترتيب بِنْية الإنسان فى المذكر والمؤنث . ٥

فأما الشَّعَر وما قيل فيه، قال الثعالبيّ عن أئمة اللغة :

العَقِيقة ، الشعر الذى يولَدُ به الإنسان .

الفَرْوة ، شعر معظم الرأس .

الناصِيَة ، شعر مقدّم الرأس . ١٠

الذُّؤابة ، شعر مؤخَّر الرأس .

الفَرْع، شعر رأس المرأة .

الغَدِيرة، شعر ذُؤابتها .

الغَفَر، شعر ساقها .

الدَّبَب، شعر وجهها . ١٥

الوَفْرة ، ما بلغ شحمَةَ الأذن من الشعر .

اللِّمّة، ما ألَمَّ بالمَنْكِب منه .

الطُّرّة ، ما غشّى الجَبهة منه .

الجُمّة والغَفرة، ما غطّى الرأس منه .

الهُدْب، شعر أشفار العين .

الشارب، شعر الشَّفَة العليا .

العَنْفَقَة، شعر الشفة السُّفلى .

المَسْرَبة، شعر الصدر. وفي الحديث أنه كان عليه الصلاة والسلام دقيق المَسْرَبة .

الشِّعْرة، العانة .

الإسْب، شعر الأست .

الزَّبَب، شعر بدن الرجل . ويقال بل هو كثرة الشعر في الاذنين .

فصـــــل

في تفصـــيل أوصـافه

يقال : شعر جُفَال، إذا كان كثيرا .

ووَحْفٌ، إذا كان متصلا .

وكَثٌّ، إذا كان كثيرا كثيفا مجتمعا .

ومُعْلَنْكِس، ومُعْلَنْكك، إذا زادت كثافتُه .

ومُنْسدِر، إذا كان منبسطا .

وسَبِط، إذا كان مسترْسِلا .

ورَجْل، إذا كان غير جَعْد ولا سبط .

وقَطَطٌ، إذا كان شديد الجُعُودة .

ومُقْلَعِطٌ، إذا زاد على القَطَط .

ومُفَلْفَل، إذا كان نهايةً في الجُعُودة كشعر الزِّنج .

ومُخَام، إذا كان حسنا ليّنا .

ومُغْدَوْدِن، إذا كان طويلا ناعما .

وقال الأصمعىّ : من لم يَخِفَّ شعره قبل الثلاثين لم يَصْلَع أبدا، ومن لم يحمل اللحمَ قبل الثلاثين لم يحمله أبدا .

٥

* * *

ومما وُصف به الشَّعَرُ، قال نصر بن أحمد، عفا الله تعالى عنه :

سَلْسَلَ الشَّعْرَ فوقَ وجهٍ، فحاكى * ظُلْمَةَ الليل فوقَ ضَوْءِ الصَّباح .

وقال ٱبن الرومىّ :

وفاحمٍ واردٍ يُقَبِّلُ مَمْشاه إذا ٱختالَ مُرْسِلا غُدُرَهْ .

١٠

أقبلَ كاللَّيلِ من مَفَارِقه * منحدِرًا لا يَذُمُّ منحَدَرَهْ .

حتَّى تناهى إلى مَوَاطِنِه * يَلْثِمُ من كلِّ مَوْطِئٍ عَفَرَهْ .

كأنَّهُ عاشِقٌ دنَا شَغَفًا * حتَّى قضى من حَبِيبه وَطَرَهْ .

وقال فتح الدّين بن عبد الظاهر :

حَلَّ ثلاثًا يوم حَمَّامِه * ذوائبًا يَعْبَقُ منها الغَوالْ .

١٥

فقلتُ، والقَصْدُ ذُؤاباتُه : * ياسَهَرِى فى ذى اللَّيالِ الطِّوالْ !

وقال آخر :

قد عَلِّق القلب بدَبُّوقةٍ * وجُنّ منها فهو مَفْتونُ؟

واعَجَبًا للعِشق فى حُكْمِه * بشَعْرة قُيِّد مجنونُ !

وقال آخر :

رأيتُ على قَــدِّ الحَبِيبِ ذُؤابةً * فعَيْنِى على تلك الذُّؤابة تَهْمَعُ .
يقول لِىَ الواشُونَ: مالك باكِيًا؟ * فقلت : بعينِى شَعْرَةٌ فهى تَدْمَعُ .

وقال آخر :

وشَــعْرةٍ عايَنَهَــا ناظِرى * على قَوَامٍ مائِسِ الخَطْرَهْ .
فسالَ دَمْعا وهْىَ جَفْنُه ، * والدَّمْعُ لاشَكَّ من الشَّعْرَهْ .

وقال آخر :

ولَرُبَّ مَمْشُوقِ القَوَامِ تَضُــمُّه * ممشوقةٌ ، فتعانَقَــا غُصْنَيْنِ .
أرْخَتْ ذوائبَها وأسبلَ شَعْرَه ، * فتقابَلَا قمرَيْنِ فى لَيْلَيْنِ !

✦

ومما وُصِفت به شعورُ النساء ، قال بكر بن النطّاح :

بَيْضاءُ تَسْحَبُ من قِيامٍ فَرْعَها * وتَغيبُ فيه فهو جَثْلٌ أَسْحَمُ .
فكأَنَّها فيــه نهــارٌ ساطِــعٌ ، * وكأنَّه ليْــلٌ عليهــا مُظْلِمُ .

وقال آخر :

نشَرتْ عَلَىَّ ذوائبًا من شَعْرِها ، * حذَرَ الكَواشِحِ والعَدُوِّ المُحْنَقِ .
فكأنَّنِى وكأنهــا وكأنَّهُ : * صُبحانِ باتَا تحت ليلٍ مُطْبِقِ .

وقال عمرُ بن أبى ربيعة :

سَهِتْهُ بوَحْف فى العِقاص كأنَّهُ * عَنَاقيدُ، دَلَّاها من الكَرْم قاطِفُ .
أَسِيلاتُ أبدانٍ، دِقاقٌ خُصُورُها ، * وَثِيراتُ ماالتفَّتْ عليه المَلَاحِفُ .

وقال المتلبى :

وَمَنْ كُلّمَا جَرّدْتَها من ثِيابِها ، * كَسَاها ثِياباً غيرَها الشّعَرُ الوَحْفُ .

وقال أيضا :

دعَتْ خَلاخيلُها ذوائِبَها ، * يِفْنَ مِن فَرْقِها إلى القَدَمِ .

وقال فى أخرى :

نَشَرَتْ ثَلاثَ ذوائِبٍ من شَعْرِها * فى لَيْلةٍ ، فأرَتْ لَيالِىَ أرْبَعَا .
وآستَقْبَلتْ قَمَرَ السماءِ بوجْهِها ، * فأرَتْنِىَ القَمرَيْنِ فى وَقْتٍ مَعَا .

وقد ألَمّ فى ذلك بقول آبن المعتزّ :

سَقَتْنِى فى لَيْلٍ شَبِيهٍ بشَعْرِها * شَبِيهةَ خَدّيْها بغَيْرِ رَقِيبِ .
فأمْسَيْتُ فى لَيْلَيْنِ بالشّعْرِ والدُّجى ، * وشَمْسَيْنِ من خَمْرٍ وخَدِّ حَبِيبِ .

وقال آبن المعتزّ :

فلمّا أنْقَضتْ وَطَرا وهَمّتْ * على عَجَلٍ بأخْذٍ للرِّداءِ ،
رأَتْ شَخْصَ الرَّقِيبِ على تَدَانٍ * فأسبلَتِ الظّلامَ على الضِّياءِ .
وغاب الصبْحُ منها تحتَ ليلٍ ، * وظَلّ الماءُ يَقْطُر فوقَ ماءِ .

وقال آبن لَنْكَك :

هَلْ طالِبٌ ثأْرَ مَنْ قد أهدَرَتْ دَمَهُ * بِيضٌ ، عليهنّ نَذْرٌ قتلُ مَنْ عَشِقا ؟
من العَقائل ما يَخْطِرْنَ عن عُرُضٍ * إلّا أرَيْنَك فى قَدٍّ قَنًا ونَقَا .
رَوَاعِفٌ بخُدودٍ زانها سَبَجٌ * قد زَرْفَنَ[1] الحسنُ فى أصداغِها حَلَقا .

(١) زرفن صدغيه جعلهما كالزّرفين وهو حلقة الباب .

نَوَاشِرٌ فى الضُّحى من فَرْعِها غَسَقًا ، ۔ وفى ظَلام الدُّجى من وَجْهِها فَلَقا .
أَعَرْنَ غِيدَ ظِباءٍ رُوِّعتْ غَيَــدًا ، ۔ والوَرْدَ تَوْرِيدَ خدٍّ ، والمَهَا حَدَقَا .

وقال آبن دُرَيد الأزدىّ :

غَرَّاء لو جَلَتِ الخُـدودُ شُعاعَها ۔ للشَّمْس عند طُلُوعها ، لم تُشْرِقِ .
غُصْن على دِعْصٍ تأَلَّقَ فَوْقَـهُ ۔ قمـرٌ تألَّقَ تحتَ ليْـل مُطْبِقِ .
لو قِيل للحُسْن : آحتَكِمْ لم يَعْدُها ، ۔ أو قيل : خاطِبْ غيْرَها ! لم يَنْطِقِ .
فكأنَّنا مِن فرعهـا فى مَغْرِبٍ ، ۔ وكأنَّنـا من وَجْهِها فى مَشْرِق .

وقال آخر :

جُعودةُ شعرها تَحْكِي غَدِيرا ، ۔ يُصَفِّقه الجَنوبُ مع الشَّمالِ .

❖

ذكر ما قيل فى الشيب والخضاب من المدح والذم

فأما مدح الشيب ، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ شابَ شَيْبةً فى الإسلام كانتْ له نُورا يومَ القِيامةِ" .

وقال آبن أبى شيبة : "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نَتْف الشيب وقال : هو نور المؤمن" .

وفى الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : "ان أوّلَ مَنْ رأى الشيب إبراهيمُ الخليل عليــه السلام ، فقال : يا ربِّ ما هــذا ؟ فقال له : الوقارُ ، فقال : رب زِدْنِي وقارا" .

وتأمل حكيمٌ شيبَه فقال : مرحبا بزَهْرة الحُنْكة ويُمْن الهدى ومقدِّمة العفّة ولباس التقوى .

وقيل : دخل أبو دُلَف على المأمون وعنده جارية له ، وكان أبو دُلَف قد ترك الخضاب ، فأشار المأمون إلى الجارية فقالت له : شِبْتَ ياأبا دُلَف ، إنا لله وإنا اليه راجعون . فسكتَ عنها أبو دلف، فقال له المأمون : أجبها، فقال :

تَهزّأتْ إذ رأتْ شَيْبِي فقلتُ لها: .. لا تَهْزَئِي مَنْ يطُلْ عمرٌ به يَشِبِ !
شَيْبُ الرجالِ لهم زَيْنٌ ومكْرُمةٌ ، .. وشَيْبُكن لكُنّ الويلُ فاكتئِبي !
فينا لكُنّ ـ وإن شَيْبٌ بَدَا ـ أَرَبٌ ، .. وليس فيكُنّ بعد الشَّيْب من أَرَب !

وقال آخر :

أهْلا وسَهْلا بالمشيب ومرحبا ، .. أهلًا به من وافِدٍ ونَزِيلِ !
أهدى الوقارَ وذادَ كلَّ جَهالة .. كانتْ ، وساقَ إلىّ كلَّ جميلِ .
فصَحِبتُ فى أهل التقى أهل النهى .. ولُقِيتُ بالتعظيم والتبجيلِ .
ورأى لىَ الشُّبّانُ فضلَ جلالةٍ .. لما اكتَهَلْتُ ، وكنتُ غير جَليل .
فإذا رأوْنى مقبلًا ، نهضُوا معًا : .. فعْلَ المقِرّ لهيبة التفضيلِ .
إن قلتُ ، كنتُ مصدَّقًا فى مَنْطِقِى ، .. ماضِى المَقَالة حاضرَ التعديل .

وقال مُسْلم بن الوليد :

الشَّيْبُ كُرْهٌ ، وكُرْهٌ أن يُفارِقَنى .. أعجِبْ لشىءٍ على البغضاءِ مَوْدُود .

وقال علىّ بن محمد الكوفىّ :

بكى للشَّيْب ، ثم بَكى عليه .. وكان أعَزّ من فقد الشَّبابِ .
فقُلْ للشَّيْب : لا تبرَحْ حَمِيدًا .. إذا نادى شبابُكَ بالذّهاب .

وقال العسكريّ :

يَوَدُّ أنْ شَيْبَهُ * إذ جاءَ لا يَنْصَرِفُ.
يَخْلُفُ رَيْعانَ الصِّبا * والموتُ منه خَلَفُ.

وقال آبن المعتزّ :

قد يَشِيبُ الفَتى ، وليس عَجِيباً * أن يُرى النَّوْرُ في القضيبِ الرَّطِيبِ.

وقال أبو تمام :

ولا يُؤَرِّقْكَ إيماضُ القَتِيرِ بِهِ * فإنَّ ذاكَ آبتسامُ الرأيِ والأدَبِ.

وقال أبو الفتح البستي :

يا شَيْبَتي دُومِي ولا تترَحَّلِي * وتيقَّنِي أنِّي بوصْلِكِ مُولَعُ!
قدكنتُ أجْزَعُ من حُلولِكِ مرةً ، فالآنَ من خوفِ آرْتِحالِكِ أجْزَعُ!

وقال آخر :

فأمَّا المَشِيبُ فصُبْحٌ بدا * وأما الشَّباب فليْلٌ أفَلْ.
سَقى الله هذا وهذا معًا * فنِعْمَ المُوَلَّى ونعم البَدَلْ!

وقال أبو الفتح كشاجم :

تفكَّرتُ في شَيْبِ الفَتى وشبابِهِ * فأيقنْتُ أن الحقَّ للشَّيْبِ واجِبُ.
يصاحِبُنِي شَرْخُ الشبابِ فينقَضِي ، * وشَيْبِيَ لي حتَّى المَمَاتِ مصاحِبُ.

وقال أبو العلاء السرويّ ، شاعر اليتيمة :

حيِّ شَيْبًا أتى لغير رحيل ، * وشبابًا مضى لغيرِ إياب!
أيُّ شيءٍ يكونُ أحسَنَ من عا * جِ مَشِيبٍ في آبنوسِ شَبابِ؟

وقال أبو عَوانة الكاتب :

هَزِئَتْ إذ رأتْ مَشيبى، وهل غَيْـ * ـرُ المَصابيح زينـةٌ للسماءِ؟

وتولّتْ فقلتُ قولًا بإفصا * حٍ لها ، لا بالرّمْز والإيماء:

إنما الشيبُ فى المَفارِق كالنُّو * ر بَدَا والسّـوادُ كالظلماء.

لا مَحِيصٌ عن المَشيب أو المو * ت ، فكُنْ للحَوْباء أو للنَّماء!

إن عُمْرا عُوِّضتَ فيه عن المو * ت بشَيْب من أعظَم النَّعماء!

وقال ابن عبد ربه :

كأنّ سوادَ لِمتـهِ ظلام * يُطِلُّ من المَشيب عليه نُورُ.

وقال أبو عبد الله الاسباطى :

لا يَرُعْكِ المَشيبُ، يا ابنة عبد الله ، فالشيبُ زينـةٌ ووَقارُ!

إنما تحسُنُ الرِّياضُ إذا ما * ضَحِكتْ فى ظلالها الأَنْوار.

***

وأما ما ورد فى ذم الشيب ، قال قيس بن عاصم رحمة الله عليه : الشيبُ خِطامُ المنيّة .

وقال غيره : الشيبُ نذير الموت .

وقد ورد فى بعض التفاسير فى قوله تبارك وتعالى ﴿وجاءكُمُ النّذيرُ﴾ . قيل : هو الشيب .

وقال اعرابىّ : كنتُ أُنكر البيضاءَ ، فصرت أُنكر السوداء ؛ فيا خَيْرَ مبـدول ويا شرّ بَدَل .

وقيل للنبيّ صلى الله عليه وسلم : عَجَّلَ عليك الشيبُ يا رسول الله، قال : "شيَّبتني هودٌ وأخَواتُها" . قيل : هي عَبَس، والمرسلات، والنازعات .

وقيل لعبد الملك بن مَرْوان : عَجَّلَ عليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال : شيبني ٱرتقاءُ المنابرِ وتوقُّع اللحْن .

٥ وقال بعضهم : خرجت إلى ناحية الطُّفَاوة، فإذا أنا بامرأة لم أر أجمل منها، فقلت : أيتها المرأةُ ، إن كان لك زوج فبارك الله له فيكِ ، وإلا فأعلميني . قال فقالت : وما تصنعُ بي؟ وفيّ شيء لاأراك ترتضيه . قلتُ : وما هو؟ قالت : شيبٌ في رأسي . قال : فثنيتُ عِنَان دابتي راجعا، فصاحتْ بي : على رِسْلك، أخبرك بشيء، فوقفتُ وقلت : وما هو، يرحمكِ الله ؟ قالت : والله مابلغت العشرين بعدُ، وهذا رأسي

١٠ فكشفَتْ عن عناقيد كالحُمَم ، وقالت : والله مارأيتُ برأسي بياضا قطُّ، ولكن أحببت أن تعلم أنّا نكره منك ماتكره منا ، وأنشدت :

أرى شيبَ الرِّجال من الغَوَانِي * بموضع شيبهنّ من الرجال!

قال : فرجعتُ نَجِلا ، كاسف البال .

قال أبو تمام :

١٥ غَدَا الشيبُ مختطا بفَوْدَيّ خِطَّةً * سبيلُ الرَّدى منها إلى النفس مَهْيَعُ .

هو الزُّور يُجْفَى، والمُعاشِر يُجْتوى، * وذو الإلف يُقْلَى ، والجديد يرقَّعُ .

له مَنظَرٌ في العين أبيضُ ناصعٌ ، * ولكنه في القلب أسودُ أسفَعُ .

وقال آخر :

تقول لَمَّا رأتْ مشيبي * بدَا، وعندي له ٱنقباضُ :

٢٠ لاترجُ عَطْفاعليكَ منّي ، * سوَّدَ ما بيننا البياضُ !

وقال آخر :

وقالوا : مَشِيبُ المرْءِ فيه وقارُه، * وما علموا أن المَشِيب هو العيْبُ.
وأىُّ وقارٍ لامرئ عُرِّى الصِّبا، * ومن خَلْفِه شهبٌ وقدّامه شيبُ؟

وقال آخر :

مَنْ شابَ، قد مات وهو حَىٌّ، * يمشى على الأرض مشى هالكْ!
لو كان عُمْرُ الفتى حسابًا * كان له شيْبُه فذالِكْ.(١)

وقال محمود الورّاق :

بكَيْتُ لقُرب الأجَلْ، * وبُعْدِ فوات الأمَلْ!
ووافق شَيْبٌ طَرًا * بعَقْب شبابٍ رحَلْ.
شَبَابٌ كأن لم يكُنْ * وشيبٌ كأن لم يَزَلْ.
طوى صاحبٌ صاحبًا * كذاك اختلافُ الدُّوَلْ!

وقال عَبِيد بن الأبرص :

والشيبُ شيْنٌ لمن أمسى بساحته! * لله درُّ شَبَاب اللّمة الخالى.

وقال البحترىّ :

ودِدْتُ بياضَ السيفِ يوم لقيتِنى * مكانَ بياض الشيب حلَّ بمَفْرِقى.

وقال أبو العتاهية :

عَريتُ عن الشباب، وكان غَضًّا، * كما يَعرى من الورق القَضِيبُ.
ألَا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً * فأُخْبِرَهُ بما فعل المَشِيبُ!

(١) افذالك جمع الفذلكة أى نتائج الحساب التى يقال عندها : فذلك يكون كذا. (أنظر : شفاء الغليل لخفاجى).

وقال آخر :

يَاحَسْرتَا أين الشبابُ الذى ٭ على تَعدِّيه المشيبُ اعتدى؟
شِبْتُ، فما أنفَكُّ من حسرةٍ ٭ والشيبُ فى الرأس رسولُ الرَّدى!
إنَّ مدى العُمْر قريبٌ فما ٭ بقاءُ نفسى بعد قُرْب المَدَى؟

٥ وقال آخر :

هذا عِذارُك بالمَشيبِ مُطرَّزٌ ٭ فقبولُ عُذْرك فى التصابى مُعْوِزُ!
ولقد علمتُ ـ وما علمتُ توهُّمًا ـ ٭ أن المَشيبَ لهَدْم عمرك يرمِزُ.

وقال أيضا :

ألسْتَ ترى نُجومَ الشَّيْب لاحَتْ ٭ وشَيْبُ المرْء عنوانُ الفساد!

١٠ وقال أيضا :

أبلى جَديدَىَّ هذان الجديدانِ ٭ والشأن فى أن هذا الشَّيْبَ يَنْعانِى!
كأنما اعتمَّ رأسِى منه بالجَبَلِ الرَّ ٭ اسى، فأوْهننى ثِقْلا وأوهانِى.

وقال آخر :

لما رأتْ وَضَحَ المَشِيب بعارِضى ٭ صدتْ صُدودَ مُجانِب متحمِّل.
فجعلتُ أطلُب وصلَها بتلطُّف، ٭ والشيبُ يغمِزُها بأن لا تفْعَلى!

١٥ وقال كُشاجم :

ضحِكتْ! من شَيْبةٍ ضَحِكتْ ٭ لسَواد اللِّمَّة الرجِلَهْ
ثم قالتْ وهى هازئةٌ : ٭ جاء هذا الشيبُ بالعَجَلَهْ!
قُلت: من حُبِّيك، لا كِبَرٌ، ٭ شاب رأسى فانثنت خَجِلَهْ.

وثَنَتْ جَفْنا على كَحَلٍ هى منه الدهرَ مكتحِلَهْ.
أكثرَتْ منه تعجُّبَا! * فهى تجنيه وتعجَبُ لَهْ.

وقال أبو تمام :

دقةٌ فى الحياة تُدْعى جَلَالا، * مثلَ ما سُمّى اللَّدِيغ سليما.
غُرَّة مُرَّة ألا إنّما كنتُ أغرّا أيامَ كنت بَهِيما.

وقال ابن المعتز :

لقد أبغضتُ نفسى فى مَشِيبى فكيف تُحِبُّنى الخُودُ الكعَابُ؟

وقال أبو هلال العسكرىّ :

(١١)

فلا تعجَبَا أن يَعِبْنَ المَشِيبا * فما عِبْنَ من ذاك إلا مَعِيبا!
إذا كان شَيْبِى بَغيضًا إلىّ * فكيف يكونُ إليها حَبِيبا؟

وقال محمد بن أُميّة :

رأينَ الغَوانِى الشيبَ لاحَ بعارِضى، * فأعرَضْنَ عنّى بالخُدود النّواضر.
وكُنّ إذا أبصرنَنِى أو سمِعْنَ بِى، * دَنَوْنَ فرقَّعْنَ اللَّوى بالمَحاجِر.

وقال آخر :

قالت، وقد راعها مَشِيبى : كنتَ ابنَ عمٍّ فصرتَ عمّا.
واستهزأتْ بِى، فقلتُ أيضا : قد كنتِ بنتًا فصِرتِ أُمّا.

وقال آخر :

تضاحكتْ لمّا رأتْ * شَيْبا تلألا غُرَرُهْ.
قلتُ لها : لا تعجَبى -- أُنبيكِ، عندى خَبَرُهْ.
هذا غَمَامٌ للردَّى، * ودمعُ عينى مَطَرُهْ.

⁂

ومما قيل في الخضاب من المدح، ما رُوِيَ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : "غَيِّروا هذا الشيبَ، وجَنِّبُوه السوادَ" .

وكان أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه يَخْضِب بالحناء وبالكَتَم .

٥ وقد مدح الشعراء الخضابَ .

فمن ذلك قول عبد الله بن المعتزّ :

وقالُوا : النُّصُولُ مشيبٌ جَدِيدْ! * فقلتُ: الخضاب شباب جَدِيدْ!

إساءةُ هـذا بإحسانِ ذَا * فإن عاد هـذا فهـذا يَعودْ.

وقال أبو الطيب المتنبي :

١٠ وما خَضَبَ الناسُ البياضَ لأنّهُ * قَبِيحٌ ، ولكن أحسنُ الشَّعْرِ فاحِمُه.

وقال محمود الورّاق :

لِلضَّيْفِ أن يُقْرى ويُعْرَفَ حقُّه! * والشيبُ ضيفُك، فَاْقْرِهِ بخضابِ.

وقال عبدان الأصبهانيّ :

في مَشِيبي شَماتةٌ لِعِدانِي ، * وهو ناعٍ منغِّصٌ لحياتِي .

١٥ ويعيبُ الخضابَ قومٌ، وفيه * أيّ أُنسٍ إلى حُضُورِ وفاتي .

لا ومَنْ يعلَمُ السرائرَ منّي * ما به رُمْتُ خُلّةَ الغانياتِ .

إنما رمتُ أن يُغيَّبَ عني * ما تُرِينِيهِ كلَّ يومٍ مِراتِي .

وهو ناعٍ إليّ نفسِي، ومنْ ذا * سَرّه أن يرى وجوهَ النُّعاتِ ؟

وقال ابن الرومىّ :

يا بياضَ المَشيب سوّدتَ وجْهى ، * عند بِيض الوجوه سُودِ القرون !
فلعَمْرى ، لأُخفِينَّكَ جُهْدى * عن عِيانى وعن عِيان العُيُون !
ولعمْرى ، لأمْنَعنَّكَ أن تضحك فى رأس آسِف محزونِ !
بخضابٍ فيه ابيضاضٌ لوَجْهى * وسوادٌ لوجهك الملْعونِ ! ٥

وقال آخر :

نَهى الشيبُ الغوانِىَ عن وصالى * وأوْقَع بين أحبابى وبَيْنِى .
فلستُ بتاركٍ تدبيرَ دَفْنى * إلى أن ينقضى أمدى لحَيْنِى .
أُدبِّر لِحيتى ما دمتُ حيًّا * وأعتِقُها ولكن بَعْدَ عَيْنِى .

وقال آخر : ١٠

قالوا : فلانٌ لم يَشِبْ ، * وأرى المَشيبَ عليه أبْطا .
فأجبتُهم : لولا حديثُ الصِّبْغ لانكشَفَ المُغطّى .

***

ومما قيل فى ذم الخضاب : قال محمود الورّاق ، رحمه الله :

ياخاضِبَ الشيبِ الّذِى * فى كُلِّ ثالثةٍ يعُودْ . ١٥
إن النُّصُولَ إذا بدَا * فكأنه شَيْبٌ جَدِيدْ .
وله بَدِيهةُ رَوْعةٍ * مكروهُها أبدا عَتِيدْ .
فدَعِ المَشِيبَ لِمَا أرا * د فلنْ يعودَ لما تُرِيدْ .

وقال آخر:

تَسَتَّرَ بالخِضاب ، وأىّ شىءٍ * أدلُّ على المشيب من الخِضابِ ؟ ٢٠

وقال ابن الرومى :

قُلْ للمسوِّدِ حين سوّدَ : هكذا * غِشُّ الغوانى فى الهوى إيّاكا!
كذبَ الغوانِيَ فى سَوادِ عِذارِه، * فكذبْتَه فى وُدِّهِنَّ كذاكا!

وقال المتنبي :

ومِنْ هوى كلِّ مَنْ ليست مموِّهة * تركتُ لونَ مشيبي غيرَ مخضوب.
ومِنْ هوى الصدقِ فى قولى وعادتِه * رغِبتُ عن شَعَرٍ فى الوجه مكذوبِ.

وقال الأمير شهاب الدين بن يغمور عفا الله عنه :

ياصابغَ الشَّيبِ، والأيامُ تُظْهِره: * هذا الشبابُ، وحَقِّ الله مصنوعُ !
إن الجديد إذا ما كان فى خَلَقٍ * يَبِينُ للناس أن الثوبَ مرقوعُ.

* * *

وأما ما وصف به الوجه، فمن ذلك ما قيل فى المذكر.

قال الوجيهى :

مستقبَلٌ بالذى يهوى، وإن كثرت * منه الإساءة، معذورٌ بما صَنَعا.
فى وجهه شافعٌ يمحو إساءتَهُ * من القلوب، وجيها حيثما شَفَعا.

وقال الآخر :

رأيتُ الهلالَ على وجْهِهِ * فلم أدرِ أيُّهما أنورُ؟
سوى أنَّ ذاكَ قريبُ المَزَارِ * وهذا بعيدٌ لمن ينظُر.
وذاك يَغيبُ وذا حاضرٌ * فما مَنْ يغيبُ كمن يحضُر.
ونَفع الهلالِ كثيرٌ لنا * ونَفع الحبيبِ لنا أكثَرُ.

وقال ابن لنكك :

البدرُ والشمس المنيرةُ* والدُّمى والكوكبُ:
أضحتْ ضرائرَ وجهه . من حيثُ يطلُعُ تغربُ.
وكأنّ جمرَ جوانحي . في خدّه يتلهّب.
وكأنّ غُصنَ قَوامه . من ماءِ دمعي يشرَبُ.
وصوالجٍ في صُدْغه . بسواد قلبي تلعبُ.

وقال ابن المعتزّ :

نظرتُ إلى مَنْ زيّن الله وجْهَه ، . فيا نظرةً كادتْ على عاشقٍ تقضي !
وكبّرتُ عشرا ، ثم قلتُ لصاحبي : . متى نَزَل البدرُ المنيرُ إلى الأرضِ؟

وقال الخُبْزأرُزّي :

رأيتُ الهلالَ ووجهَ الحبيبْ . فكانا هلالَيْنِ عند النظَرْ.
فلَمْ أدر من حَيْرتي فيهما . هلالَ الدُّجى من هلال البشَرْ!
فلولا التورّدُ في الوجنتيْنْ . وما راعني من سَواد الشَّعَرْ،
لكنتُ أظنُّ الهلالَ الحبيبْ . وكنتُ أظنُّ الحبيبَ القمرْ!

وقال أبو الشيص :

تَخْشَعُ شمسُ النهارِ طالعةً . حينَ تراه ، ويخشع القَمَرُ.
تَعرِفُه أنه يفوقُهما . بالحسن ، في عين مَنْ له بَصَر.

وقال أبو هلال العسكريّ :

ووَجْه تَشرّب ماء النعيمْ ، فلو عُصِرَ الحسنُ منه انعصَر.

يمُــرّ فأمنحُه ناظــرِى ... فينثُرُ وردًا عليــه الخفَرْ.
تمتّعت العينُ فى حُسْنه، ... فمــا حَفَلَتْ بطلوع القَمَرْ.

وقال ابن المعتز :

يامُفــرَدًا بالحسن والشّكلِ، ... مَنْ دلّ عينيــك على قتْــلِى؟
البدرُ من شمس الضُّحى نُورُهُ، ... والشمسُ من وجهك تستَمْلِى.

وقال ابن المعذّل يصف عُتْبَةَ :

لعُتبــةَ صفحتاَ قمــرٍ ... يفوق سَناهما القمَرا.
يَزيدُكَ وجهُه حسنا ... إذا ما زدتَهُ نَظَــرا.

وقال السرىّ الرفاء :

قمــرٌ تفــرّد بالمحــاسن كلّهــا، ... وإليه يُنْسَب كلُّ حسنٍ يوصَف.
فجبينــه صُبْحٌ، وطُرّته دُجًى، ... وقَــوامُه غصنٌ رطيب أهيفُ.
لله ذاك الوجهُ! كيف تألّفتْ ... فيــه محاسنُ لم تكن تتألّفُ؟

وقال آخر :

وفى أربع منّى حلّتْ منــك أربعٌ، ... فمــا أنا أدرى أيُّهــا هــاجَ لى كَرْبِى؟
أوَجْهُك فى عينى، أم الرِّيقُ فى فَمى، ... أم النطقُ فى سمعى، أم الحُبُّ فى قلبى؟

ومثله قول يعقوب الكندىّ :

وفى خمسةٍ منّى حلّتْ منك خمسةٌ: ... فريقُك منها فى فَمِى طيِّبُ الرَّشْفِ،
ووجهُك فى عينى، ولَمْسُك فى يدى، ... ونُطْقُك فى سمعى، وعَرْفُك فى أنفى.

وقال أبو نُوَاس :

كأنمـا الوجهُ إذ بَدَا قمـرٌ ... مُرَكَّب فوق قامة الغُصُن.

ياذا الذى أصبح العِبـادُ به ... فى فتنةٍ من عظائم الفِتَن !

أقْبِل بوجه الهَوى إلىّ، فقد ... أطلْتَ بالصدّ مُعرِضًا حَزَنِى!

وقال محمد بن وهب :

نَمْ فقد وَكَّلْتَ بى الأرَقَا ... لاهَنَـا بَعْـدُ لمن عَشِقا.

إنمـا أبقيتَ من جَسَدِى ... شَبَحا غيرَ الذى خُلِقَـا.

ما لمن تَمَّتْ محاسِنهُ ... أن يُعادِى طَرْفَ مَن رَمَقَا.

لك أن تُبْدِى لنا حَسَنا ... ولنا أن نُعْمِل الحَـدَقا.

(١٣) ومن ذلك ماقيل فى المؤنث، قال آبن سكرة :

فى وجْه إنسانةٍ كَلِفتُ بهـا ... أربعةٌ ما آجتمعْنَ فى أحد.

فالخـدُّ وَرْدٌ والصُّدغ غاليةٌ ... والرِّيق خمـرٌ والثغرُ من بَرَدِ.

لكلِّ جُزء من حُسنِها بِدَعٌ ... تُودِعُ قلبى ودائِـعَ الكَمَـد!

وكان مكتوبا على عِصابةِ وَرْد جارية الماهانىّ :

تَمَّتْ! وتَمَّ الحسنُ فى وجهِها! ... فكلُّ شىءٍ ما سواها مُحالْ.

للناس فى الشهرِ هلالٌ، ولى ... فى وجْهها كلَّ صباحٍ هلالْ!

وقال آخر :

وإذا الدُّرّ زانَ حُسْنَ وجُوهٍ ... كان للدُّرّ حسنُ وجهِك زَيْنا.

وتَرِيدين طَيِّبَ الطيب طِيباً ... إن تَمَسِّيه! أينَ مثلُكِ أينا؟

وقال آخر :

ليس فيها أن يُقال لها : * كَمَلَتْ، لو أن ذا كَمُلا.

كلُّ جزءٍ من محاسنها * صائرٌ من حسنِها مَثَلا.

وقال عمر بن أبي ربيعة :

وفتاةٍ إن يغبْ بدرالدُّجى ، * فلنا في وجْهها عنه خَلَفْ.

أجمع الناسُ على تفضيلها ، * وهواهُمْ في سواها مختلِف.

وقال الجمانيّ من أبيات :

نرى الشمسَ والبدرَ معناهما * بها واحدًا، وهما مَعْنيانْ.

إذا طلَعتْ وجهها، أشرقا * بطلعتها ، وهما آفِلانْ.

⁂

ومما وُصِف به صفاء الوجه ورقَّة البشرة، فمن ذلك ماقيل مذكرا .

قال أبو نُوَاس :

نظرتُ إلى وجهه نظرةً * فأبصرتُ وجهِيَ فيوجهه.

وقال آخر :

أعِدْ نظَرا! فما في الخدِّ نبتٌ، * حماهُ الله من رَيْب المَنُونِ!

ولكنْ رَقَّ ماءُ الوجه حتّى * أراك مثالَ أهداب الجُفُونِ!

ومثله قول الآخر :

ولما آستدارتْ أعينُ الناسِ حولَهُ * تُلاحِظُه كيف استقلَّ وسارا،

تمثّلتِ الأهدابُ في ماء وجهه، * فظَنّوا خيالَ الشَّعْر فيه عِذارا.

وقال الأرّجانىّ :

ما أنسَ، لا أنسَى له موْقِفاً، * والعِيسُ قد ثوَّرَهُنّ الحُداةْ.
لَمّا تجلّى وجهُه طالعاً، * وقد ترامَتْ نَظَراتُ الوُشاةْ.
قابلَنِى حين بدتْ أدمُعِى * فى خَدِّه المصقولِ مثل المِراةْ.
يُوهِم صَحْبِى أنه مُسْعِدِى * بأدمعٍ لم تُذْرِها مقلتاهْ.
وإنما قلّدَنِى مِنّةً * بدمْع عين من جُفونِى آمتراهْ.
ولم تقعْ فى خدِّه قطرةٌ * إلا خَيالاتِ دمُوع البُكاهْ.

وقال أيضا :

وأغيدَ رقّ ماءُ الوجهِ منه، * فلو أرخى لِثَاما عنه، سالا.
تبين سوادَها الأبصارُ فيه، * فحيثُ لحظتَ منه، حَسِبْتَ خالَا.

ومن ذلك ما قيل فى المؤنث، قال بشار :

وما ظَفِرتْ عينى غَداةَ لقيتُها * بشىءٍ، سوى أطرافها والمحَاجِرِ.
بحَوْراءَ من حُور الجنان عزيزةٍ، * يَرَى وجهَهُ فى وجهها كلُّ ناظرِ.

وقال السرىّ الرفاء :

بيضاءُ تنظُر من طَرْفٍ تقلّبُهُ: * مفرِّقٍ بين أجسادٍ وأرواحِ.
ماءُ النعيمِ على دِيباجِ وَجْنتِها * يجولُ بين جَنى وَرْدٍ وتُفّاحِ.
رَقّتْ: فلو مُزِجَ الماءُ القَراحُ بها * والراحُ، لآمتزجَتْ بالماء والرّاحِ!

وقال الأرّجانيّ من أبيات :

ولمّا تلاقينا، وللعين عادةٌ * تُثير وُشاةً عند كلِّ لقاءِ،
بدتْ أدمُعي في خدّها من صقاله، * فغارُوا وظنوا أن بكَتْ لبُكائي !

⁂

ومما قيل في صفرة الوجه، فمن ذلك ما قيل مذكرا .

قال أبو عبادة البحتريّ :

بَدتْ صُفرةٌ في وجهه، إنَّ حَمْدَهُمْ * من الدُّرِّ ما اصفرّتْ نواحيه في العِقْدِ.

وقال آخر :

لم تَشِنْ وجهَه المليحَ، ولكن * جعلَتْ وَرْدَ وجنتيه بَهارا .

وقال الأرّجانيّ وأجاد :

راقَ ماءُ الحياةِ من وجنتيه، * فهو مِرْآةُ أوجُهِ العُشّاقِ!

⁂

ومن ذلك ما قيل في المؤنث، قال سَلْم الخاسر : (١٤)

تبدّتْ فقلتُ : الشمسُ عند طلوعها * بوجهٍ غنيِّ اللون عن أثر الوَرْسِ!
فقلتُ لأصحابي، وبي مثلُ ما بهم، * على رِيبةٍ : ما هاهنا مطلعُ الشمس!

وقال أبو تمام :

صفراءُ — صفرةَ صحة — قد ركّبتْ * جُثمانُها في ثوب سُقم أصفَرِ.

وقال مسعود الأصبهانيّ، شاعر الخريدة :

وقَينةٍ قال لها ناقصٌ : * كَمُلْتِ، لولا صُفرة اللونِ.
قلتُ : اتّئد! فالشمسُ مصفرّةٌ، * وهيَ صلاحُ الأرض في الكَوْنِ!

⁂

وممـا قيل فى السُّمْرة، قال شاعر :

كيفَ لا أعْشَقُ ظَبْيا * سارحًا فى ظِلِّ ملك.
إنمـا السُّـمْرة فيـه * مَزْجُ كافور بمِسْكِ.

وقال آخر :

ياذا الذى يُذْهِبُ أمـوالَهُ * فى حُبِّ هذا الأسمر الفائِق!
ماالذهبُ الصامتُ مستكثَرا * إذهابُه فى الذهَب الناطِق!

وقال آخر :

ذَهبِيُّ اللون! تحسَبُ مِن * وجنتيه النـارَ تُقتَـدَحُ.
خوّفُونى مِن فضيحتِه! * ليتَـهُ وافى، وأفتضِحُ!

⁂

وممـا قيل فى السَّواد (وهو يختص بالمؤنث) :

قال الزركشيّ فى "دنانيرَ" البرمكية :

أشْبَهَكِ المسكُ، وأشبهتِه: * قائمـةً فى لونه قاعـدَهْ.
لا شكَّ، إذ لونُكما واحدٌ، * أنكما من طينةٍ واحده.

وقال ابن الروميّ :

أكسَبها الحُبَّ أنها صُبِغتْ * صبغةَ حَبِّ القلوب والحَدَقِ.
فأقبلتْ نحوَهـا الضمائرُ والأبصارُ، يعبقْن أيَّمـا عَبَـقِ!
يفترُّ ذاكَ السـوادُ عن يَقَقٍ * فى نحـرها كاللآلئِ النَّسَـقِ.
كأنهـا، والمِزاحُ يُضحِكها، * ليلٌ تفرّى دُجاه عن غَسَقِ.

وقال الصنوبري :

يا غُصُنا من سَبَج رَطْبِ ، * أصبح منكِ الدرّ في كَرْبِ!
حبُّكِ من قلبي مكانَ الذي ، أشبهتِه من حَبَّة القلْب.

وقال محمد بن عبد الله السلامي ، شاعر اليتيمة عفا الله عنه :

يارُبَّ غانيةٍ بيضاءَ تَصْبَحُني * من العتاب كُؤوسا ليس تَنْساغُ.
أشتاقُ طُرّتَها أو صُدْغَها ومعي * من كلّها طررٌ سُود وأصداغ!
كأننا ، لا أتاح الله فُرْقتَنا! * يا كعبةَ المِسْك ، يازَنْجيّةٌ ، زاغٌ.

وقال آخر :

أُحِبُّ النساءَ السُّودَ من أجل تُكْتَمٍ ، * ومن أجْلِها أحببتُ مَنْ كان أسودَا!
فجئني بمثلِ المسك أطيبَ نفحةً! * وجئني بمثل الليل أطيبَ مَرْقَدا!

وقال العسكري :

صرفتُ وُدّي إلى السُّودانِ من هَجَرٍ ، * ولا ٱلتفتُّ إلى رُومٍ ولا خَزَرِ!
أصبحتُ أعشَقُ من وجْهٍ ومن بدَنٍ * مايعشَقُ الناسُ من عينٍ ومن شَعَرِ.
فإن حسِبْتَ سَوادَ الخدِّ منقَصةً ، * فانظرْ إلى سُفعة في وجْنة القَمَر!

وقال بشار وأجاد :

يكونُ الخالُ في خدٍّ نقيٍّ * فيُكسِبُه المَلاحة والجَمالَا ،
ويُوهِمُه لأعيُنِ مُبْصِريه ، * فكيف إذا رأيتَ اللون خالا؟

وقال أبو عليّ بن رشيق :

دعَا بكِ الحسنُ فاستجيبي * باسمكِ في صِبغة وطِيب .
تيهي على البيض وٱستطيلي ، * تيهَ شبابٍ على مَشيب!

ولا يَرُعْكِ آسوِدادُ لونٍ * كَمُقْلة الشادِنِ الرَّبِيب.
فإنما النُّور عن سَوَاد * فى أعيُن الناس والقُلُوبِ!

وقال آخر:

إن أزهَرَتْ لَيْلًا نجومُ السما * بِيضًا على أسودَ مُرْخى الإزارْ.
وأوجب العكسُ مثالًا لها ، * فالسُّود فى الأرض نجومُ النهارْ.

❖

ومما وصف به أثر الجُدَرِىّ فى الوجه، من ذلك قول الناجم :

ياقمرًا جَدِر لما آستوى * وآكتسب الملحَ بتلك الكُلُومْ!
أظنُّه غنَّى لشمس الضُّحى * فنقَّطتـه فَـرَحا بالنُّجـومْ.

وقال آخر:

وقالوا: شانَهُ الجُدَرِىُّ، فانظُرْ * إلى وجـهٍ به أثَرُ الكُلومِ!
فقلتُ: ملاحةٌ نُثِرت عليه! * وما حُسْـنُ السماء بلا نُجُوم؟

ومثله قول الآخر:

أيُّها العائبونَ وجها مَلِيحا * نثر الحُسْنُ فيه نَبْذَ خُدُوش!
أىُّ أُفْقٍ بهَا بغير نُجوم؟ * أىُّ ثوب زَهَا بغير نُقُوش؟

وقال أبو زيد القاضى :

غايةُ الحاسدِ الذى لامَ فيه * أنْ رأى فوقَ خدِّه جُدَرِيًّا.
إنما وجهُه هلالُ تَمامٍ، * جعلُوا بُرْقُعا عليه الثريَّا!

وقال أبو تمام بن رباح :

خَدُّكِ مرآةُ كلِّ حُسْنٍ ، * تحسُنُ من حُسْنها الصِّفاتُ !
مالى أرى فوقَهُ نُجُوما ، * قد كُسِفتْ وهى نيِّراتُ؟

*

ومما قيل فى الحواجب، فن محاسنها : الزَّجَجُ، والبَلَج .

فأما الزَّجج، فدقة الحاجبين وآمتدادُهما .

وأما البَلَج، فهو أن يكون بينهما فُرْجة . والعرب تستحب ذلك .

ومن معايبها : القَرَن، والزَّبَب ، والمَعَط .

فالقرن، آتصال الحاجبين . والعرب تكرهه .

والزَّبب ، كثرة شعرهما .

والمَعط ، تساقط الشعر عن بعض أجزائهما .

*

ومما وُصِفت به الحواجب، قال الزاهى :

وأغيدَ مجدولِ القَوامِ جبينُهُ سَنا القمر البدرىّ فى الغُصُن الرَّطْب .
تنكَّب قوسَ الحاجبَين فسهمه لواحظُه المَرْضى . ورِجاسُه قلبى !

وقال عبد الله بن أبى الشيص :

حَذِرتُ الهوى حتّى رُميتُ من الهوى بأصْردِ سهمٍ من قِسِىّ الحواجبِ .

وقال محمد بن عبد الرحمن الكوفىّ :

ومستلِبٍ عينَ الغزال وقد تُرى بجبهته عينُ الغزالة ماثلا .
تناول قوسَ الحاجبين مُفَوِّقا بأسهم ألحاظٍ تشُكُّ المَقاتلا .

وقال آخر :

غَزَانِى الهوى فى جيشه وجُنوده ❊ وعبّى علىّ الخيلَ من كلّ جانبِ

بميمنــةٍ أعلامُها أعينُ المَهَـا ❊ وميسرةٍ تقضى بِزُجّ الحـواجبِ

وقال آخر :

لها حاجبان، الحُسْن والغُنْج منهما ❊ كأنهـما نونان من خطّ ماشق

❊ ❊ ❊

وممـا قيل فى العيون ووصفها، فن محاسنها :

الدَّعَج ، وهو شدّة السّواد مع سَعَة المُقْلة .

البَرَج، وهو شدّة سوادها وشدّة بياضها .

النَّجَل، سَعَتها .

الكَحَل، سواد جُفُونها من غير كُحْل .

الحَوَر، آتساع سوادها كأعيُنِ الظباء . وقيل: هو سواد العين وشدّةُ بياضها .

الوطَف، طول أشفارها، وفى الحديث أنه كان عليه الصلاة والسلام فى أشفاره وَطَفٌ .

الشُّهْلة، حمرة فى سوادها .

ومن معايبها :

الحَوَص، ضيق العين .

الخَوَص، غُؤُورها مع الضيق .

الشَّــتَر، آنقلاب الجفن .

العَمَش، هو أن العين لاتزال سائلةً رامصةً .

الكَمَش ، أن لاتكاد تبصر .

الغَطَش، شبه العَمَش .

الجَهَــر، أن لاتبصر نهارا .

العَشَــا ، أن لاتبصر ليلا .

الخَــزَر، أن ينظر بمؤْخر عينه .

الغضَنُ ، أن يكسر عينه حتّى تَتَغَضَّنَ جُفونُه .

القَبَــل ، أن يكون كأنه ينظر إلى أنفه . وهو أهون من الحول .

الشُّطور، أن تراه ينظرُ إليك وهو ينظر إلى غيرك . وهو قريب من صفة الأحول .

وفيه يقول الشاعر :

حَمِــدْتُ إلهى إذ بَلانِى بحبِّــه وبى حَولٌ أغنى عن النظَر الشَّزْرِ

نظــرتُ إليــه ــ والرقيبُ يظنُّنى ، نظرت إليه ــ فاسترحتُ من العذرِ

الشَّوَص ، أن ينظر بإحدى عينيه ويُميلَ وجهه فى شق العين التى ينظر بها .

الخَفَش ، صِغَر العين وضَعْف البصر . ويقال إنه فساد فى العين يضيق له الجَفنُ من غير وجع .

الدَّوَش ، ضيق العين وفساد البصر .

الإطْراق، استرخاءُ الجفن .

الجُحُــوظ، خروج المُقْلة وظهورها من الحِجَاج .

البَخَــق، أن يذهب البصر، والعين منفتحةٌ .

الكَمَــه ، أن يولد الإنسان وهو أعمى .

البَخَص، أن يكون فوق العين أوتحتها لحم ناتئ .

فصل
في عوارض العين

يقال :

حَسِرتْ عينُه ، إذا اعتراها كَلال من طول النظر .

زَرَّتْ عينُه ، إذا توقَّدت من خوف .

سَدِرتْ عينه ، إذا لم تكد تبصر .

اسْمَدَرّت عينه ، إذا لاحت لها سمادير ، وهي ما يتراءى لها من أشباه الذّباب وغيره .

قَدِعت عينه ، إذا ضعُفتْ من الإكباب على النظر .

حَرِجتْ عينه ، إذا حارت .

قال ذو الرمّة :

* وتَحْرَجُ العينُ فيها حِينَ تَنْتقِبُ *

(١٦)

هَجَمتْ ، إذا غارت .

ونَقْنقَتْ ، إذا زاد غؤورها ، وكذلك حَجَلتْ وهَجَّجتْ .

ذَهِبت ، إذا رأتْ ذَهَبا كثيرا فحارتْ فيه .

شَخَصت ، إذا لم تكد تَطْرِف من الحَيْرة .

فصل
في كيفية النظر وهيئته

إذا نظر الإنسانُ إلى الشيء بمجامع عينيه ، قيل : قد رَمَقه .

فإذا نظر من جانب أذنه ، قيل : لَحَظه .

فإذا نظر إليه بعَجَلة، قيل : لَمَحه .

فإذا رماه ببصره مع حِدَّة، قيل : حَدَجه بطَرْفه .

(وفي حديث ابن مسعود «حَدِّث القومَ ما حَدَجُوك بأبصارهم») .

فإن نظر إليه بشدّة وحِدّة، قيل: أرْشَقَه وأَسَفَّ النظرَ إليه .

(وفي حديث الشعبيّ أنه كَرِه أن يُسِفَّ الرجلُ إلى أمّه وأخته وابنته) .

فإن نظر إليه نظر المتعجِّب أو الكاره المبغض، قيل: شَفَنه وشَفَن إليه شُفُونا وشَفْنا .

فإن أعاره لَحْظَ العداوةِ، قيل : نظر إليه شَزْرا .

فإن نظر إليه بعينِ المَحَبة، قيل : نظر إليه نَظْرةَ ذى عَلَق .

فإن نظر إليه نظرة المستَثْبت، قيل : تَوضَّحه .

فإن نظر إليه واضعًا يده على حاجبه مستظلًّا بها من الشمس ليستبين المنظورَ إليه : قيل استكَفَّه واستَوْضَحه واستَشْرفَه .

فإن نشر الثوبَ ورفعه لينظر إلى صَفَاقته : قيل استَشَفَّه .

فإن نظر إلى الشيء كاللَّمْحة ثم خفِيَ عنه، قيل : لاحه لوحةً . قال الشاعر :

- وهَلْ تَنْفَعَنِّى لوحةٌ لو أُلُوحُها -

فإن نظر إلى جميع ما في المكان حتّى يعرفه، قيل : نَفَضه نَفْضا .

فإن نظر في كتاب أو حساب، قيل : تَصَفَّحه .

فإن فتح عينيه لشدّة النظر، قيل : حَدَق .

فإن لَألأهما، قيل : بَرَّق .

فإن انقلب حِمْلاقُ عينيه، قيل : حَمْلَق .

فإن غاب سواد عينيه من الفزع، قيل : بَرَّق بصرُه .

فإن فتح عين مُفَزَّع أومهدَّد، قيل : حَمَّج .

فإن بالغ فى فتحها وأحدَّ النظرَ عند الخوف، قيل : حَدَّج .

فإن كسر عينه عند النظر، قيل : دَنْقَش وطَرْفَش .

فإن فتح عينه وجعل لايَطْرف، قيل : شَخَص . (وفى القرآن العزيز : ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُهُمْ﴾) .

فإن أدام النظر مع سكون، قيل : أَشْجَدَ .

فإن نظر إلى أُفُق الهلال ليراه، قيل : تَبَصَّره .

فإن أتبع الشىءَ بصرَه ، قيل : أَتأَرَه بصَرَه .

وقد أوسع الشعراء فى وصف العيون ووصفوها بالمَرَض والسُّقْم، وإن كانت صحيحةً . فمن ذلك قول الشاعر :

بَرَّحَ السُّقْمُ بى وليس صَحِيحًا ... مَنْ رأَتْ عينُه عُيونًا مِرَاضًا .
إنَّ للأَعْيُنِ المِرَاضِ سِهامًا ... صيَّرتْ أنفُسَ الوَرَى أغْراضَا .
جَوْهَرُ الحُسْنِ منذُ أعرضَ للقَلْـ ... ـبِ ثَنَى الجسمَ كلَّه أعْراضَا .

وقال جرير :

إنَّ العيونَ التى فى طَرْفها مَرَضٌ ... قتَلْنَنا ثُمَّ لم يُحْيِينَ قَتْلانَا .
يَصْرَعْن ذا اللُّبِّ حتَّى لاَحَرَاكَ به ... وهُنَّ أضعفُ خَلْقِ اللهِ أَرْكَانَا .

وقال ذو الرمّة :

وعيانِ قال اللهُ كُونَا فكانَتَا ... فَعُولَيْنِ[1] بالألباب ماتَفْعَل الخمْرُ.

(١) المشهور «فعولان» . انظر وصف الصبر .

ومما وصفت به العيون على لفظ التذكير، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز:

عليمٌ بما تحتَ الصُّدورِ من الهوى . سريعٌ بكرِّ اللَّحظِ والقلبُ جازعُ .
ويجرح أحشائي بعينٍ مَريضةٍ كما لانَ مسُّ السيفِ والسيفُ قاطعُ .

وقال خالد :

عينُه سَفَّاكةُ المُهَج . من دَمي في أعظم الحَرَج .
أسهرَتْني وهي لاهيةٌ . باحْوِرار العينِ والدَّعَج .

وقال الهَمْداني :

تَعْمَل الأجفانُ بالدَّعَج . عمَلَ الصَّهباءِ بالمُهَج .
قُلْ لظَبْيٍ تُسْترقُّ له . مُهَجُ الأحرار بالدَّعَج :
أنتَ والأجفانُ ما لحَظَتْ . من فُتور العينِ في حَرَج .
كيفَ أدْعُو اللهَ أسألُهُ . فَرَجا ممَّنْ به فَرَجي؟

وقال خالد :

ومَرِيض طَرْفٍ ليس يَصْرِف طَرْفَه نحوَ امْرِئٍ، إلا رماه بحَتْفِه .
قد قلتُ إذ أبصَرْته متمايلاً ، والرِّدفُ يجْذب خصْرَه من خَلْفه :
يا مَنْ يُسَلِّم خصْرَه من رِدْفه ، سَلِّمْ فؤادَ محبِّه مِنْ طَرْفه!

وقال أبو هفَّان :

أخُو دَنَفٍ رمَتْه فأقصَدَتْهُ سِهامٌ من جُفُونك لا تَطِيشُ .
ومواتِلٌ لا قِداحَ سِوى احْوِرارٍ بهِنَّ، ولا سِوى الأهداب رِيشُ .

وقال أبو تمام :

يا سَقَمَ الجفنِ من حَبيبي ، * ألبستني حُلَّةَ السَّقَامِ !
كَمْ قتلَتْ مُقْلتاكَ ظُلْما * مِنْ عاشقِ القلب مُسْتهامِ .
يامَنْ بعينيه لى غرامٌ * قَرَّبَ من مُهْجتى حمامى !
قدرَوِيَتْ من دمى ، فحسْبى * صوائبُ النَّبْلِ والسِّهامِ !

وقال العسكرى :

فأرعى تحتَ حاشيةِ الدَّيَاجِى * شَقائقَ وَجْنةٍ سُقيتْ مُداما .
إذا كَرَّتْ لواحِظُ مقلتيْه ، * حَسبْتَ قُلوبَنا مُطرت سِهامَا .

وقال ابن المعلم :

سَلْ مَنْ بعينْيه يَصُولُ : * أهِيَ اللّحاظُ أم النُّصُولْ ؟
ما جُرِّدت يَوْمَ النوى ، * إلا لتختلِسَ العُقُولْ !
شَهَرت عيونُهمُ سُيُو * فا ، ما بمَضْربها فُلُولْ .
تُضمِى بغيرِ جِراحةٍ ، * تَفْرِى بغيرِ دمٍ يَسِيلْ .
ولَهَا بأفئدةِ الهَوى * فَتْكٌ ، وليس لها صَلِيلْ .

وقال آخر :

رُوحِى الفداءُ لِمَنْ أدار بلَحْظِه * صهباءَ فى عَقْلِى لها تأثيرُ !
ومِن العجائب أن يُديرَ بلحظه * مشمولَةً ، وإناؤها مَكْسُورْ !

وقال آخر :

القَلْب بكَ المسْلُوب والملسوب * والصب بك المَتْبُوب والمتعُوب .
يامَنْ طَلَبَتْ لحاظُه سفكَ دمى : * مَهْلا ، ضعُف الطالبُ والمَطْلوب !

وقال أبو تمام :

مُتَطَلِّبٌ بصُدودِه قتلى ، فردُ المحاسنِ وجهُه شُغلى .
ألحاظُه فى الخَلْقِ مُسرِعةٌ ، فيما تُرِيدُ كسُرعةِ النَّبلِ .

وقال آخر :

٥ ألحاظُكُمْ تجرَحُنا فى الحَشَا ، ولحظنا يجرحكم فى الخُدودْ .
جَرْحٌ بجَرْحٍ ، فاجعلُوا ذا بِذَا ! فما الّذِى أوجبَ هذا الصُّدُودْ؟

وقال آخر :

ومُقْلةِ شادِنٍ أودتْ بقلبِى ، كأنَّ السُّقْمَ لى ولها لِباسُ .
يَسُلُّ اللحظَ منها مَشْرَفِيًّا ، لقتلى ، ثم يُغْمِدُه النُّعاسُ .

١٠ وقال ابن الرومىّ :

يا عَليلًا ، جعلَ العِلّةَ مِفتاحا لظُلْمِى !
ليس فى الأرضِ عَلِيلٌ ، غيرَ جَفْنَيْكَ وجِسْمِى .
بك سُقْمٌ فى جُفُونٍ ، سُقْمُها أكّدَ سُقْمى .

وقال تاج الدين بن أيوب :

١٥ أسْقَمَنِى طَرْفُكَ السّقيمُ ، وقد حكاه مِنّى فى سُقْمِهِ الجَسَدُ !
هَبَّ نسيمٌ من نحوِ أرضِكَ لِى ، فزادنِى فى هَواكَ ما أجِدُ .
وهاج شَوْقى ، والنارُ ما بَرِحتْ عندَ هُبُوبِ الرِّياحِ تتّقِدُ .

وقال ابن المعتز :

ضعيفةٌ أجفانُه ، والقلْبُ منه حَجَرُ !
٢٠ كأنّما ألحاظُه من فعْلِه تعتَذِرُ .

ومما وصفت به العيون على لفظ التأنيث، فمن ذلك ما قاله عدىّ بن الرقاع :

وكأنّها بينَ النّساءِ أعارَها * عينيه أحْورُ من جآذرِ جاسِم .
وَسْنانُ أقصدهُ النُّعاسُ فرنَّقتْ * فى عينه سِنَةٌ وليس بنائم .

وقال الناجم :

كادالغزَالُ يَكُونُها، * لكنَّما هو دُونَها .
والنَّرجِسُ الغضُّ الجنىّ * أغضُّ منه جُفُونُها .
مَنْ كان يعرف فضلَها * فعن القيَاس يَصُونُها .

وقال أبو دلف :

تَقْتنِصُ الآسادَ مِنْ غِيلِها، * وأعيُنُ العِينِ لنا صائدَهْ !
يَنْبُو الحُسامُ العضْبُ عنا وقد * تَكْلِمُ فينا النظرةُ القاصِدَهْ !
تهابُنا الأُسْدُ، وتَخْشى المَهَا : * آبِدةٌ ما مِثْلُها آبِدهْ !

وقال آخر :

لِلهِ ما صنَعَتْ بنا * تلك المَحَاجِرُ فى المَعَاجِرْ !
أمضى وأنفذُ فى القلو * ب من الخَنَاجر فى الحَنَاجِرْ !

وقال آخر :

يَنْظُرْنَ من خَلَلِ السُّجُوف كأنَّما * يُمْطِرنَ أحشاءَ الكريم نِبَالا !

وقال أبو فراس الحمدانىّ عفا الله تعالى عنه ورحمه :

وبِيضٍ بألحاظِ العُيونِ كأنَّما * هَزَزْنَ سُيوفًا أوسَلَلْنَ خناجِرا .
تَصَدَّيْنَ لى يومًا بمُنعَرَجِ اللِّوى * فغادَرْنَ قلبى بالتصبُّرِ غادرا .

١٨

سَفَرْن بُدورا، وآنتقبْنَ أهلَّةً، * ومِسْن غصُونا، والْتفتْنَ جآذِرا.
وأطْلَعْنَ فى الأجياد للدُّرِّ أنجُمًا * جُعِلْن لحَبَّات القلوب ضَرائِرَا.

وقال آبن الرومى :

نظَرَتْ، فأقصدتِ الفُؤادَ بطَرْفِها، * ثم آنثنَتْ عنِّى، فكِدتُ أهِيمُ!
وَيْلاىَ! إن نظَرَتْ وإن هى أعرضَتْ: * وقعُ السِّهامِ ونزعُهنّ أَلِيمُ!

وقال أيضا :

لطَرْفِها وهو مصروفٌ كموْقِعه * فى القلب حِين يروعُ القلبَ مَوْقعُه.
تصُدّ بالطَّرْف لا كالسَّهم تَصْرِفهُ * عنِّى، ولكنَّه كالسَّهْم تنزِعُه.

وقال الأرَّجانى :

نَقَبُوهنَّ خَشيةَ العُشَّاق! * أوَ لم تكْفِ فتنةُ الأحْداق؟
إنّ فى الأعينِ المِراضِ اَشْغلاً * للمُعَنَّى عن الخُدود الرِّقاق!
كُلُّ مافاتَ فى الليالِى المواضِى * فهو فى ذمّة اللَّيالِى البَواقى.

وقال أيضا :

ستَرْنَ المحاسنَ إلا العيُونا * كما يَشْهَد المَعْرَكَ الدَّارِعُونا.
سلَلْنَ سُيُوفا ولاقَيْنَنَا! * فلا تَسْأل اليومَ ماذا لَقِينا.
كسَرْنَا الجفُونَ ولولا الرِّضا، * بحكْمِ الغَرامِ كَسَرْنا الجُفُونا.
وحَسْبُ الشهيدِ سُرورًا بأن * يُعايِنَ حُورًا مع القَتْل عِينَا.

وقال أبو نُوَاس :

ضَعيفةُ كَرِّ الطَّرْف تَحْسَبُ أنها * قريبةُ عَهْدٍ بالإفاقةِ من سُقْم.

وقال آخر :

يامَنْ تَكَحَّل طَرْفُها * بالسِّحْر لا بالإثمِـدِ!
نَفْسى كما عَــذَّبتِها * وقتلْتِها بالإثم، دى! (١)

ومما قيل فى أدواء العين، فمن ذلك :

الغَمَص، أن لا تزال العين تَرْمَص .

المَحَـح ، أسوأ الغَمَص .

المَخَص، التِصاق الجُفُون .

العائر ، الرَّمد الشديدُ . وفيه يقول النابغة :

وباتَ وباتَتْ له ليلةٌ * كليلة ذى العائرِ الأرْمَد.

وكذلك الساهِكُ .

الغَـرْب، ورَم فى المآق .

السَّـبَل ، أن يكون على بياضها وسوادها شِبْه غِشَاء .

السَّـجَا (٢) ، أن يعسُر على الإنسان فتحُ عينيه إذا آنتبه من النوم .

الظَّفَـر ، ظهور ظَفَرة (وهى جُلَيدة تغشى العين من تلقاء المآق) .

الطَّـرْفة، أن يحدُث فى العين نقطةٌ حمراء .

الآنتِشَار، أن يتسع ثقب الناظِر حتّى يلحق البياضَ من كل جانب .

الحَـــثَر، أن يخرُج فى العين حَبٌّ وهو الجَرَب .

القَــمَر، أن يعرض للعين فَتْرة وفساد . يقال : قَمِرت عينه .

(١) فعل أمر لمؤنث من "ودى" بمعنى دفع الدية بسبب الإثم الذى وقع منها .
(٢) فى "فقه اللغة" الجُسأة [بتقديم الجيم على السين ولعله الصواب] .

⁂

ومما قيل فى أرمد، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز (وقيل إنها لأبن الرومى، وقيل للناجم) :

قالوا: آشتكتْ عينُه! فقُلتُ لهم: * من كَثْرةِ الفتْك نالَهـا الوَصَبُ!

٥ حُمرتُها من دماءِ مَنْ قتلَتْ، * والدمُ فى النَّصْل شاهدٌ عَجَبُ.

وقال آبن منير الطرابلسىّ :

رَنَا وفى طَرْفه آحمرارٌ، * يغُضُّ من سِحْر مقاتِيْه.

وفاضَ من نَرْجِسَيْه ماءٌ، * ضَرَّجه وردُ وجنتَيْـه.

فقلتُ يامرِضى بوجهٍ، * أظنُّ دائِى سرى إليـهِ!

١٠ هيهاتَ، لاتجحَدَنّ قتلى! * هذا دمِى شاهدٌ عليه!

وقال الواثق بالله :

لى حبيبٌ قد طال شوقِى إليه، * لا أُسَمِّيه من حِذَارى عليْـه.

لم تكن عينُـه لِتجحَدَ قتـلى، * ودمِى شاهـدٌ على وجنتَيْـهِ!

وقال الصولىّ :

١٥ يَكْسِرُ لى طَرْفا به حُمرةٌ، * قد خَلطَ النَّرجِسَ فى وَرْدِهْ.

ما آحمرّت العينُ، ولكنّهُ * يَكْحُلُهـا من وردَتَىْ خَدِّهْ!

وقال آخر :

قالوا: بَدتْ فى عينه حُمْرةٌ * قد حازهَا مِن وَرْدةِ الخدِّ.



فقلتُ : لم يَرْمَدْ ولكنهُ * يُصابِغُ النَّرجسَ بالوَرْد!

وقال أبو عبد الله بن الحدّاد الوزير :

يا شاكى الرَّمَد الذى بشَكاتِه، * قد صار دهرِى فيه ليلةَ أرمدَا!
اللهُ والإشفاق يعلم أنَّنى * لو أستطيعُ فِدًا، لكنتُ لك الفِدَا!
كَمْ من دمٍ سفكتْ جُفونُكَ لم تزل * تُخفِى وتكْتُم سَفْكَه حتّى بدا.
لم يَشْتَمِلْ بدمٍ غِرارُ مهنّدٍ * إلا وقد أهْدى النفوسَ إلى الرَّدى.

وقال أبو الفرج الببغاء :

بنفسِىَ مايشكوه مَنْ راحَ طَرْفُهُ * ونَرْجِسُه مما دهى حسنَهُ وَرْدُ!
أراقتْ دمِى ظُلْما محاسنُ وجهه، * فأضحتْ وفى عينيه آثارُه تبدُو!
غدَتْ عينُه كالخَمْر حتّى كأنما * سقى عينَهُ من ماء تَوْرِيده الخدُّ.
لئِن أصبحتْ رمداءَ مُقْلةُ مالكى، * لقد طال ما آستَشْفتْ به مُقَل رُمْدُ!

وقال آخر :

قُضُب الهندِ والقَنَا أخدانُكْ! * والمَقاديرُ فى الورى أعوانُكْ!
أيّها ذا الأميرُ مارَمِدت عَيْـ * ـنك! حاشَا لها، ولا أجفانُكْ!
بل حكَتْ فِعلَكَ الكريمَ ليضحى * شانُها فى العُلى سواءً وشانُكْ.
فهى تَحْمَرُّ مثل سيفك فى الرّو * ع، وتصفُو كما صَفَا إحسانُكْ.

وقال آخر وأجاد :

لقد جارَ ماتشكوه فى الحُكْم وآعتدى * وأسْرفَ فى أفعاله وتَمَرّدا!
فمَنْ لى بأنْ لو كنتُ أعرِفُ حِيلةً * تُصَيِّرُ أجفانِى لأجفانِكَ الفِدا؟
دهَتْ عينَك العينُ التى قدقضى القَضا * بأنك فيها سوفَ تُصْبِح أرمدا.

فمذ بُدِّلَتْ مِن نرجِسٍ بشقائقٍ ، * أعادَتْ بِجَفْنَىَّ الدمعَ مِنِّى عَسْجدا .
سلَلْتَ حُسامَ اللحظ منها على الورى ، * وقد كان أحْرى أن يُصانَ ويُغْمَدا !
فأنتَ الذى أبليْتَها بالذى بها ، * إذا السيفُ لم يُغْمَدْ تراكبه الصَّدا .

❖

ومما قيل فى أرمد غطى عينيه بشَعْريَّة(1)، قول السراج الورّاق :

شَعْرِيَّتِى ، مُذْ رَمِدتُ قد حَجَبَتْ * طرْفِى عَنكمْ ، فصِرْتُ محبوسَا .
الحمـــدُ لله ! زادنِى شَرَفا : * كنتُ سِراجا فصِرْتُ فانوسا .

وقال آخر :

غَطَّى على عينيه شَـعْرِيَّةً ، * تُشْعِل فى القلب لَهِيبَ الغَرامْ .
كأنَّه البــدرُ بدا نِصْــفُه ، * ونصفُه الآخَرُ تحتَ الغَمام !

وقال آخر :

لا تَحْسَبُوا شَعْرِيَّةً أصبحَتْ * من رَمَدٍ فى وجهه مُرْسَلَهْ .
وإنما وجنتــه كعبة ، * أستارها من فوقها مُسْــبَلَهْ .

ومن رقعة كتبها أرمد (وهو عبد الله بن عثمان الواثق) عفا الله عنه . قال :

صادف وُرُودُ كتابه رمدا فى عينى قد حصرنى فى الظُّلمه ، وحبسنى بين الغم والغُمَّه ، وتركنى أُدرِك بيــدى ما كنت أدرك بعينى : كايلَ سِلاح البصر ، قصير خَطْو النظر . قد ثَكِلْتُ مِصْباح وجهى ، وعَدِمت بعضى ، الذى هو آثَرُ عندى

(1) لم نعثر على هذه الكلمة فى اللسان ولا فى القاموس . وفى شفاء العليل للخفاجى : أن "شعريّة نسبة الى الشعر : غشاء أسود رقيق يكون على وجه النساء والأرمد ، وأصله أنه ينسج من الشعر ثم يطلق على كل ما شابهه ، وهى مولّدة" .

من كُلِّى . فالبيض عندى سُود، والقريب منّى بعيد! قد أحاط الوجعُ أجفانى، وقبض عن التصرّف بَنَانى، ففراغى شُغْل، ونهارى ليل، وطوال الخُطا قصار، وقصار أوقاتى طِوال . وأنا ضرير وإن عُدِدتُ فى البصراء، وأُمّىّ وإن كنت من جملة الكُتّاب والقرّاء. قد قصرت العلة خطوتَىْ قلمى وبَنَانى، وقامت بين يدى ولسانى .

وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات، فيقولون :

القِلّة ذِلّة، والوَحْدة وَحْشة، والهَوى هَوان، والأقارب عَقارب، والمَرَض حَرَض، والرَّمد كمد، والعلة قِلّة، والقاعد مُقْعد .

والله تعالى أعلم .

فصـــــل

فى ترتيب البـــكاء

إذا تهيّأ الرجل للبكاء، قيــل : أَجْهَش .

فإذا آمتلأتْ عينه دُموعًا، قيل : آغرَوْرَقت عينهُ، وترَقْرقتْ .

فإذا سالَتْ، قيل : دَمَعَتْ، وهَمَعت .

فإذا كثُرتْ دموعه، قيل : هَمَتْ .

فإن كان لبكائه صوت، قيل نَحَب ونَشَج .

فإذا صاح مع بكائه، قيل : أعول .

قال سَلْم الخاسر :

أَتَمْـنِى تُؤَنّبُــنى فى البُــكاء ... فأَهْـلًا بهــا، وبتَأْنِيبها!

تقول، وفى قولهـا حِشْـمةٌ: ... أتَبْـكِى بعيـن تَرانِى بهـا؟

فقلتُ: إذا آستحسنَتْ غيرَكُم ... أمرتُ الدُّمــوعَ بتأديِبهـا .

فصـــل
فيما قيـــل في الأنف

الشَّمَم، ٱرتفاعُ قصبة الأنف مع ٱستواء أعلاها .

القَنَا، طُول الأنف، ودِقَّة أرنبته، وحَدَبٌ في وَسَطه .

الفَطَس، تطامُن قصبتِه مع ضِخَم الأرنبة .

الخَنَس، تأخُّر الأنف عن الوجه .

الذَّلَف، شُخوص طَرْفه مع صغر أرنبته .

الخَشَم، فِقْدان حاسَّة الشمّ .

الخَرَم، شَقٌّ في المَنْخِرين .

الخَثَم، عِرَض الأنف . (يقال ثور أَخْثَمُ) .

القَعَم، ٱعوجاج في الأنف . (قال الشاعر :

لَيِّنَ المَنْخِرين معتدلَ الما ۔ رن لاسائلٌ ولا جَعْـدُ .)

٭ ٭ ٭

ومما قيل في الشِّفاه والفَمِ ، الشَّدَق ، سَعة الشِّدقين .

الضَّجَم ، مَيَل في الفم وفيما يليه .

الضَّزَز ، لُصوق الحَنَك الأعلى بالأسفل .

الهَدَل ، ٱسترخاء الشفتين وغلظُهما .

اللَّطَع، بياضٌ يعتريهما .

القَلَب ، ٱنقلابهما .

الجَلَع، قصَرهما عن الآنضمام .

فصل

فى تقسيم ماء الفم

ما دام فيه، فهو رِيق، ورُضَاب .

فإذا عَلِك ، فهو عَصيب .

فإذا سال ، فهو لُعَاب . ٥

فإذا رمى به، فهو بُزَاق، وبُصَاق .

فصل

فى ترتيب الضحك (١)

التبسُّم أوّل مراتبه، ثم الإهْلاس وهو إخفاؤه، ثم الافترار، ثم الانْكلال وهما الضحك الحَسَن ، ثم الكَتْكتة أشدّ منهما ، ثم القَهْقَهة والقَرْقرة والكَرْكَرة ، ثم ١٠ الاسْتِغراب ، ثم الطَّخْطَخَة، ثم الإهْزاق والزَّهْزقة ،وهو أن يذهب الضحك به كلَّ مذهب .

قال كُشاجم :

عَذُبتْ فى الرَّشفِ منه شَفَةٌ ... مَصُّها أطيبُ من نَيْل الأمَلْ !

وعليها حُمْرةٌ فى لَعَسٍ ... تستعيرُ اللونَ من صِبْغ الخَجَلْ ! ١٥

هِىَ فيما خِلْتُ آثارُ دَمٍ ... من فؤادى، عَلَّ فيه ونَهَلْ !

---

(١) فى الأصل : فى تقسيم ماء الوجه وترتيب الضحك . ولعدم وجود كلام على تقسيم ماء الوجه حذفناه من عنوان .

وقال ٱبن سُكَّرَةَ الهاشميّ :

ياضاحِكًا، يستهِلُّ مَضْحَكُه * عن بَرَد واضِح وعَنْ شَنَبِ!
أعطيتَنِي قُبْلَة رشفْتُ بها الشُّهدَ مَشُوبا بعَبْرَة العنَب.
كأنني إذ لثمتُ فاكَ بها * لثمتُ تُفَّاحةً من الذهَب.

٥ وقال كشاجم :

كأنَّ الشفاه اللعْسَ منها خَواتِمٌ * من التِّبْر مختومٌ بهنَّ على دُرّ.

وقال سيف الدّولة بن حمدان ، في صباه :

أُقَبِّلُه على عَجَلٍ * كشُرْب الطائرِ الفَزِعِ.
رأى ماءً فأطْمَعه * فخاف عَواقِبَ الطَّمعِ.
١٠ فصادف فُرْصَة فدَنَا * ولم يلْتَذَّ بالجَرَعِ.

* * *

ومما قيل في طيب الريق والنَّكْهة على لفظ التذكير، فمن ذلك قول ٱبن الروميّ :

أَهيفُ الغُصْن، أهيلُ الدِّعْص لما * يَقْتسِمْ قَدَّه وِشاحٌ ومِرْطُ.
١٥ طَيِّب طعمُه إذا ذُقتَ فاه، * والثُّريَّا في جانب الغَرْب قُرْطُ.

وقال آخر :

يا مانِعِي طيبَ المَنامِ، ومانِحِي * ثَوْبَ السِّقامِ، وتارِكِي كالآلِ!
عمَّن أخذتَ جَوازَ مَنِعي رِيقَكَ الـ * ـمعسول، باذا المَعْطِف العَسَّال؟
عن ثَغرِكَ النظّام، أم عن شَعْرِك الـ * ـفحّام، أم عن طَرْفك الغَزّال؟

وقال آخر

أتدْرون شَمعتنا لِمْ هَوَتْ؟ * لتقبيلِ ذا الرَّشإ الأكحلِ!
درَتْ أن ريقته شُهْدةٌ * فحنَّتْ إلى إلْفِها الأوّل.

وقال بشار بن بُرْد :

يا أطيبَ الناس ثَغرًا غير مختبَر * إلّا شهادة أطرافِ المَساويكِ!

وقال ابن وكيع البستيّ :

ريقٌ إذا ما ازددتُ من شُرْبه * رِيًّا، ثنانِي الرِّيُّ ظمآنا.
كالخمر أروى ما يكون الفتى * من شُرْبها أعطَشُ ما كانا.

وقال ابن الروميّ :

يارُبَّ ريقٍ باتَ بدرُ الدّجى * يمجُّه بين ثَناياكا.
يُرْوى ولا ينهاك عن شُرْبه * والماءُ يُرويكَ ويَنْهاكا.

وقال أبو الفتح كشاجم :

بَلَغَتْهُ الكأسُ فارتعدَتْ * طَرَبًا منها إلى فَمِهِ.
منَعتْه أن يؤخِّرها * في يديه من تحَشُّمِه.
فحَساها ثم أعقَبَها * أرَجًا من طِيبِ مَبْسِمِه.

وقال آخر :

بقَدْر الصَّبابة عند المَغيبِ، * تكونُ المَسرّةُ عند الحُضُورِ.
وأطيبُ ما كان بردُ الثُّغُورِ * إذا هُوَ صادفَ حَرّ الصُّدور.

⁂

ومما وصف به على لفظ التأنيث، فمن ذلك قول ابن ميّادة :

كأنَّ على أنيابها المِسْكَ شابَهُ * بُعَيْدَ الكَرى من آخر الليل عابِقُ.
وما ذُقْتُه إلا بعينِي تَفَرُّسا * كما شِيمَ في أعلى السحابة بارِقُ.
يضم إلىّ الليلُ أذيالَ حُبِّها * كما ضمّ أردانَ القميص البنائقْ.

وقال البحترىّ :

كأنَّ على أنيابها بعد هَجْعةٍ، * إذا ما نُجومُ الليل حانَ انْحِدارُها،
مُجاجةَ مِسْك صُفِّقَتْ بمُدامةٍ * معتَّقةٍ صَهباءَ، حان اعْتِصارُها.

وقال ذو الرمة :

أَسِيلةُ مَجْرى الدّمع هَيفاءُ طَفْلة * عَرُوبٌ، كإيماض الغمام ابتسامُها.
كأنّ على فيها، وما ذُقْت طَعْمَه، * زُجَاجةَ خمر طابَ فيها مُدامُها.

وقال كشاجم :

البدرُ لا يُغْنِيكَ عنها إذا * غابَتْ وتُغْنِيك عنِ البَدْر.
في فَمِها مِسْك ومشمولةٌ * صِرْفٌ ومنظومٌ من الدُّر.
فالمِسْك للنَّكْهة، والخمْر للرِّيقة، والُّلؤلؤُ للثَّغْر.

وقال الهذلىّ :

وما صَهباءُ صافِيَةٌ شمولٌ، * كعين الدّيك مُنجابٌ قَذَاها،
تُشَجُّ بماءِ سارِيةٍ عَرِيض * على ظَمإٍ به رصف صَفَاها،
بأطيبَ نَكْهةً من طَعْمِ فيها * إذا ما طار عن سِنَةٍ كَرَاها.

وقال ابن الرومى :

وما تعتريها آفةٌ بَشَريّةٌ ⁂ من النوم إلا أنها تتخثّرُ
كذلك أنفاسُ الرياض بسُحْرةٍ ⁂ تَطِيبُ وأنفاسُ الأنام تغيّرُ
وما ذُقْتُه إلا بشَمّ ابتسامِها ⁂ وكم مُخْبِرٍ يُدْنيه للعين منظرُ
وغيرُ عجيبٍ طِيبُ أنفاسِ روضة ⁂ مُنَوَّرة باتت تُرَاح وتُمطَرُ

وقال جميل :

وكأنَّ طارِقَها على عَلَلِ الكَرى، ⁂ والنجمُ وَهْنًا قد دَنَا لتغوُّرِ،
يَسْتافُ ريحَ مُدامةٍ مَعْلُولة ⁂ بذكِيِّ مِسْكٍ أو سَحِيق العَنْبرِ

وقال الشريف الموسوى، شاعر اليتيمة :

يا عذبةَ المَبْسِم! بُلَّ الجَوى ⁂ بَنْهَلةٍ من ريقِكِ البارِدِ!
ارى غَدِيرا سيِّحا ماؤُه، ⁂ فهل لذالكَ الماء من وارد؟
مَنْ لى بذاك العسلِ الذائب الـ ⁂ ـجارى خِلاَل البَرَد الجامد؟

⁂

ومما قيل فى طيب عَرْف النساء، قالوا : من أجود ما قيل فى ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ما رَوضةٌ مِن رياض الحَزْن مُعشبةٌ ⁂ خضراءُ جاد عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ،
يُضاحك الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ ⁂ مؤزَّرٌ بعَمِيم النبت مكتَهِلُ،
يومًا بأطيبَ منها نَشْرَ رائحةٍ ⁂ ولا بأحسنَ منها إذ دَنَا الأُصُلُ.

وقول القطامىّ :

وما ريحُ قاعٍ ذى خُزامى وحـــوْلَهُ * شَذًا أرِجٌ من طيِّب النَّبْت غاربِ،
بأطْيَب من مَىٍّ إذا ما تقلّبتْ * من الليل وَسْنَى جانباً بعد جانبِ.

أخذه ابن المعتز ببعض لفظه وزاد زيادة حسنة، فقال :

وما ريحُ قاعٍ زاهرٍ مسّت الندى * وروضٍ من الريحان تحت سحائبِه،
بجاء سُحَيْراً بين يومٍ وليلةٍ * كما جرّ من ذيل الغلالة ساحبُه،
بأطيَبَ من أنيابِ سَرّةَ مَوْهِناً * إذا الليلُ أدجى وارجحنّت كتائبُه.
إذا رَغِبتْ عن جانبٍ من فِراشها * تضوّعَ مِسكًا أين مالَتْ جوانبُه.

وقال ابن الرومىّ :

والعَرْفُ نَدٌ ذكِىٌّ، وهى ذا كِيَةٌ * إذا أساء جِوارَ العطْر أبدانُ.
نعيمُ كلِّ بهارٍ من مجامِرِها * ويُشْمِسُ الليلُ منها فهو ضحيانُ.
كأنها، وعُثانُ النَّدّ يشمَلُها، * شمسٌ عليها ضَبابَاتٌ وأدجانُ.

وقال ابن الأحنف :

ذكَرْتُكِ بالرَّيحان لَمَّا شَمِمْتُــه * وبالراح لما قابلَتْ أوجُهَ الشَّرْبِ.
تذكّرْتُ بالريحانِ منكِ روائحا * وبالراح طعْمًا من مُقَبَّلِكِ العَذْبِ.

ومن البليغ قول سحيم :

فما زالَ بُرْدِى طيِّبًا من ثيابها * إلى الحول، حتّى أنهجَ البُرْدُ باليا.

وأبلغ منه قول الأحنف :

وجَدَ الناسُ ساطِعَ المِسْك من دِجْــلةَ قد أوسعَ المَشَارِعَ طيبا.
فهُمُ يُنكِرُون ذاك وما يَدْ * رونَ أن قد حَلَلْتِ منها قريبا.

(٢٢) وقال آخر، وأحسنَ :

جاريةٌ أطيبُ من طِيبها ‏.‏ والطِّيبُ فيها المِسْكُ والعنْبَرُ

ووجْهُها أحسنُ من حَلْيِها ‏.‏ والحَلْيُ فيها الدّرّ والجوهَرُ

وقال آمرؤ القيس :

ألم تَرَانى كُلّما جئتُ طارقًا ‏.‏ وجدْتُ بها طيبًا، وإن لم تَطَيَّب

وقال آخر :

أتاها بِعطْـر أهلُهـا فتضاحَكَتْ ‏.‏ وقالت: وهل يَحتاجُ عِطْر إلى عِطْر؟

وقد بالغوا حتّى وصفوا طيب المواضع التى وَطِئها المحبوبُ .

وأوّل من قال ذلك النميرى الشاعر فى زينبَ بنت يوسف أخت الحجاج فقال:

تَضوّعَ مِسْكا بطنُ نَعْمانَ أن مشَتْ ‏.‏ به زينبٌ فى نِسْـوة خَفِرات

وقال جميل :

ألَا أيُّهـا الربعُ الذى غيَّر البِلى! ‏.‏ عَفَا وخَلَا، من بعدما كان لايخلُو

تَداعبَ ريحُ المِسـك فيه وإنمـا ‏.‏ به المسكُ أن جَرّتْ به ذيلَها جُمْلُ

وقول الآخر :

أرى كلَّ أرض دُستِ فيها، وإن مضت ‏.‏ لهـا حِجَجٌ ، يزدادُ طيبـا تُرابُهـا!

***

وممـا قيل فى الأسنان ، من محاسنها :

التَّشنَب، وهو رِقَّة الأسنان وآستواؤها وحُسْنها .

الرَّتَـل، حُسْن تنضيدها وآتساقها .

التَّفْليج، تفرّج ما بينها .

الشَّتَت ، تفرّقها من غير تباعد بل فى آستواء وحسن . (يقال : ثغر شَتِيت ، إذا كان مُفَلَّجا حسنا أبيض) .

الأشَرُ ، تحزيز فى أطراف الثنايا يدل على حَدَاثة السن .

الظَّلْم ، المـاء الذى يجرى على الأسنان من البَرِيق لا من الرِّيق .

فصـــل

فى مقابحها

الـــرَّوَق ، طولها .

الكَسَسُ ، صِغَرها .

الثَّعَـــلُ ، تراكُبها وزيادة سِنّ فيها .

الشَّـــغَا ، آختلاف منابتها .

اللَّصَصُ ، شدّة تقارُبها وآنضمامها .

اليَلَـــلُ ، إقبالها على باطن الفم .

الدَّفَـــقُ ، آنصبابُها إلى قدّام .

القَقَـــمُ ، تقـدّم سُفْلاها على العليا .

القَلَـــح ، صُفْرتها .

الطُّرَامـةُ ، خُضْرتها .

الحَفَـــرُ ، مايلزَق بها .

الـــدَّرَدُ ، ذَهَابها .

الهَـــتَمُ ، آنكسارها .

اللَّطَـــطُ ، سقوطها .

فصل
فى ترتيب الأسنان

وهى : أربعُ ثنايَا ، وأربعُ رَبَاعِيَات ، وأربعُ أنياب، وأربعُ ضَوَاحِك، وثِنْتا عَشْرَةَ رَحًا ، وأربعةُ نواجذَ .

قال أبو الفتح كُشاجم :

عَرَضْن ! فعرَّضْنَ القُلوبَ من الجوى * لأسْرَع فى كَىِّ القُلوبِ من الجَمْر!
كأن الشِّفاهَ اللُّعْسَ فيها خواتِمٌ * من المِسْك، مختومٌ بهنّ على دُرِّ.

وقال أيضا :

كالغُصْن فى روضة تَمِيسُ: * تَصْبُو إلى حسنها النُّفُوسُ.
ماشَهِدَتْ والنِّساءَ عُرْسا، * فشُكَّ فى أنها عَرُوسُ!
تَبْسِمُ عن باسِم بَرُودٍ * تَعْبَقُ من طِيبه الكُئُوسُ.
يجَمَعُ فيه لمجتنيه: * مسكٌ، ووَرْد، وخَنْدرِيسُ.

وقال المتنبى :

ويَبْسِمْنَ عن دُرٍّ تقلَّدْنَ مثلَهُ * كأنَّ التَّراقِى وُشِّحَتْ بالمَبَاسم.

وقال الصنوبرىّ :

تلك الثَّنايَا من عقْدها نُظمتْ، * بل نُظِم العِقدُ من ثنَايَاها.

وقال البحترىّ :

ويَرْجِعُ الليلُ مُبيضًا إذا ضَحِكتْ * عن أبيضٍ خَصِلِ السِّمْطيْنِ وَضَّاحِ.

وقال ابن الرومىّ :

كأنّى لم أبِتْ أُسْقَى رُضاباً: * يموتُ به ويحيَا المُستَهامُ!

تُعَلِّلُنِيه واضحةُ الثَّنَايَا، * كأنّ لِقاءَها حَوْلًا لمَامُ.
تَنَفَّسُ كالشَّمُول ضُحَى شَمالٌ * إذا ما فُضَّ عن فَمِها الخِتامُ.

وقال النابغة :

تجلو بقادمَتَيْ حمامةِ أيكةٍ * بَرَدًا، أُسِفَّ لِثاته بالإثْمِدِ.
كالأُقْحُوان غداةَ غِبِّ سَمائِه * جفَّتْ أعالِيه، وأسفَلُه نَدِى.

وقال شقيق بن سليل :

وتَبْسِم عن أَلْمَى اللِّثاتِ، مفَلَّج: * خَلِيقِ الثَّنايا بالعُذوبة والبَرْدِ.

وقال جميل :

بِذِى أُشُرٍ كالأُقْحُوان يَزِينُه * نَدَى الطَّلِّ، إلا أنه هو أمْلَحُ.

وقال السمهريّ :

كأنّ وميضَ البرق بيني و بينَها، * إذا حانَ من بعض البيُوت، ٱبتسامُها.

وقال آخر :

أُحاذرُ فى الظلماء أن تستَشِفَّنِي * عيونُ العَدارَى فى وميضِ المَضاحِك!

⁂

ومما قيل فى السِّواك، قول بعض الشعراء :

أقولُ لِمسْواك الحبيب: لك الهَنا، * بلَثْم فَمٍ ما ناله ثَغْرُ عاشقِ!
فقال، وفى أحشائه حُرَقُ الجوى * مقالَةَ صبٍّ للديار مُفارِقِ:
تذكَّرتُ أوطانى فقلبي كما ترى، * أُعلِّلُه بين العُذَيْب وبارِقِ!

وقال آخر :

نقـلَ الأراكُ بأنّ رِيقـةَ ثغرِه * من قهوةٍ، مُزِجت بمـاءِ الكَوْثرِ.

قـد صحّ ما نقــل الأراكُ لأنه * قدجاءيروِى عن "صِحاح الجوهرى".

وقال آخر :

باللهِ، إن جُزتَ بوادِي الأراكْ * وقَبّلَتْ أغصانُه أَلّذنُ فاكْ،

فابعث إلى المملوكِ من بعضِها * فإنّنى والله مالِى سِــواكْ!

✦✦✦

ومما قيل فى اللسان، فمن محاسنه :

إذا كان الرجلُ حادّ اللسان قادرا على الكلام، فهو ذَرب اللسان، وفَتِيقُ اللسان .

فإذا كان جَيّده، فهو لَسِن .

فإذا كان يضعه حيثُ أراد، فهو ذليق .

فإذا كان فصيحا بَيّن اللّهْجة ، فهو حُذَاقىّ .

فإذا كان مع حِدّة اللسان بليغا، فهو مِسْلاق .

فإذا كان لا يعترضُ لسانَه عُقْدة، ولا يتحيّفُ بيانَهُ عُجْمة، فهو مِصْقَع .

فإذا كان المتكلمَ عن القوم، فهو مِدْرَهٌ .

فصل

فى عيوبه

الرُّتّة . حُبْسةٌ فى لسان الرجل، وعَجَلة فى كلامه .

الّلُكنة والحُكْلة . عُقْدة فى اللسان وعُجْمة فى البيان .

الهَتْهتة (بالتاء والثاء) . حكايةُ ٱلتواء اللسان عند الكلام .

التَّعتعة (بالتاء والثاء)، حكايةُ صوت الألكنِ والعَيّ .

اللُّثغــة ، أن يُصيِّرَ الراءَ لامًا من كلامه .

الفَأْفأة، أن يتردّد فى الفاء .

التَّمتمة، أن يتردّد فى التاء .

٥ اللَّفف، أن يكون فى اللسان ثِقَل وٱنعقاد .

اللَّيَغ، أن لا يُبَيِّن الكلام .

اللَّجلجةُ، أن يكون فيه عِيّ وإدخال بعض كلامه فى بعض .

الخَنخَنَةُ ، أن يتكلم من لَدُنْ أنفه . ويقال : هى أن لا يُبَيِّن الرجل كلامه فيُخَنْخِن فى خياشيمه .

١٠ المَقْمَقة ، أن يتكلم من أقصى حلقه .

فصــل

فى ترتيب العِيّ

يقال : رجل عَيٌّ، ثم حَصِر، ثم فَهٌّ، ثم مُفْحَم، ثم لَجْلاج، ثم أَبْكَمُ .

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : المرءُ مخبُوٌّ تحت لسانه .

١٥ وقال شاعر :

وما المَرْء إلّا الأصغَرانِ : لسانُه ... ومعقولهُ، والجسم خَلْقٌ مصوّرُ .

وقال ٱمرؤ القيس :

وذلكَ من نَبَإٍ جاءنى ، ... وخُبِّرتُه عن أبى الأسْودِ .

ولو عن نَثَا غيره جاءنِى ، ... وجُرح اللسان كجُرح اليَد .

٢٠ (النَّثا القبيح من الكلَام) .

وقال جرير :

لسانِى وسيْفِى: صارمانِ كلاهُمَا! * وللسَّيفُ أشوى وقعةً من لسانيا!

(قوله أشوى إذا أخطأ المَقْتَل) .

وقال آخر :

وجُرْحُ السيفِ تَدْمُله فيَبْرى، * وجُرْحُ الدّهرِ ما جَرح اللسانُ! ٥

وممـا وصف به حسن الحديث والنغمة، فمن ذلك قول ذى الرمّة :

ولَمّا تلاقَيْنا، جَرَتْ من عُيونِنا * دموعٌ كفَفْنا غَرْبهـا بالأصابِـعِ.

ونِلْنا سُـقاطا من حديثٍ كأنهُ * جَنى النحلِ ممزوجًا بمـاء الوقائِـعِ.

وقال أيضـا : ١٠

وإنا ليَجرِى بينَنَا حينَ نَلْتـقِى * حديثٌ له وَشْىٌ كوشْيِ المَطَـارِفِ!

حديثٌ كوَقْع القَطْر فى المَحْلِ يُشْتفَى * به من جَوًى فى داخلِ القَلْب، لاطف.

وقال ٱبن الرومىّ :

ولقد سئمْتُ مآربِى، * فكأنَّ طَيِّبها خَبِيثْ.

إلّا الحـديثَ فإنّهُ * مثلُ ٱسمِه أبدًا حَدِيثْ. ١٥

وقال بشّـار :

وكـأنّ رجْع حديثِها * قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهْرا.

وكأنّ تحتَ لسانِهَـا * هارُوتَ يَنْفُثُ فيه سِحْرا.

وتَخالُ ما ٱشتملَتْ عليـه ثيابُها : ذَهَبا وعِطْرا.

وقال البحتريّ :

فلمّا التقينا — والنّقا موعدٌ لنا — * تعجّب رائى الدّرّ حُسنا ولاقطُه.

فمن لؤلؤٍ تجلوه عند ابتسامِها، * ومن لؤلؤ عند الحديث تُساقطُه!

وقال آخر :

ظَلِلْنا نَشَاوى عند أمّ محمّدٍ * بنَوْمٍ، ولم نشْربْ شرابا ولا خَمْرا!

إذا صمَتتْ عنّا، صحَوْنا بصَمْتها؛ * وإن نَطقتْ، هاجتْ لألبابنا سُكْرا.

وقال ابن الروميّ عفا الله عنه :

وحديثُها السِّحرُ الحلالُ، لو انّه * لم يَجْنِ قتلَ العاشق المتحرِّزِ.

إنْ طال لم يُمْلَلْ، وإن هي أوجزَتْ * ودّ المحدَّثُ أنها لم توجِزِ.

شَرَكُ القلوب، وفتنةٌ ما مثلُها * للطمئِنِّ، وعُقْلةُ المستوفِزِ.

وقال القطاميّ :

فهنّ ينبِذْن من قولٍ يُصِبْنَ به * مواقِعَ الماءِ من ذى الغُلّة الصادِى.

وقال عليّ بن عطية البلنسيّ :

كلّمتْنِي فخِلْتُ دُرّا نثيرا، * وتأمّلتُ عِقْدها هل تناثر.

فازْدهاها جمالُها، فأرَتْني * عِقْدَ دُرٍّ من التبسّم آخَر!

وقال الوأواء الدّمشقيّ :

وحديثٍ كأنّه * أوبةٌ من مُسافِرِ.

كانَ أحْلى من الرُّقا * دِ لدى طَرْفِ ساهِرِ.

بِتُّ ألهـو بطيبـه * فى رياضٍ زَواهِرِ:
بَيْنَ ساقٍ وسامرٍ * ومُغَنٍّ وزَامرِ.

وقال الطائىّ :

مَدَّتْ إليكَ بنانةً أُسْرُوعَا، * تَشْكُو الفِراقَ، ومُقْلةً يَنْبُوعا.
كادَتْ لِعِرْفانِ النَّوى ألفاظُها * من رِقَّةِ الشَّكْوى تكون دُمُوعا.

وقال ابن المعتزّ:

وسرّ أحاديثِ عِـذابٍ لَوَ انّها * جَنى النحل، لم تَمْجُجْ حلاوتَها النحلُ.

وممـا قيل فى الأذن، الصَّمَعُ، صِغرها .
السَّكَكُ، كونها فى نِهاية الصِّغَر .
القَنَفُ ، ٱسترخاؤهما وإقبالهما إلى الوجه .
الخَطَلُ ، غلظهما .

فصـــل
فى ترتيب الصَّـمَم

يقـال :
بأذُنه وَقْرٌ .
فإذا زاد ، فهو صَمَمٌ .
فإذا زاد ، فهو طَرَشٌ .
فإذا زاد حتّى لا يسمع الرعدَ ، فهو صَلَخٌ .

⁂

ومما وصف به الصُّدْغ، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتزّ :

رِيمٌ ! يَتِيهُ بحُسْن صُورتِهِ، * عبثَ الفتورُ بلحظ مُقْلتِهِ.
فكأن عَقْربَ صُدْغه وقفتْ، * لما دَنَتْ من نارِ وجْنَتِهِ.

وقال ابن الروميّ :

أبدًا نحنُ في خِلاف : فمِنِّى * فرطُ حُبٍّ ومنك لى فرط بُغْض.
فبصُدْغَيْكَ فوقَ خطِّ عذارٍ * ظُلُماتٌ، وبعضُها فوقَ بعض.

وقال الصاحب بن عبّاد :

وعهدِى بالعَقارِبِ حينَ تَشْتُو * تُخَفِّف لَدْغها وتَقِلُّ ضُرّا.
فما بالُ الشتاء أتَى، وهذا * عقاربُ صُدْغِه يزدَدْنَ شَرّا؟

وقال ابن المعتزّ :

أمن سَبَجٍ في عارِضَيْه صَوالِجٌ * مُعطَّفةٌ تُفّاحَ خدّيه تضرِبُ؟
وما ضرّه نارٌ بخدّيه أُلْهِبتْ؛ * ولكنْ بها قلب المُحبِّ يُعذَّبُ؟
عناقيدُ صُدْغَيْه بخدّيْه تلتوِى * وأمواجُ ردفَيْه بخصرَيْه تقلَبُ.
شَربْتُ الهوى صِرْفا زُلالا، وإنما * لواحظُه تَسْقِى وقلبِى يَشْرَبُ.

وقال الثعالبيّ :

وصَوْلجَانٍ في يدَىْ شادِنٍ * لا يسمَعُ العاشقُ أن يذْكُرَهْ.
وصولجانُ المِسْك في خدِّه * متّخذٌ حبّةَ قلبِى كُرَهْ.

وقال الناشئ الأصغر :

لك صُـــدْغٌ كأنمـا * نُونُه نونُ كاتِبْ .
يلْدَغُ الناسَ إذْ تَعَقْـ * ـرَبَ لَدْغَ العقاربْ .

وقال الصاحب بن عبّاد :

ياشادنًا فى وجهــه عقْربٌ * ما يَسـتجيبُ الدّهرَ للراقِى .
يَسْــلَمُ خدّاه على لدغهـا ، * ولَدْغُهـا فى كَـبِدى باقى !

وقال عمر المطوعىّ :

بنفسِىَ مَن تمّتْ محاسِنُ وجهِه ! * فما هُو إلا البدرُ عند تَمامِ .
وأرســلَ صُدْغا فوقَ خدٍّ كأنه * جَناحُ غرابٍ فوق طوقِ حَمَامِ .

وقال آخر :

حَلّتْ عقاربُ صُدغِه فى خَدِّهِ * قَمَـرا ، بِجَـلّ بها عن التشبيهِ !
ولقــد عَهِدناهُ يحِـلُّ ببُرْجِها * فمن العجائب كيفَ حَلّتْ فيهِ ؟

وقال العماد الأصبهانىّ :

وإذا بَدَا لك صُدْغُه فى وجهه ، * أبصرتَه قمـرًا بدَا فى العَقْرب !

وقال ابو الفتح كُشاجم :

ومَنعْنَ وَرْدَ خدودهنّ فلم نُطِق * قَطْفًا لهـا لعَقارب الأصْداغِ !

⁂

ومما وصفت به الخدود والوجَنات ، فمن ذلك ماورد على لفظ التذكير .

قال أبو الفتح كُشاجم :

غَدَا ، وغَدَا تورُّدُ وجنتَيْـه * لعينِ محبه يصف الرِّياضَا .

على خدّيهِ ماءٌ عَسْجَديٌّ، * فلو نظَر الرقيبُ إليه، غاصَا.

وقال آخر :

دعوتُ بماء فى زُجاج، بجاءنى * حبيبى به خمرًا نَظَرْتُ له شَزْرا:
فقال : هو المـاء القَرَاح وإنما * تجلَّى له خدّى فأوهمكَ الخمرا!

وقال أبو القاسم عبد الغفار المصرىّ، شاعر اليتيمة :

وَرْدُ الخدودِ أرقُّ من * وَرْدِ الرِّياض وأنعَمُ.
هــذا تنَشَّـقُهُ الأنو * فُ، وذا يقبِّـلُهُ الفَمُ.
فإذا عدَلْتَ، فأفضلُ الـ * ـورْدَيْنِ وَرْدٌ يلْـثَمُ.

وقال أيضا (و يروى للوأواء الدمشقى) :

لاتظلمُوا الناسَ ولا تظلِبُوا * بثارىَ اليوم أذَى مُسْـلِمِ!
و يا لَقَـومى دونَكُمْ شادنًا * معتَـدِلَ القـامة والمَبْسِمِ!
فإنْ أبى إلا جحودَ الهـوى * وٱكتتم الأمرَ ولم يُعْلِـمِ،
قولوا له بكشفُ عن خدِّه، * فإن فيه نُقَطًا من دمِى.

وقال ٱبن الرومىّ :

وغـزالٍ ترى على وجنتيــه * قَطْرَ سهميه من دماء القُلوبِ.
لَهْفَ نفسى لِتلكَ من وجَنَاتٍ * وَرْدُها وَرْدُ شارقٍ مهضُوبِ!
أنهِلَتْ صِـبْغَ نفسِها ثم عُلَّتْ * من دماء القَتلى بغـير ذُنوبِ.
جرحتْه العيونُ فٱقتصَّ منها * بجوًى فى القلوب دامى النُّدوبِ.

وقال أيضا :

يا وجنتيه اللتين من بهج * فى صدغيه اللذين من دعج!
ما حمرة فيكما : أمن خجل، * أم صبغة الله، أم دم المهج؟

وقال أبو الفتح البستى :

ومهفهف غنج الشمائل أزعجت * قلبى محاسن وجهه إزعاجا.
دريت الطبيعة أن فاحم شعره * ليل فأذكت وجنتيه سراجا.

وقال عبد الله بن المعتز :

يا من يجود بموعد من لحظه * ويصد حين أقول: أين الموعد؟
ويظل صباغ الحياء بخده * تعبا : يعصفر تارة ويورد.

وقال الراضى بالله :

يصفر وجهى إذا تأملنى * خوفا، ويحمر خده خجلا.
حتى كأن الذى بوجنته * من ماء وجهى إليه قد نقلا.

وقال الخبزأرزى :

صل بخدى خديك، تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير.
فبخديك للربيع رياض، * وبخدى للدموع غدير.

وقال أيضا :

أظهر الكبرياء من فرط زهو، * فتلقيته بذل الخضوع.
وحبانى ربيع خديه بالور * د فأمطرته سحاب الدموع.

وقال الصنوبرى :

رق، فلو كلفته أعيننا * أن يرشح الخمر خده، رشحا.

وقال المفجّع :

ظَبْيٌ إذا عقربَ أصداغه ، رأيتَ مالا يُحْسِن العقربُ .
تُفّاح خدّيهِ له نَضرةٌ ، كأنّه من دمعتي يَشْرَبُ .

وقال آخر :

ومُبيحُ أسرارِ القُلو ، ب بوجنتَيه وحاجبَيْهِ .
جَمعَ الإلهُ له المحا ، سنَ ثم أفرغَها عليهِ .
وكأنّ مِرْآتين عُلِّقتا بصفحة عارضَيْهِ .
وكأنّ وَرْدَ الجُلَّنار مُضَعَّف في وجنتَيْهِ .

وقال عليّ بن عطيّة البلنسيّ في غلام جُرِح خدّه :

وأحْوَى رَمَى عن قِسِيِّ الحَوَرْ ، سهامًا يُفوِّقهنّ النظَرْ .
يقولون : وجنته قُسِّمَتْ ، ورسمُ محاسنه قد دَثَرْ .
وما شَقُّ وجنتَه عابثًا ، ولكنّها آيةٌ للبَشَرْ .
جَلَاها لنا اللهُ كيما نَرى ، بها كيفَ كان انْشقاقُ القمَرْ .

* * *

ومما وصفت به على لفظ التأنيث ، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتزّ :

نُجْلُ العيون ، سواحرُ اللحظاتِ ، هيَّجْنَ منك سواكنَ الحركاتِ .
أقبلْنَ يرمين الجمارَ تنسُّكًا ، فجعلْن قلبَك موضعَ الجمراتِ .
فكأنهنّ غُصونُ بانٍ ناعمٍ يحمِلنَ تُفّاحًا على الوجَناتِ .

وقال آبن الرومىّ :

تَشْـرَعُ الألحاظُ فى وجْنتِها * فتُلاقى الرِّىّ من مَشْرَبِها .
فَهْى حسْبُ العينِ من نُزْهتها ، * وهْى حَسْبُ الأُذْن من مَطْرَبِها .

وقال ديك الجنّ :

بأبى الثـلاثُ الآنسا * تُ الرائقاتُ الغانِيَاتْ !
أقبلْن ، والأصداغُ فى * وجَنَاتهنّ مُعَقْرَبَاتْ !
ألفاظُهنّ مؤنّثا * تٌ والجُفُون مُذَكَّراتْ !
حتّى إذا عايتهنّ * وللأمُور مسبَّبَاتْ ،
جمّشتَهنّ ، وقلتَ : طيـب عِناقكُنّ هو الحياةْ !
فخجلْنَ حتّى خلتُ أنّ خدودَهنّ معصْفَراتْ .

* * *

(٣٩) ومما وصفت به الخيلان ، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير .

قال بعض الشعراء :

فى الساعدِ الأيمنِ خالٌ له * مثلُ السُّوَيْداءِ على القَلْبِ .
كأنه من سَبَجٍ فاحِمٍ * مُرَكَّبٍ من لُؤْلؤٍ رَطْب .

وقال آبن منير الطرابلسى :

لاحَ لنا عاطِلًا ، فَصِيغ له * مَناطِقٌ من مَرَاشِقِ المُقَلِ .
حياةُ رُوحى وفى لواحِظِه * حَتْفِىَ بين النَّشاطِ والكَسَلِ .
١٠ خالُه مِنْ فَتيتِ عَنْبرِ صُدْ * غَيْهِ ولا قَطْرِ صبْغة الكَحَلِ .
لكنْ سُوَيداءُ قلبِ عاشِقِه * طفَتْ على نارِ وَرْدَةِ الخَجَلِ .

وقال أيضا :

أنكرتْ مُقْلَتُه سَفكَ دمى، * وعلى وجْنَتِه فاعترفَتْ.
لا تخالُوا خالَهُ فى خدِّه * قطرةٌ من صِبْغ جَفْنٍ نطفَتْ.
تلكَ من نار فُؤادى جَذْوةٌ * فيه ساخَتْ وانطفَتْ ثم طفَتْ!

وقال آخر :

لاتَخالُ الخالَ يعلُو خدَّهُ * نَقْطَ مِسْك ذابَ من طُرَّتِهِ.
ذاك قلبى سُلبتْ حبَّتُهُ * فاستَوتْ خالًا على وجْنتِه.

وقال ابن منير :

كأنَّ خدَّيْهِ دينارانِ قد وُزِنا * وحَرَّرَ الصَّيْرَفىُّ الوزْنَ واحتاطا.
فخفَّ إحداهما عن وَزنْ صاحبِه، * فحطَّ فوقَ الذى قد خَفَّ قيراطا.

وقال آخر :

أضحى ليوسُفَ فى الجمالِ خَليفةٌ، * يخشاهُ كلُّ العالمينَ إذا بَدَا.
عَرِّجْ معِى وانظر إليه لِكَىْ ترى * فى خدّه عَلَمَ الخِلافةِ أسودَا.

وقال آخر :

كمْ قلتُ للنفس: إليه اذهَبِى، * فحبُّه المشهورُ من مَذْهَبِى!
مُهفهفُ القَدِّ له شامَةٌ * من عَنْبرٍ فى خدّه المُذْهَبِ.
آيَسنِى التوبةَ من حُبِّه * طلوعُه شمسًا من المَغْربِ!

وقال آخر :

ومُهفْهَفٍ من شعره وجبينِهِ * يغدُو الوَرَى فى ظُلمةٍ وضِياءٍ.
لاتنكروا الخالَ الذى فى خَدِّه * كلُّ الشقيقِ بنُقْطةٍ سوداءِ.

وقال آخر :

لَهِيبُ الخدّ حينَ رأته عينى * هوى قلبي عليـه كالفَرَاشِ.
فأحرقَهُ فصار عليه خالًا؛ * وها أثرُ الدُّخَان على الحوَاشِى!

وقال آخر :

بَدَا على خـــدّهِ خالٌ يزيّنُــه، * فزادنِى شغَفًا منــه إلى شَغَفِى.
كأنَّ حبَّـــةَ قلبى عنـد رُؤيته * طارتْ فقلتُ لها: فى الخدِّ منه قِفِى!

وقال آخر :

خِيــلانُ خدِّك ردّتْ * صحيـحَ قلـبى مَرِيضا.
فى العينِ سُودٌ، ولكنْ * مازِلْنَ فى القَلْب بِيضَا.

وقال آخر :

خدُّك مِرآةُ كلِّ حُســـنٍ * يحسُنُ من حسنها الصِّفاتُ.
مالى أرى فوقَـــهُ نُجـومًا * قد كُسـفَتْ وهى نَيِّراتُ؟

وقال آخر :

حجَّتْ إلى وجْهك أبصارُنا * طائفــةً، يا كعبةَ الحسْنِ!
تمسحُ خالًا منك فى وجْنةٍ * كالحجَرَ الأسود فى الركْنِ.

وقال الأسعد بن بليطة :

سكرانُ لا أدْرى ـ وقد وافى بنا ـ * أمِنَ المَلَاحةِ أم من الجِرْيالِ.
تتنفَّسُ الصَّهباء فى لَهَـــواتِه * كتنفُّس الرَّيْحان فى الآصالِ.
وكأنمـا الخِيــلانُ فى وجَنَاتِه * ساعاتُ هجْـرٍ فى لَيَالِ وصالِ.

٭٭٭

ومما وصفت به على لفظ التأنيث ، فمن ذلك قول أبي الفتح كُشاجم :

فَدَيتُ زائرةً فى العيد واصلةً * لمستهامٍ بها للوصل منتظِر.
فلم يزلْ خدُّها رُكْنًا أَلوذُ به، * والخالُ فى صَحْنه يُغني عن الحَجَر.

وقال العباس بن الأحنف :

ومحجوبةٍ فى الخِدْر عن كلِّ ناظرٍ، * ولو برزَتْ، ماضلَّ بالليل مَنْ يَسْرِى.
بِخالٍ بذاك الخدّ أحسنَ مَنْظَرًا * من النُّقطة السَّوْداء فى وَضَح البَدْر.

٭٭٭

ومما قيل فى العِذار، فمن ذلك ماورد فيه على سبيل المدح .

قال مانى المَوسوِس عفا الله عنه ورحمه :

وماغاضتْ محاسنُه؛ ولٰكِنْ * بماء الحُسْن أورقَ عارضاهُ.
سمعتَ به فهِمتَ إليه شوْقًا ! * فكيْفَ لك التصبُّرُ، لو تراهُ؟

(٣٧)

وقال أبو فِراس :

مِن أينَ للرشإِ الغَريرِ الأحْوَرِ * فى الخدّ مثلُ عِذاره المتحدِّرِ؟
يا مَنْ يلومُ على هواه سَفاهةً! * أُنْظُرْ إلى تلك السوالف، تَعْذُرِ.
قمرٌ كأنَّ بعارضيْه كِلَيْهما * مِسكٌ تساقَطَ فوق وردٍ أحمرِ.

وقال ابن المعذّل :

سالتْ مسايلُ عارضَيْـه بنفسجا فى وَرْدِه.
فكأنَّهُ من حُسْنِهِ * عَبَثَ الربيعُ بخدِّه.

وقال الخبّاز البلدى :

وعارضٍ مثل دارة البَدْرِ * دارَ بوجهٍ كليلةِ القَدْرِ

فلو تراه وحسنَ منظرِه، * شهدتَ أنّ الجمال للشَّعْرِ

وقال ابن المعتزّ :

وتكادُ الشمسُ تُشبِهُهُ * ويكادُ البدرُ يَحْكيه

كيف لا يخضَرُّ عارضُه، * ومياه الحُسْن تسقيه؟

وقال محمد بن وهب :

صُدُودُكَ فى الورى هَتَكَ استتارى، * وساعده البكاءُ على اشتهارى

ولم أخْلَعْ عِذَارِى فيك إلّا * لِمَا عاينتُ من حُسْنِ العِذارِ

وكم أبصرتُ من حُسْنٍ، ولكنْ * عليك من الورى وقعَ اختيارى

وقال أبو الفرج الوأواء :

وشمسٌ[1] بأعلاه ولَيلانِ أُسْبِلا * بخدَّيه، إلا أنّها ليس تَغْرُبُ

ولمّا حوى نصفَ الدّجى نصفُ خدّه * تحيّر حتّى مادرى أين يَذْهَبُ

وقال الخُبْزأرزّى :

أُنظر إلى الغُنْج يجرى فى لَواحِظِه، * وانظرْ إلى دَعَجٍ فى طَرْفه الساجى!

وانظر إلى شَعَراتٍ فوق عارِضِه * كأنهنّ نِمالٌ سِرْنَ فى العاج!

وقال أيضا :

وجهٌ تكاملَ حُسْنُه * لما تَطَرَّفه عِذارُهْ

والسيفُ أحسنُ ما ترى * ما كان مُخْضَرًّا غِرارُهْ

(١) فى الأصل : "ليل" . والتصويب عن اليتيمة .

وقال الأمير سيف الدين المشد :

ولائم في عذار بدر * لم أستطع عن هواه ميلا
فقلت، والدمع في جفوني * لفرط وجدي تسيل سيلا :
ضللت في خده نهارا ! * كيف رشادي، وصار ليلا؟

وقال أيضا :

ولما أن بدا في الخد شعر * توقف عند منتصف العذار
فقلت للائمي فيه : تعجب * لنصف الليل في نصف النهار!

وقال أيضا :

ومهفهف يحمي ورود رضابه * بصوارم سلت من الأجفان
كتب العذار بليقة مسكية * في خده سطرا من الريحان

وقال أيضا :

يقول العواذل لما بدا * على خده شعر زائر:
ذوى ورد خديه، قلت : اقصروا * فنرجس ألحاظه وافر!

وقال آخر :

وقالوا : تسل فقد شانه * عذار أراحك من صده
فقلت : وهمتم، ولكنني * خلعت العذار على خده

وقال آخر :

بروحي وقلبي ذلك العارض الذي * غدا مسكه فوق السوالف سائلا
دري خده أني أجن من الهوى ، * فأظهر لي قبل الجنون سلاسلا!

وقال آخر:

أصبحتُ مأسوراً بغُنْجِ لِحاظه * ومقيّداً من صُدْغه بسلاسِل.
حتّى بدا سيفُ العذار مجرّدا * فخشيتُ منه، فقلتُ هذا قاتلي!

وقال آخر:

قالت: اسودّ عارضاكَ بشَعْرٍ، * وبه تقْبُح الوجوهُ الحِسانُ!
قلتُ: أشعلْتِ فى فؤادىَ ناراً، * فعلى عارضَىَّ منه دُخَان!

وقال آخر:

قلتُ، وقد أبصرتُه مُقْبِلاً * وقد بدا الشَّعْر على الخدِّ:
صُعودُ ذا النملِ على خدّه * يشهد أن الرِّيق من شَهْدِ.

ومثله قول الآخر:

قالوا: التحى، فاصبُ إلى غيره! * قلتُ لهم: لستُ إذاً أسْلُو!
لو لم يكُنْ من عسلٍ رِيقُه، * ما دَبَّ فى عارضه النمْلُ.

وقال آخر:

عِذارُه أحسنُ ما فيه، * وتِيهُهُ من أحسنِ التِّيهِ.
فى فَمِه الشَّهْد، فلا تعجَبُوا * إن دَبَّ نملٌ بعذاريهِ.

وقال آخر:

أصْلَى بنار الخدِّ عَنْبر خاله * فغدا العذارُ دُخانَ ذاك العنبرِ.

وقال آخر (وقد تقدّم إيراده فى صفاء الخدّ):

أعِدْ نظراً، فما فى الخدّ نبْتٌ * حماه اللهُ من رَيْب المَنُونِ!
ولكن رقَّ ماءُ الوجه حتّى * أراكَ مثالَ أهدابِ الجُفُونِ.

ومثله قول الآخر (وقد تقدم إيراده) :

ولمّا آستدارتْ أعينُ الناس حوْلَهُ * تُلاحظُه كيف آستقلَّ وسارا،
تمثّلت الأهدابُ في ماءِ وجهِه * فظنُّوا خيالَ الشَّعْر فيه عِذارا.

وقال الحاجريّ :

٥ وما آخضرَّ ذاكَ الخدُّ نَبْتاً، وإنما * لكثرة ما شُقَّت عليه المَرائرُ.

وقال آخر :

يالائمي في حُبِّ ذي عارِض، * ما البَلَدُ المُخصبُ كالماحِلِ!
يَموجُ ماء الحسنِ في وجهِهِ * فيَقْذِفُ العنبرَ في الساحل.

وقال آخر :

١٠ ولمّا بدَا خطُّ العِذار بوجهِهِ * كظُلْمة ليل في ضِياء نهار،
تغَلْغلَ في قلبي هواه فلم أزَلْ * خليعَ عِذارٍ في جَديدِ عِذار.

وقال آخر :

قالوا: آلتحَى، فامتحتْ بالشَّعر بهجَتُه! * فقلت: لولا الدُّجَى لم يحسُنِ القمرُ.
مَن كان منتظِرا للصبر عنه بِهِ، * فإنّني لغَرَامِي كنتُ أنتَظِرُ.
١٥ خَطَّتْ يدُ الحسنِ منه فوق وجنَتِه: * هذي محاسنُ، يا أهلَ الهوَى، أُخَرُ!

وقال آخر :

وقلتُ: الشَّعْر يُسْلِيني هواه! * ولم اعلم بأنَّ الشَّعْر حَيْني.
فَظَلْتُ لشِقْوتي أفْدي وأحمِي * سوادَ عِذاره بسَوادِ عيني.

وقال محمد بن عبد الله السلامي، شاعر اليتيمة :

٢٠ عذارُكَ جادتْ عليه الرِّيا * ضُ بأجْفانها وبآماقِها.

وطال غرامُ الغَـوانِي به * فقـد طَرّزتْهُ بأحداقهـا.

وقال آبن سُكَّرَة الهاشمىّ :

وغزالٍ لولا نميمـةُ شَـعْر * ذكّرتْه، لقلتُ: إحدى الجَوارى.
شاربٌ أشْرَبَ الصّبابةَ قلبى، * وعذارٌ خلعتُ فيـه عِذارى.

وقال آخر : ٥

قالوا: آلتحَى وستَسْلُوعنه، قلتُ لهم: * هل يحسُن الروضُ مالم يطْلُعِ الزّهَرُ؟
هَـلِ آلتحَى طَرْفُهُ الساجى، فأهْجُرَه؟ * وهـل تزَحْزَح عن ألحاظه الحَوَرُ؟

وقال أبو الفتح كُشاجم :

مَنْ عَذيرى من عِذارَىْ قمرٍ، * عرّض القلْبَ لأسبابِ التلَفْ؟
زِيدَ حُسْنًا وضياءً بهـما، * فهْو الآنَ كبَدْرٍ فى سَدَفْ. ١٠
خَمَشَا خـدَّيْه ثم آنعطَفَا، * آه ما أحسنَ ذاك المنعطَفْ!
عَلِمَ الشَّـعْرُ الذى عاجَـلَهُ * أنه جارَ عليـه، فَـوقَفْ.
فهـو فى وقْفته معـتَرِفٌ * بالتناهِى فى التعدِّى والسَّرَفْ.

وقال آخر:

لاتعتقِدُوا ما لاح فى وجْنَتِيـهِ * شَعرا، غَلَطًا! ماذاك من شيمته! ١٥
بل ساكنُ ماءِ الحسن قد حرّكه * مَوْجٌ قذف العنبرَ فى حافَتِـه.

وقال عبد الله بن سارة الإشبيلىّ :

ومُعذِّرٍ رقّت حواشى حُسنِه، * فقـلوبُنا حَذَرًا عليـه رِقاقُ.
لم يُكسِ عارضَه السوادَ، وإنما * نفضَتْ عليه صِباغَها الأحداقُ.

وقال أبو بكر الدانىّ، شاعر الذخيرة :

بدا على خدّه عِــذارٌ * فى مثله يُعذَر الكئيبُ.
وليس ذاك العِذارُ شَعْرًا، * لكنّما سِــرُّه غريبُ.
لمّا أراق الدّماء ظُلْما، * بدتْ على خدّه الذُّنوبُ.

٥ وقال عبد الجليل الأندلسىّ :

ومُعذَّرِين كأنّمـا بخُدودِهِمْ * طُرُقُ العيون ومَنْهَجُ الأوداجِ.
وكأنّما صقلُوا الجمالَ فأظهرُوا * مَشْىَ النِّمال على مُتُون العاجِ.

* * *

ومما وصف به العِذار على طريق الذمّ، فمن ذلك ما قاله الوزير أبو المغيرة
١٠ ابن حَزْم، عند ما عُرِضت عليه رسالة بديع الزمان فى الغلام الذى خطب إليه وُدّه
بعد أن عَذَّر، قال :

« ورد كتابك يَنْشُد ضالّةَ وُدِّنا، ويرقِّع خَلَقَ عهدنا؛ ويطلُب ما أفاءته جريرتك
«إلينا، وذهبتْ به جنايتُك علينا؛ أيامَ غصنُك ناضر، وبدرُك زاهر؛ لانجد رسولا
«إليك، غير لحظة تَخْرِق حجاب الدّموع، أو زفرةٍ تُقِيم مُنْآدَ الضُّلوع؛ فإن رُمْنا شكوى
١٥ «يَنْفُث بها مَصْدُورنا، ويستريح إليها مَهْجورنا؛ لقينا دُونَها أمنع سدّ، وأقبح كفٍّ
«وصدّ، وأقدح ردّ.

وفى فصل منها :

«حتّى إذا طَفِئتْ تلك النِّيران، وآنتصف لنا منك الزمان؛ بشَــعَراتٍ أغشَتْ
«هلالَك كُسوفا، وقلبَتْ ديباجكَ صُوفا؛ وأعادت نهارَك ليلا، وناحتْ عليك تلهُّفا

«ووَيْلا ، وأطار حَمامَك غرابُك ، وحجب ضياءَك ضَبابُك ؛ فصار عُرْسك مأتمـا ،
«وعاد وصلُك محرما ، قال القائل :

«وبتَّ مُــداما تُسِــرُّ النزيف * فأصــبحتَ تُجْــرَع خَلًّا ثقيفا .
«وصرتَ مجَـازًا جديبَ المَحَـلِّ ، * وقد كنتَ للطالب الخِصْبَ رِيفا .

«أقبلتَ تتسَلَّل إلينا لِوَاذا ، وتطلُب منا عِيَاذا ؛ قد أنساك ذُلُّ العزل عِزَّ الوِلايه ، ٥
«وأولاك طمَعا نِسيانُنا تلك الجنايه ؛ أيَّامَ ترشُقنا سهامُ ألحاظك رَشْقا ، وتقتُلنا سيوفُ
«ألفاظك عِشْقا ؛ وتَميس غصنا ، فتثير حُزْنا ؛ وتطلعُ شمسا ، فتفَتِّت نفسا .

«فالآن نلقاك بدمع قد جَفّ ، ووجْد قد كَفّ ، وعزاء قد أبَدَّ ، وصبر قد أغار
«وأنجد ، وننظر منك إلى روض قد صَوّح ، وسارٍ قد أصبح ، وأعجَم قد أفصح ،
«ومُبْهَمٍ قد صرّح . فلا شكَّ قد رُفع الغِطاء ، ولا إفكَ قد بَرِح الخَفاء ، ولا لومَ قد وقَع ١٠
«الجزاء . وهلَّا ذكرت المَثَل المتهَنَ "الصَّيْفَ ضَيَّعتِ اللبن !" ونسيتَ من أحرقتَ
«قلبه صــدّا ، وأقلقت جنبه رَدّا ، وملأت جوانحــه نارا ، وتركتَ نومه غِرَارا ؛
«أنــ يُوفيَك قَرْضا ، ويجازِيَك حتّى ترضى ؛ حين نُكِّس علَمُك ، وعثَرت قدمُك ،
«وضاقت طُرُقك ، وأظلم أُفُقك ، وهوى نجمُك ، وخاب قِدْحُك ، وفُلَّ سيفُك ، وحُطَّ
«رُمْحُك ؛ فاطْوِ ثوبَ وصلك فلا حاجة لنا إلى لباسه ، وازْوِ طارقَ شخصك فلا رغبةَ ١٥
«لنا فى إيناسه ؛ فما يشتهِى اليومَ زيارةَ رمْس ، مَنْ زَهِد فيه أمس . قال :

«حانتْ منيتُه فاسودَّ عارضُه ، * كما تُسوّدُ بعــد الميّت الدارُ .
«يامن نَعَتْهُ إلى الإخوان لحيتُه ، * أدبرتَ ، والناسُ إقبال وإدبارُ !
«فيالِدّهرٍ مضى ما كان أحسنَه ! * إذ أنت ممتنِـعٌ والشَّرْطُ دينار .
«أيامَ وجهُك مصقولٌ عوارضه ، * وللرياض على خدّيْك أنوارُ ! ٢٠

وقال عليّ بن نصر الكاتب تعزيةً لمن طلعت لحيته :

«لكل حادثة يفجع بها الدهر — أحسن الله معونتك — حدّ من القلق والألتياع ،
«ومَبلغ من التحرّق والأرتياع ؛ تستوجب فنًّا من التعزيه ، وتستحق نصيبا من العظة
«والتسليه ؛ والأختصار فيها لما قرب خطبه وشانه ، والإكثار لما جلّ محلّه
٥ «ومكانه .

«ومُصابُك هذا — أعانك الله — في بياض عارضك لما آسودّ ، كمُصابك في سواده
«إذا آبيضّ ؛ والألم ببياض رَوْضه جميا ، نظير الألَم به يوم يعود هشيما .

«فليس أحد يدفع عظيمَ النازل بك ، ولا يستصغر جسيمَ الطارق لك ؛ وإن كان
«ما يتعقبه من المشيب أقذى للعيون .

١٠ «التفتتْ عنك النواظر ، وكانت ملتفتة إليك ، ووقفت عنك الخواطر ، وكانت (٣٠)
«موقوفة عليك ؛ وصيّرك قَذى الأجفان وكنت جِلَاها ، وجعلَكَ كُرْبة النفوس
«وكنت هواها ؛ وأبدلك من أنس التقبل ، وحشة التنقل ؛ وعوّضك من رقة الترفرف ،
«كلفة التأفُّف ؛ فتبارك الله الذي صرف عنك الأبصار ، ونقّل فيك الأطوار ! ... ...

... ...

١٥ «فعويلًا دائما وبكاء ! وعزاء عن الذكر الجميل عزاء ! فلكل أجل كتاب ؛ وعلى كل
«جائحة ثواب .

«ولقد آستوفيت أمد الصبا والصبابه ، وآستَنْبت الحسرة عليها والكآبه . فرزيّتُك
«راسية والرزايا سوائر ، ومصيبتُك ثابتة والمصائب عوائر . ”إنا لله وإنا إليه
«راجعون“ .

«ثم لاحيلة، فإنها الأيام التى لا تثبت على حاله، ولا تعرف غيْرَ التنقل والاستحاله!
«فآجرك الله فى وجه نَضَب ماؤه، وذهب رُوَاؤه ومات حَياؤه! وفى ضيعة آستأجم
«برُّها، وآستدغل نَوْرها، وأسبع طريقُها، وآتسعت تَنُوفتُها! وفى جاه كان عامرا
«فخَرب، ودَخْل كان وافرا فذهب، وتَذْكار كان واصلا إلى القلوب فحُجب!
«فأصبحتَ مسبوق السكّيت، وظلِلْت حيا وأنت الميْت، فلا حول ولا قوة إلا بالله ٥
«من مِحَنٍ دُفعتَ إليها، ولم تُعَنْ بحال عليها.

«وقد يشغل الإنسانَ عن نوائبه المشاركون فيها، ويسلّيه عنها المساهمون فى مَعْنَى
«معانيها، وأنت من بين هذه المنزلة لا شريك لك، فإنهم يعتاضون عنها ولستَ
«بمعتاض، ويركُضُون للعيش ولست بركّاض. والدهر يطوِى محاسنَكَ طىَّ السجلِّ
«كتابه، وينشر مَقابِحكَ نشر اليمانى أثوابه. ويَمَلُّ الطرف رؤيتك فلا يُفيق عليك ١٠
«جفنا، ويمجُّ السمع ذكرَك فلا يجد عنده أذنا.

ومنها:

وقد جعلتُ رُقعتى هـذه جامعةً بين البكاء عليك والأنين، وناظمةً بين العزاء
والتأبين. لها حلاوةُ النثر، وعليها طَلاوة الشعر. نحتْها قريحةٌ عليك، ونسجتها خواطر
خاطرت إليك، بتخفّف غرامك والناس مشاغيلُ بتثقيله، وتكرم مكانك والإجماع ١٥
واقع على تهوينه. فإن عرفتَ لى ذالك، وإلا عرفه الصِّدق، وإن شكرته، وإلا
شكره الحق.

والسلام عليك من أسير لا يخلص بالفدية، وقتيل بسيف السِّبال واللحية.»

وقال الصنوبرىّ:

ما بدَتْ شَعْرةٌ بخَدِّك إلّا * قلتُ فى ناظرَىَّ أو فى فؤادِى. ٢٠

أنت بدرٌ جَنَى الخسوفُ عليه * ظلمةً، لا أرى لها من نَفَاد.
فاسوداد العِذارِ بعدَ ٱبيضاضٍ * كٱبيضاضِ العِذار بعد ٱسْودادِ.

وقال آخر :

أصبحَ نَحْسًا ـ وكان سَعْدًا ـ * مَنْ كان مَوْلًى فصار عَبْدا.
٥ بكى على حُسْنِهِ زمانا، * لما رأى الشَّعْرَ قد تبَدَّى.
لو نَبت الشَّعْرُ في وِصالٍ، * لعادَ ذاكَ الوِصالُ صدّا!

وقال الخبزأرزى :

بَدا الشَّعرُ في وَجْهِه، فانتقمْ * لعاشِقِه منه لَمَّا ظَلَمْ.
وما سلَّطَ اللهُ نَبْتَ اللِّحى * على المُرْدِ إلَّا زَوالَ النِّعَمْ.
١٠ تَوَحَّشتِ العينُ في وجْهِه، * وحَقَّ لها وحشَةٌ في الظُّلَمْ.
إذا ٱسْودّ فاضلُ قِرْطاسِه، * فما ظَنُّه بمَجارِى القَلَمْ؟
ولم يَعْلُ في خَدِّه كالدُّخا * ن إلَّا وأسْفَلُهُ كالحُمَمْ.

وقال التَّنُوخيّ :

قلتُ لأصحابي، وقد مَرَّ بِي * مُنْتقِبًا بعدَ الضِّيا بالظُّلَمِ:
١٥ باللهِ، يا أهلَ وِدادِي! قِفُوا * كَىْ تُبْصِرُوا كيفَ زَوالُ النِّعَمِ!

وقال إبراهيم بن خَفاجة الأندلسيّ في ملتحٍ :

ما للعِذارِ، وكانَ وَجْهُكَ قِبلةً، * قد خَطَّ فيه من الدُّجى مِحْرابا.
وإذا الشَّبابُ ـ وكانَ ليس بخاشعٍ ـ * قد خَرَّ فيه راكعًا، وأنابا.

وقال أيضا :

وافى بأوّله صحيفةُ صَفْحةٍ * جعل العِذارُ بها يَسِيل مِدادَا.
متجَهِّما تُكْلَ الشَّبابِ كأنما * لَبِس العِذارَ على الشَّباب حِدَادا.

وقال عمر المطوعىّ، من شعراء اليتيمة :

غدَا — منذُ التحى — لَيْلًا بهيما، * وكان كأنّه القَمَرُ المُنِيرُ.
فقد كتَبَ السَّوادُ بعارِضَيْهِ * لمن يقرا : "وجاءَكُمُ النَّذير".

وقال عبد الجليل الأندلسىّ، من شعراء الذخيرة :

وأمْرَدَ يَسْتَهِيمُ بكل وادٍ * ويَنْصِب للحَشَا خدًا صَلِيبا.
دعوتُ دُعاءَ مظلومٍ عليه، * وكان الله مستَمِعًا مُجِيبا.
فطَوّقه الزمانُ بما جَنَاه، * وعلّق من عِذاريْه الذُّنُوبَا.

* * *

ومما قيل فى العُنُق، يقال :

الجَيَد، طولها — التَّلَع، إشرافها — الهَنَع، تطامُنُها — الغَلَب، غِلَظُها — البَتَع، شِدّتُها — الصَّعَر، ميلُها — الوَقَص، قِصَرها — الخَضَع، خُضُوعها — الخَدَل، عوجها .

وقال دِعْبِل :

أتاحَ لكَ الهوى بيض حِسَانٌ * سلَبْنكَ بالعُيونِ وبالنُّحُورِ.
نَظَرْتَ إلى النُّحور فكِدْتَ تَقْضِى * فأولى لو نظَرتْ إلى الخُصُور.

وقال قيس بن الخطيم :

وجِيدٍ بجيد الرِّيم صافٍ يَزِينُه * توقُّدُ ياقوتٍ وفَصْلُ زَبَرْجَد.
كأنَّ الثريّا فوقَ ثُغْرة نَحْرِها * تَوَقَّدُ في الظَّلْماء أيَّ تَوَقُّد.



٥ ومما قيل في اليد إذا باشَرَتْ ما يَعْلَق بها، يقال :

من اللحم غَمِرة، ومن الشحم زَهِمة، ومن السمن نَسِمة، ومن الزُّبد وَضِرَة، ومن الجُبْن نَشِمة، ومن اللبن مَذِقة ، ومن البَيْض زَهِكة، ومن السمك صَمِرة، ومن الزيت قَنِمة ، ومن الخمر عَتِكة ، ومن الخل خَمِطة ، ومن العسل ونحوه لَزِجة، ومن الطِّيب عَطِرة ، ومن الغالية عَبِقة ، ومن الزعفران رَدِعة، ومن العنبر لَطِخة ، ومن ١٠ الخَلُوق ضَمِخة ، ومن الحنّاء قَنِئة ، ومن الدّم ضَرِجة ، ومن الماء بَلِلَة ، ومن الطين لَثِقة ورَدِغة ، ومن البرد صَرِدة، ومن التراب كَثِبة وغَضِرة، ومن القارِ حَلِكة، ومن الفحم حَمِمة ، ومن المداد طَرِسة ، ومن الحديد سَهِكة ، ومن الفضة سَبِكة، ومن الذهب نَضِرة ، ومن النار شَعِلة، ومن الرياحين فَوِحة ، ومن البقل زَهِرة ، ومن الفاكهة الرطبة لَزِقة، ومن اليابسة فَكِهة، ومن العمل مَجِلة ونَفِطة، ومن الخُشُونة ١٥ شَثِنة وثَفِنة، ومن الشوك مَشِطة وشَظِية ، ومن الحطب حَزِمة، ومن الرمح كَعِبة، ومن الصولجان لَعِبة ، ومن الجود سَبِطة ، ومن العطية مَنِحة، ومن البخل جَعِدة، ومن المنع لَحِزة، ومن العدم تَرِبة، ومن الرزّ زَنِخة، ومن الصابون حَفِرة، ومن الفرصاد قانِية، ومن الرجيع قَنِمة، ومن كل القاذورات قَذِرة. ومن الوسخ دَرِنة . اهـ

ومما مُدِحت به اليدُ، قال مؤيد الدّين الطُّغرائى :

ويدٍ تُمدُّ المالَ راحتُها * أبدًا، ويغمُرظهرَها القُبَلُ.
إنضَنَّ غيثٌ أوخَبَا قمرٌ، * فجبينُه ويمينُه البَدَلُ.

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهانىّ

٥

قالوا: بدَتْ عارِضةٌ لا بدَتْ! ــ * فى كفّ ذاكَ السيِّدِ الأوحدِ.
راحتُه راحةُ من يجتدى، * وكفُّه كفُّ الذى يَعتدِى.
فلا أصابتْ يدَه آفةٌ! * فكم يدٍ عندى لتلك اليدِ!

وقال ٱبن دُرَيد :

يامَنْ يقبِّلُ كفَّ كُلِّ مُمَخْرِقٍ، * هذا ٱبن يحى ليس بالمِخْراقِ!
قَبِّلْ أناملَه، فلسْنَ أناملًا؛ * لكنهنّ مَفاتحُ الأرْزاقِ!

١٠

وقال إبراهيم بن العباس بن محمد :

لفضلِ بنِ سَهْلٍ يدٌ * تقاصَرَ عنها المَثَلْ.
فباطنُها للنَّدَى ، * وظاهِرُها للقُبَلْ.
وبَسْطتُها للغِنَى، * وسَطْوتُها للأَجَلْ.

١٥

وقال ٱبن الرومىّ :

فٱمْدُدْ إلىّ يدا تَعوّدَ بطْنُها * بذلَ النّوالِ، وظَهْرُها التقبيلَا.

وقال أبو نُوَاس :

يا قَمَرًا، أبرزَهُ مأتمٌ * يَنْدُبُ شَجْوا بين أتراب!
يَبكى فيُذْرِى الدُّرّمن نَرجِس، * ويَلْطِم الوَرْدَ بعُنّابِ.

٢٠

وقال الناشى :

مِنْ كفِّ جاريةٍ كأنَّ بَنانَهَا * من فِضَّـةٍ قد طُرِّفت عُنَّابا،
وكأنَّ يُمْناها إذا نَطَقَتْ بهـا * تُلْقِى على يدها الشِّمالِ حِسَابَا.

وقال الراضى بالله :

٥ قالوا: الرَّحيلَ! فأنْشبت أظفارَها * فى خَدِّها، وقد ٱعتلَقْنَ خِضَابا،
فاخضَرَّ تحتَ بَنانِهـا فكأنَّهـا * غرسَتْ بأرضٍ بنَفْسَجٍ عُنَّابا.

وقال ٱبن كيغلغ :

لَمَّا ٱعتنَقْنَا للوَدَاعِ وأعربَتْ * عَبَرَاتُنَـا عَنَّا بدَمْـعٍ ناطقٍ،
فرَّقْن بينَ مَعَاجِرٍ ومحاجِرٍ، * وجمعْنَ بينَ بَنَفْسَجٍ وشَقَائِقِ.

١٠ وقال كُشاجمُ :

فمـا أنْسَها، لا أنْسَ منها إشارةً * بسَـبَّابةِ اليُمـنى إلى خاتَمِ الفَمِ!
وأعلنتُ بالشكوى إليها فأومَأَتْ * حِذاراً من الواشِينَ أنْ لا تَكَلَّمِ.
فلم أرَ شَكْلا واقعًا فوقَ شَكْلِه * كعُنَّابةٍ تُومِى بها فوق عَنْـدمِ.

* * *

١٥ وممـا قيل فى النهود، يُقال :

ثُنْدُوة الرَّجل، ثَدْى المرأةِ، خِلْف الناقةِ، ضَرْع الشاة والبقرة، طُبْىُ الكَلْبة .

قال ٱبن الرومىّ :

صُدورٌ فوقَهُنَّ حِقَاقُ عاجٍ، * وحَلْىٌ زانَهُ حُسْنُ ٱتِّساقِ!
يقولُ الناظرُونَ إذا رأَوْها: * أهٰذا الحَلْىُ من هٰذى الحِقَاقِ؟
٢٠ وما تِلْكَ الحِقَاقُ سِوَى ثُدِىٍّ * قُدِدْنَ من الحِقَاقِ على وِفَاقِ.

نَواهِدُ لا يُعَـــدُّ لهنّ عيبٌ * سِوى منْع المُحِبِّ من العِناقِ.

وهو مأخوذ من قول بعض الأعراب :

أَبتِ الرَّوادِف والثُّدِىُّ لقُمْصها * مَسَّ البُطون، وأن تَمَسَّ ظُهُورا .

وقال محمد بن مبادر :

ولَهـا ثَدْيانِ ماعَـــدَوَا * من حِقَاقِ العاج أن كَعَبا . ٥

قُسِمَتْ بِنصفَيْنِ دِعْصَ نَقًا * وقَضِيبًا لانَ ، فاضْطرَبَا .

وقال عبد الله بن أبى السِّمْط بن مَرْوان :

كأنَّ الثُّـدِىّ إذا ما بَدَتْ * وَزانَ العُقودُ بهنّ النُّحورا ،

حِقاقٌ من العاج مكنونَةٌ * يَسَعْنَ من الدُّرِّ شَيئا كثيرا .

وقال علىّ بن الجهم : ١٠

كنتُ مُشْـتاقًا وما يَحْجُزُنِى * عَنكِ إلا حاجزٌ يمنَعُـــنِى .

شاخِصٌ فى الصدْر، غضْبانٌ على * قَبَبِ البَطْن وطَىِّ العُكَنِ .

يمْـلأُ الكَفَّ ولا يَفْضُـله ، * وإذا أَثْنَيْتـــه لا يَنْـــثَنِى .

وقال ابن الرومىّ :

مُلْقِياتٌ أطفـالَهُنّ ثُدِيًّا * ناهِدَاتٍ كأحسَنِ الرُّمّانِ . ١٥

مُفْعِماتٌ كأنهـا حافِـلاتٌ * وهى صِفْر من دِرّة الألبانِ .

وقال ابن المعتزّ :

قَبِيحٌ بمثلكِ أن تَهْجُـرى ، * وأقبحُ من ذاكَ أن تُهْجَرِى .

أقاتِلَتِى بفُتُــور الجُفُــون * ورُمّانتيْنِ على مِنْـــبَرِ ،

كحُقَّيْنِ من لُبِّ كافورةٍ * برأسَيْهما نُقطتَـا عنـــبرِ ! ٢٠

⁂

وممـا قيل فى البطن، يقال :

النّحل، عِظَمُه ــ الحَبَن، خروجه ــ الثَّجَل، ٱسترخاؤه ــ القَمَل، ضخَمُه ــ الضُّمُور، لَطَافته ــ العَجَر والبَجَر، شُخُوصه ــ التَّخَرْخُر، ٱضطرابه .

قال محمد بن مبادر :

والبَطنُ ذُو عُكْنةٍ لطيفٌ * صِفْرٌ وِشَاحاه جائلانِ .
أشرَفَ من فوقِهِ عليــه * ثَدْيانِ مِيْــلانِ ناهِــدانِ .

... ...

⁂

ومما قيل فى الأرداف والخصور، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير .

فمنه قول عبد الله بن طاهر :

صبٌّ كئيبٌ يشتكيكَ الهوى * كما ٱشتكى خَصْرُك من رِدْفكا .
لسانُه عن وصْفِ أسـقامِه * أكَلُّ منـه عن مَدى وصْفِكا .

وقال ٱبن أبى البغل :

كأنّه فى ٱعتــداله غُصُن * وفى السَّراويل منه أمواجُ .
إذا مشى كالقَضيب جاذبَهُ * رِدْفٌ له كالكَثِيب رَجْراجُ .
ويعـــلَمُ الله أنّنى رجُـــل * إليه مذ قد كَبِرتُ محتــاجُ .

وأنشد أبو بكر بن دُرَيْد عفا الله عنه ورحمه :

قد قلتُ لمّا مرّ يخطِرُ ماشِيًا * والرِّدفُ يجذب خَصْرَه من خَلْفه.
يا مَنْ يُسَلِّمُ خصره من رِدْفِه * سَلِّمْ فؤادَ محبّه من طَرْفه.

وقال السريّ الرفّاء :

ضَعُفتْ معاقِدُ خَصْره وعُهودُه * فكأنَّ عَقْدَ الخَصْر عَقْدُ وفائه.

وقال المتنبي :

وخَصْر تثبتُ الأبصارُ فيه * كأنَّ عليه من حَدَقٍ نِطاقًا.

وقال السريّ الرفّاء :

أحاطَتْ عيونُ الناظرينَ بخَصْره * فهُنَّ له دونَ النِّطاق نطاقُ.

وقال الأمير سيف الدّين المشدّ :

وأهيف القدّ بتُّ أشكو * له تلافي وما تلافَى.
فلانَ عِطفًا ودقَّ خَصْرا * وإنما رِدْفُه تجافَى.

وقال أبو نُوَاس :

لَيِّنُ القَدِّ لَذِيذُ المُعتَنَقْ * يُشْبِهُ البدرَ إذا البدرُ اتَّسَقْ.
مثقَلُ الرِّدفِ إذا وَلّى حكى * مُوثَقًا فى القيد يَمْشِى فى زَلَقْ.
وإذا أقبلَ كادتْ أعينٌ * نَحْوه تَجْرَحُ فيه بالحَدَقْ.

وقال آخر وأجاد :

أيامَنْ نِصْفهُ غُصنٌ * يميلُ ونصْفُهُ كَفَلُ.
صفاتُكَ فى تبايُنِها * فمُنْفَصِلٌ ومُتّصِلُ.
فنصفُكَ موجُ عاصفةٍ * ونصفُك شاربٌ ثَمِلُ.

وَمما وصفت به على لفظ التأنيث، فمنه قول أبى عُبَادة البحترى :

كأنّهنّ وقد قارَبْنَ فى نَظَرِى * ضِدّيْنِ فى الحسن تثقيلا وإخطافا.
ردَدْنَ ما خَفّفتْ عنه الخُصور إلى * ما فى المآزر فاستثقلْنَ أرْدافا.

٥ وقال آخر :

لهـا رِدْفٌ تعلّقَ فى لَطيف * فذاك الرِّدف لى ولها ظَلُومُ.
يُعَذّبُنى إذا فكّرتُ فيه * ويُتْعِبها إذا قصَدَتْ تقُومُ.

وقال مؤمل وأفرط :

مَنْ رأى مثلَ حِبّتى * تُشْبِه البدرَ إذ بَدا.
١٠ تدخُلُ اليومَ ثم تَدْ * خُلُ أردافُها غَدَا.

وقال أبو هلال :

تَمْشِى بأرْدافٍ أَبَيْنَ قُعُودَها * بين النّساءِ كما أَبَيْنَ قِيَامَها.

وقال علىّ بن عطية البلنسى :

وإنسيّةٍ زارتْ من اللّيلِ مَضْجَعِى * فعانقْتُ غُصنَ البان منها إلى الفجْرِ.
١٥ أُسائلُها أينَ الوِشَاحُ ؟ وقد سرَتْ * مُعَطّلةً منه، معطّرةَ النّشْرِ.
فقالَتْ : وأومَتْ، للسّوارِ نقلْتُه * إلى مِعْصَمِى لمّا تقلْقَلَ فى خَصْرِى.

وقال الطائىّ :

من الهِيف لو أنّ الخَلاخلَ صُيّرت * لها وُشُحًا جالتْ عليها الخَلاخلُ.

وقال إسحاق الموصلىّ :

ظِباءٌ كاليَعافيرِ * كُئوسٌ فى المَقاصيرِ.
وأَدبرنَ بأَعجازٍ * كأَوساط الزَّنابيرِ.

وقال عمر بن أبى ربيعة :

٥ يتقابلْنَ كالبُدُور على الأغـ * ـصانِ فى مُثقَل من الأَرْدَافِ.
بخُصُورٍ تَحْكِى خُصُورَ الزَّنابيـ * ـر ضعافٍ هَمَمْنَ بالانقصاف.

وقال آخر :

عظُمَتْ روادِفُها فآذَتْ خَصْرَها * ووشاحُها قَلِقٌ كقَلْب المُغْرَم.

وقال آخر:

١٠ آخِرُهَا مُتْعِبٌ لأوّلِها * فبعضُها جائرٌ على بعْض.

وقال آخر:

تَمْشِى فتُثْقِلُها روادِفُها * فكأنَّها تمشى إلى خَلْف.

وقال البجلىّ :

إن العزِيزَ علىّ خَصْرُكِ إنه * بالرِّدْفِ حُمِّل منك ما لا يُحْمَلُ.
١٥ فخُذِى له جِسْمى مَكانَ وشاحه * إن العَليل بشَكْله يتعَلَّلُ.

***

ومما قيل فى السُّوق، فمن ذلك قول الأميرسيف الدّين المشدّ :

ساقٍ تجَلَّى كأنّه قَمَرُ، * يحْمل شمسًا، أَفْدِيه من ساقِ!
شَمَّر عن ساقه غلائِلَهُ، * فقلْتُ: مهلا، وآكْفُفْ عن الباقى!
٢٠ لَمّا رآنى، وقد فُتِنْتُ به * من فَرْط وَجْدِى وعُظْم أشواقِ،
غنَّى وكأسُ المُدامِ فى يَدِه: * قامتْ حروبُ الهوى على ساق.

وقال عُرْوة :

فَقُمْنَ بطيئًا مَشْيُهنّ تأوُّدا * على قَصَبٍ قد ضاق عنه خَلاخلُهْ.

كما هَزَّتِ الميزانَ رِيحٌ فحرّكتْ * أعاليه منه وارجحنّتْ أسافلُهْ.

وقال كُثَيِّر عَزَّة :

٥ ويجعلن الخلاخِلَ حين تَلْوِى * بأسْوُقهنّ فى قَصَبٍ خِدَال.

وقال كُشاجم :

قلتُ : وقد أبصرتُها حاسرًا * عن ساقها فاضلَ سِرْبالِها :

لو لم تكُنْ من بَرَدٍ ساقُها، * لاحترقتْ من نارِ خَلْخالِها.

وله أيضا :

١٠ وإذا لَبِسْنَ خَلاخلًا، * كَذَّبْنَ أسماءَ الخلاخل.

⁂

ومما وصفت به القدود ، فمن ذلك قول أبى فِرَاس الحمدانىّ :

غُلامٌ فوقَ ما أصِفُ * كأنّ قَوَامَهُ ألِفُ.

إذا ما مالَ يُرْعِبُنى : * أخافُ عليه يَنْقَصِفُ.

١٥ وأشفَقُ من تأوُّده : * أخافُ يُذِيبه التَّرَفُ.

وقال الخُبْزأرُزِّىّ :

أهْيَفُ يحكى بقدِّه الألِفا * يَحْسَر مَن لم يكُنْ به كَلِفا.

أحسنُ من بهجة الخلافة والأمـ * ـن لمن قد يُحاذرُ التَّلَفا.

لو أبصرَ الوجهَ منه مُنْهزمٌ * يطلُبه ألفُ فارسٍ، وَقَفا.

وقال مانى :

أتمنّى الذى إذا أنا أوْمَأْتُ* إليه بطَرْف عينِى، تجنَّى.
أهيَفٌ كالقَضيبِ لو أنّ ريحًا * حرّكتْ هُدْبَ ثوبِه، لتثنّى!

وقال آخر :

أيا سائلى عن قدّ محبوبِيَ الّذِى * كَلِفتُ به وَجْدًا وهِمْتُ غَرَاما.
أبَى قِصَرَ الأغصانِ ثمّ رأى القَنَا * طِوالًا، فأضحى بينَ ذاكَ قَوَاما.

وقال آخر، وهو محمد بن التلمسانى :

يا مُخْجِلًا بِقَوَامِه * أغصانَ بانات اللّوَى!
ما أنتَ عِندِى والقَضِيـ*ـبُ اللّدْنُ فى حدٍّ سَوَى!
هذاكَ حَرّكه الهَوا * ءُ وأنتَ حَرّكتَ الهوَى!

وقال آخر :

يا غُصُنا راحَ الصّبَا * يَثْنِيه، لا رِيحُ الصَّبا!
ما إنْ بدَا للعَيْنِ إلّا* ٱرتاحَ قَلْبِى وَصَبَا.
ولا ٱنْثَنَى يَخْطِر إلّا* ٱزدادَ قلبى وَصَبا.

وقال آخر، وهو كُشَاجِم :

مُعْتدلٌ من كُلّ أعطافه، * مُسْتحسَنُ القامةِ والمُلْتفَتْ.
لو قِيستِ الدّنيا ولذّاتُها * بساعةٍ من وَصْله، ما وفَتْ.
سُلّطت الألحاظُ منه على * قلبِى، فلو أوْدَتْ به ما ٱشتفَتْ.
وٱستعذبَتْ رُوحى هَواه فلا * تَصْحُو ولا تَسْلُو، ولو أتْلفَتْ.

٭٭٭

ومما قيل فى العِنَاق، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير.

فمنه قول الحسين بن الضحاك :

وَمُوَشَّحٍ، نازعتُ فضلَ وِشَاحِه ٭ وكسوتُهُ من ساعِدَىَّ وِشَاحا.

٥ بات الغَيُور يشُقّ جلدةَ خَدِّه ٭ وأمالَ أعطافًا علىّ مِلَاحا.

وقال آخر :

بِتُّ وبدرُ الدُّجَى نديمى ٭ وهو مُوَاتٍ بلا آمتناعِ.

فقلتُ للحاسدِينَ لَمَّا ٭ أشرقَتِ الشمسُ بالشُّعَاع :

القَلْبُ والطَّرْف مَنْزِلاهُ ٭ وَهْو إلى الآنَ فى الذِّراع.

١٠ وقال آبن المعتز :

ما أقْصَرَ الليلَ على الراقِدِ! ٭ وأهْونَ السُّقْمَ على العائد!

يَفْدِيكَ ما أبقيْتَ من مُهْجتِي، ٭ لستُ لِمَا أوْليتَ بالجاحِد.

كأنّنى عانقْتُ رَيحانةً ٭ تنفّستْ فى ليلها البارِد.

فلو ترانَا فى قَميص الدُّجَى، ٭ حَسِبْتَنا فى جَسَدٍ واحد.

١٥ وقال أبو هلال فى نحو ذلك :

ونحنُ فى نَظْم الهَوى واحِدٌ ٭ كأنّنا عِقْدانِ فى نَحْرِ.

وقال آبن الصولى:

طالَ عُمْرُ الليلِ عِنْدى ٭ إذ تَوَلَّعْتَ بصَدِّ.

يا ظَلُوما نقضَ العَهْـ ٭ ـدِ ولم يُوفِ بعَهْدِ!

أَنَسِيتَ الوصل إذ بِتْـــنا * على مَرْقــدِ وَرْدِ.
وٱعتَنَقْنـا كوِشـاح * وٱنتظَمْنا نظْمَ عِقْدِ.
وتعطَّفْنـــا كغُصـــنين، فقَـــدَّانا كقَـــدّ.

وقال ٱبن عبدكان الكاتب :

وكِلَانا مُرْتَدٍ صـاحِبَـــه * كارتداء السَّيف فى يَوم الوَغَى. ٥
بخُدودٍ شافيـاتٍ من جَوًى * وشِفاهٍ مُرْوِياتٍ من ظَمَا.
نَتَسـاقى الرِيقَ فيما بينَنـا: * زَقَّ أُمَّات القَطا زُغْبَ القَطا.

وقال على بن الجَهْم :

سَقَى اللهُ ليلا ضَمَّنا بعد فُرْقة، * وأدْنى فؤادًا من فُؤادٍ مُعذَّبِ!
فبِتْنا جميعًا : لو تُراق زُجاجةٌ * من الخمر فيما بيْنَنا، لم تَسَرَّبِ. ١٠

وقال الخُبْزأَرُزِّىّ :

طوَّقْتُه طَوْقَ العِناقِ بساعِدِى، * وجعلتُ كفِّى للِّثام وِشاحا.
هــذا هو الفَوْزُ العظيمُ نَخِلْنا، * مُتعانقَيْن فما نُرِيدُ بَرَاحا!

وقال صالح بن يونس :

لِى ســيِّدٌ ما مثْلُه ســيِّدٌ، * تَصدّتِ الحُمَّى له فاشـتكى. ١٥
عانقتُـــه عِنْــدَ مُوافاته، * والأُفْقُ بالليل قد ٱحْلَوْلَكا.
فجـاءتِ الحُمَّى كعاداتِهـا، * فلم تجـدْ ما بيْنَنـا مَسْلَكا!

وقال الحسين بن علىّ بن بِشْر الكاتب :

ضَمَمتُه ضَمَّ مُفْـرِط الضَّمِّ، * لا كأَبٍ مُشْـــفِقٍ ولا أُمِّ.
ولم نَزَلْ، والظلامُ حارِسُنا، * جسمَيْنِ مستودَعَيْنِ فى جسْمِ. ٢٠

ألثمه فى الدُّجَى ، وبَرْقُ ثنَا * يَاهُ يُرِينِى مواضِعَ اللَّثْمِ.
ثُمَّ افترقنا عِنْد الصباحِ وقَدْ * أثّرت فيه كهَيْئةِ الخَتْمِ.

وقال أبو عبد الله الحامدىّ :

سَقَانِى وحَيَّانِى وباتَ مُعانِقِى ! * فياعَطْفَ مَعْشوقٍ على ذُلِّ عاشِقِ!
ويا ليلَةً، باتتْ سَواعِدُنا بها * تَدُورُ على الأعناقِ دَوْرَ المَخَانِقِ!
نَبُثُّ من الشَّكْوى حديثاً كأنّهُ * قلائدُ درٍّ فى نُحورِ العَوَاتِقِ.

* * *

ومما ورد على لفظ التأنيث، فمن ذلك قول أبى إسحاق الصابى :

هَيفاءُ تَحْكِى قَضِيبا * قد جَمَّشَتْه الرِّياحُ.
تَفْتَرُّ عن سِمْط دُرٍّ * عليه مِسْكٌ وراحُ.
جَرَّدتُها واعتنَقْنا : * كلٌّ لكُلٍّ وِشاحُ!
باتَتْ، وكلُّ مَصُونٍ * لِى من حِماها مُبَاحُ.
فى ليلةٍ لم يَعِبْها * فى الدّهرِ إلاالصَّبَاحُ.

وقال أيضا :

أقولُ وقد جَرَّدتُها من ثيابِها * وعانقتُها كالبدرِ فى ليلة التِّمِّ:
لَئن آلمَتْ صَدْرِى بشِدّة ضَمِّها، * لقد جبَرَتْ قلبِى وإنْ أوهنَتْ عَظْمِى!

وقال أبو الفضل الأصبهانىّ :

ياليلةً قُرِنتْ لنا * فيها المآرِبُ بالنَّجاحْ.
بِتْنا بِرَغْم وُشاتِنا * متعانِقَيْنِ إلى الصَّباحْ.

متمازِجين كأنّنا * رُوحانِ من ماء وراحْ.
ظنّ الوشاةُ لفَرْط ضَمّـِّـي أنّني بعضُ الوشَاحْ!

*
* *

وممـا قيل فى وصف مَشْيِ النساء، يقال :

تَهَالَكتِ المرأةُ، إذا انفتلَتْ فى مِشْيتها .
تأوّدتْ ، إذا اختالتْ فى تَثَنٍّ وتكسُّر .
بَدَحتْ وتبدّحتْ ، إذا أحسنت مِشْيتها .
تَهزّعتْ تهزُّعا، إذا اضطربت فى مِشْيتها .
قَرْصَعَتْ قَرْصعةً ، وهى المِشْية القبيحة؛ وكذلك مَتَعتْ مَتْعا .

وقال الأعشى :

غَرّاءُ، فَرْعاءُ، مَصْقُولٌ عوارِضُها * تمشِى الهُوَيْنَى كما يمشِى الوجِى الوَحِلُ.
كأنَّ مِشْيَتَها مِن بيت جارَتِها * مَرُّ السحابةِ : لا ريثٌ ولا عَجَلُ.

وقال آخر :

يَمشِين مَشْىَ قَطا البِطاحِ تأوُّدًا، * قُب البطونِ، رَوَاجِحَ الأكْفالِ.

وقال ابن عائشة من أبيات :

فكأنّهنّ إذا أردْنَ خُطًا * يَقْلَعْنَ أرجُلَهنّ من وَحَلِ.

وقال أبو الفتح كُشاجم :

وتهتزُّ فى مَشْـيها مِثْلَ ما * تَهُزُّ الصَّبا غُصنًا ناعِمـا.
وتأمُر بالأمْرِ فيـه الذى * كَرِهتُ فأرضَى به راغما.

وقال آخر :

شبَّهتُ مِشيَتها بمشيةِ ظافرٍ * يختالُ بينَ أسنَّةٍ وسُيوفِ .
صَلِفٍ تباهتْ نفسُه في نفسِه ، * لما انثنَى بسِنانِه المرعُوفِ .

وقال آخر :

٥ تمشي الهُوينَى إذا مشتْ فُضُلا * مَشْيَ النَّزيفِ المخمورِ في صَعَدِ .
تظَلُّ من زَوْرِ بيْتِ جارتِها * واضعةً كفَّها على الكَبِدِ .

وقال المُنخَّل اليشكُريّ :

ولقد دَخَلْتُ على الفتا * ة الخِدْرَ في اليومِ المَطيرْ .
فدفعتُها فتدافعتْ * مَشْيَ القطاةِ إلى الغديرْ .
١٠ ولثَمتُها فتنفَّستْ * كتنفُّسِ الظَّبيِ البَهيرْ .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أبصرتُها ليلةً ، ونسوتُها * يمشينَ بين المقامِ والحَجَرِ .
يرفُلْنَ في الرَّيطِ والمُروطِ كما * تمشي الهُوينَى سواكنُ البقرِ .

وقال ابن مُقْبِل :

١٥ يَهْزُزْنَ للمشيِ أوصالًا منعَّمةً * هزَّ الجَنوبِ ضُحًى عَيْدانَ يَبْرِينَا(١) .
أو كاهتزازِ رُدَينيٍّ تداوَلَهُ * أيدِي التِّجارِ فزادُوا مَتْنَه لِينَا .
يَمشِينَ هَيْلَ النَّقَا مالتْ جوانبُه * ينهالُ حِينًا وينهالُ الثَّرَى حِينَا .

(١) العيدان : النخل الطوال واحدته بهاء ، و يبرين : اسم قرية كثيرة النخل والعيون العذبة بحذاء الأحساء .

وقال أشجعُ السلمىّ :

وماجَتْ كموْجِ المـاء بينَ ثيابِهـا * يَميلُ بها شَطْرٌ ويَعْدِلُهـا شَطْرُ.

إذا وصَفَتْ مافوقَ مَجْرى وِشاحِها * غلائلُها رَدَّتْ شهادتَهـا الأُزْرُ.

وقال العباس بن الأحنف : (٣٨)

شمسٌ مقــدّرةٌ فى خَلْق جاريةٍ * كأنمـا كَشْحُها طَىُّ الطّوامِـيرِ. ٥

كأنها حينَ تمشِى فى وَصائفِها * تَخْطُوعلى البَيْضِ أوخُضْرالقَوارِيرِ!

انتهى الغرض فى وصف الأعضاء، وما شاكلها وآتصل بها .

فلنذكُرْ إن شاء الله تعالى ما جاء فيما قدّمناه من الأمثال .

فأما ما جاء منها فى الإنسان، يقال :

شديدٌ على الإنسان مالم يعوَّد . ١٠

وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليَعْلَما .

الناس من جهة التمثيلِ أكْفَاء .

الناس أخيافٌ وشَتَّى فى الشِّيَم .

الناس بزَمانِهم اشبهُ منهم بآبائِهم .

وما الناس إلا هالكٌ وابنُ هالك . ١٥

والناسُ أولادُ عَلَّاتٍ فمن عَلِمُوا * أن قد أقَـلَّ فمهْجُورٌ ومحقُورُ.

وقال آخر :

الناسُ أكيسُ من أن يحسُدُوا رجُلا * حتّى يَرَوْا عنــده آثار إحْسَــان.

ويقال :

المرءُ أعلم بشأنه .

المرءُ مَعَ من أَحَبّ .

دَعِ امرأً وما اختار .

كلُّ امرِئٍ في شأنِهِ ساع .

كلُّ امْرِئٍ مُصبَّحٌ في أهله .

كلُّ امْرِئٍ من شَجْوِ صاحِبِهِ خلْو .

المرء يَعْجَزُ لا مَحَالة .

المرء تَوّاقٌ إلى ما لَمْ ينَلْ .

المرء يجمعُ، والزمانُ يفرِّقُ .

ويقال :

الرِّجالُ بالأموال .

تُقَطِّعُ أعناقَ الرجال المطامعُ .

ولكلِّ دهرٍ دولةٌ ورجالٌ .

* * *

ومما يتمثل به في ذكر النفس، يقال :

النفسُ مُولعَــةٌ بحُبِّ العاجلِ .

النفس أعلَمُ مَنْ أَخُوكَ النافِعُ .

أكْذِبِ النفسَ إذا حدّثتها .

ماعاتَبَ الرجلَ اللبيبَ كنَفْسه .

الجُودُ بالنفس أقصى غايةِ الجُود .

نَفْسُ عِصامٍ سَوّدتْ عصَاما .

⁂

ومما يتمثل به من أعضاء الإنسان الظاهرة والباطنة ٥

ما قيـــل فى الرأس والشـــعر

مَنْ نَجَا برأسِه فقد رَبِحَ .

رماه بأقْحاف رأسِه . أى بالدواهى .

اختلفَتْ رُءوسها فرتَعَتْ .

كلُّ رأسٍ به صُدَاع . ١٠

ويقال :

ادقُّ من الشَّعر .

اهْونُ من الشَّعر الساقِط .

ما يتمثل به من ذكر الوجه

وجهُ المحرِّش أقبَحُ . أى وجه مبلِّغ القبيح أقبح من وجه قائله . ١٥

فى وَجْه مالكٍ تُعْرَف إمرتُه .

قَبْل البُكاء كان وجْهُك عابسا .

قال أبو تمـام :

وما أُبالِي، وخيرُ القولِ أصـــدَقُه، * حقَنْتَ لى ماءَ وجهى أم حقَنْتَ دَمِي.

وقال ابن الرومىّ :

وقَلَّ مَنْ ضَمِنتْ خَيْرا طَوِيَّتُه * إلا وفى وَجْهِه للخَيْرِ عُنْوانُ.

له مُحَيًّا جميلٌ يُستَدَلُّ به * على جميلٍ، وللبُطْنان ظُهْرانُ.

وقال آخر :

صَلَابةُ الوجه صَلَاحُ الفتَى * ورِقّة الوَجْه من الخُرْقة.

ما يتمثل به من ذكر العين، يقال :

أسرَعُ من طَرْف العَيْنِ .

أسرَعُ من لَمْح البَصَر .

العَيْنُ تَرْجُمانُ القلب .

شاهِدُ البُغْض اللحظُ .

رُبَّ عَيْنٍ أَنَمُّ منْ لسان .

ليس لِمَا قرّتْ به العينُ ثَمَن .

نظرةٌ مِن ذِى عَلَق .

عينٌ عَرَفَتْ فذَرَفتْ .

لحظهُ أصدقُ من لفظه .

ليس لعينٍ ما رأتْ، ولكنْ لِكفٍّ ما أخذَتْ .

لا تطلُبْ أثَرًا بعد عَيْنٍ .

من أطاع طَرْفَه، أصاب حَتْفَه.

وأىُّ عارٍ على عينٍ بلا حَوَر .

والدّمعُ قد يُعْلِنُ ما فى الصُّدُور .

ومن الأبيات :

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كَلِيلةٌ ، * ولكنّ عين السُّخْط تُبْدى المَسَاوِيا .

وقال الامير أبو الفضل الميكالىّ :

كَمْ والدٍ يَحْـــرِمُ أولادَه * وخَيْرُه يَحْظى به الابعَـدُ .

كالعين لاتنظُر ماحَوْلَها ، * ولَحْظُها يُدْرِك مايَبْعُـــدُ . ٥

ما يتمثل به من ذكر الأنف

أَنْفُك منْك وإن كان أَجْدَعَ . يضرب فى القريب السُّوء .

شفَيْتُ نَفْسِى وجَدَعْتُ أنفى .

لأمرٍ مّا جُدِعَ قَصِيرٌ أنْفَه .

كلُّ شىءٍ أخطأ الأنْفَ جَلَل . ١٠

لُدِغتُ حيثُ لايضَعُ الراقى أنْفَه . يضرب للأمر الذى لادواء له .

رُبَّ حامٍ لأنفِه وهوجادِعُه . يضرب لمن أَنِفَ من الشىء فتُوقعه الأَنَفَةُ فى أشدَّ منه .

مات حتْفَ أنفِه .

جَدَع الحلالُ أنْفَ الغيرَةِ . قاله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

أَنْفٌ فى السَّماء ، وَاَسْتٌ فى المــاء ! ١٥

ما يتمثل به من ذكر الفم ، واللسان ، والأسنان

كل جانٍ يدُه إلى فِيه .

حدّثَنِى ، فاهُ إلى فِىّ .

فلان خفيفُ الشَّفَة . أى قليل المسألة .

سكتَ ألفاً، ونطق خَلْفاً .

قَرَع سِنّ النادِم .

كَدَمْتَ فى غير مَكْدَمٍ . أى طلبت غير مَطْلَب .

وجُرْح الدَّهر، ما جَرَح اللّسانُ .

٥ وجُرْح اللسان كجُرْح اليد .

ما يتمثل به من ذكر الأُذُن

جاء فلانٌ ناشِرًا أُذُنَيـه .

لَبِستُ على ذلك أُذُنَيّ .

أساء سَمْعا فأساء إجابةً .

١٠ كلامُه يدخُل فى الأُذُن بلا إذْن .

جعلتُ ذلك دَبْرَ أُذُنِي .

ما يتمثل به من ذكر العُنُق

حَسْبُك من القِلادة ما أحاط بالعُنُق .

أذَلّ الحرصُ أعنـاقَ الرجال .

١٥ وقال أبو الفتح البستىّ :

فَكَمْ دَقَّتْ وَشَقَّتْ واسترقَّتْ * فُضُولُ العيش أعناقَ الرِّجالِ.

ما يتمثل به من ذكر اليد

أهْدى من اليدِ إلى الفَم .

ألزمُ من اليمينِ للشِّمال .

يَدَاكَ أَوْكَتَا، وفُوك نَفَخ .

اليَدُ العُلْيا خيرٌ من اليد السُّفْلَى .

آثَرُ لَدَيْه من يمين يَدَيْه .

ذَهَبُوا أَيْدِى سَبَا . أى متفرّقين .

بالساعِدِ تَبْطِشُ الكفُّ . ٥

على يَدِى دارَ الحديثُ . إذا كان خبيرا بالأمر .

هو على حَبْل ذراعِه . أى موافق له .

تَرِبَتْ يَدَاه . دعاء عليه بالفَقر .

ما تَبُلُّ إحْدى يديْه الأُخْرى . للبخيل .

تَرَكه على أَنْقى من الراحة . ١٠

فلان يُقَلِّب كَفَّيه .

سُقِط فى يَدَيْه . للنادم .

أَعْطاهُ عن ظَهْرِ يدٍ . أى ابتداء لا عن مُكافَأة .

ماسَدّ فَقْرَك مثلُ ذاتِ يَدِك .

إن الذَّلِيلَ الذى ليسَتْ له عَضُدُ . ١٥

يَدٌ تَشِجُّ، وأخرى منك تأْسُونِى .

على اليَدِ ردُّ ما أخذَتْ .

وما الكَفُّ إلا إصْبَعٌ ثم إصْبَع .

ومن الأبيات :

قَد تَطْرِفُ الكَفُّ عينَ صاحِبِها، * ولا يَرَى قَطْعَها من الرُّشْدِ.

وقال آخر :

فَلَوْ أنَّها إحْدَى يَدَىَّ رُزِئْتُها، * ولكنْ يَدِى بانتْ على إثْرِها يَدُ.

٥ وقال أبو تمام :

وهل يَسْتعيضُ المرءُ من خَمْسِ كَفِّه، * ولو صاغَ من حُرِّ اللُّجَيْنِ بَنانَها؟

مايتمثل به من ذكر الصدر والقلب

صَدْرُك أوسع لسِرِّك .

صُدُورُ الاحرار، قُبورُ الاسْرار .

١٠ لا بدّ للصُّدُور من أن يَنْفُثَ .

أَلْزَمُ له من شعَرات صَدْره .

ماجَعَل اللهُ لرجُلٍ من قَلْبيْنِ فى جَوْفه .

القَلْب طَليعةٌ .

القلوبُ تتقَلّب .

١٥ قال بعض الشعراء :

مَتَى تجمع القلبَ الذَّكِىَّ وصارماً * وأنْفًا حمِيًّا، تجتَنِبْكَ المَظَالِمُ.

وقال آخر :

إنَّ التباعُدَ لا يضُرّ * إذا تقارَبتِ القُلُوبُ.

ما يتمثل به من ذكر الظهر والبَطْن والجَنْب

اِستظْهِر على الدّهر بخِفّة الظَّهْر .

قَلَب الأمْرَ ظهرًا لبَطْنٍ .

لا تجعل حاجتِي بظَهْرٍ . أى لا تُلقِها وراء ظهرِك .

اِنقَطَع السَّلى فى البَطْن . لتناهى الشِّدّة .

نَزَتْ به البِطْنة . لمن لا يحتمل النِّعمة .

لكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ .

لِجَنْبه فلْتكُن الوَجْبَة ، فى الدعاء عليه .

دمِّثْ لِجَنْبِك قبلَ النَّوم مُضْطَجَعا .

ما يتمثل به من ذكر الكبد والدّم والعروق

يا بَرْدَها على الكَبِد !

فلانٌ بين الخِلْب والكَبِد .

ما ينفعُ الكَبِدَ يَضُرّ الطِّحَال .

ويقال :

جَرَى منه مَجْرى الدّم فى العرُوق .

هو أعَزُّ من دَمِ الفُؤاد .

سِرُّك منْ دَمِك .

لا تَكايُلَ بالدّم .

لا يَحْزُنْك دمٌ هَراقَهُ أهْـلُه . لجانٍ على نفسه .

فلانٌ لا يشرَبُ الماء إلا بدَمٍ .

العِرْق نَزّاع .

ألا إنَّ عِرْقَ السُّوء لا بُدَّ مُدْرِكُ !

ما يتمثل به من ذكر الساق والقدم، يقال :

٥ اِلْتفَّتِ الساقُ بالساق . في الشدة .

كشفَتِ الحربُ عن ساقها، وكَشرتْ عن نابِها .

قَدَحَ في ساقِه، إذا عمل في شيء يكرهه .

لا يُرسِلُ الساقَ إلا مُمْسكًا ساقا .

قد شَمَّرتْ عن ساقِها، فشمِّرِي ! في الحثّ على الجِدّ .

١٠ ويقال :

له قَدَمٌ في الخير . أي سابقةٌ .

إنك لا تَسْعَى برِجْلَيْ مَنْ أَتى .

وقال الشاعر :

إنَّ قُرَيشًا — وهي من خَيْرِ الأُمَمْ — * لا يَضَعُونَ قَدَمًا على قَدَمْ .

---

١٥ من ضُرِب به المثلُ من الرجال على لفظ أفعل للتفضيل

يقولون :

أسْخَى من حاتِمٍ .

أجودُ من كَعْب بنِ مامَةَ .

أجودُ من هَرِم . قال الميدانى : هو هَرِم بنُ سِنانِ بن أبى حارثة .

وفيه يقول زُهَيْر بن أبى سُلمى :

إن البخيلَ مَلُومٌ حيثُ كانَ ولـ * ـكنَّ الجوادَ على عِلّاتِه هَرِمُ .

أقْرى من مَطاعيم الرِّيح . ومطاعيم الريح أربعة : منهم أبو مِحْجَن الثقفىّ .

وكان لبيدُ بن ربيعة العامرىّ يُطْعِم إذا هَبَّت الصَّبا . ٥

أشجعُ من ربيعة بن مُكَدَّم .

أعزُّ من كُلَيْب بن وائل .

أعزُّ من مَرْوان القَرَظ .

أسْوَدُ من قَيْس بن عاصم .

أحْلَمُ من الأحنف بن قيس . ١٠

أزْكَنُ من إياس بن معاوية .

أفتَكُ من البَرَّاض بن قيس النمرىّ ، خليع بنى كِنانة . فتك بعُرْوة الرحَّال ، والمُساور بن مالك الغَطَفانىّ ، وأسد بن خيثم الغنوىّ بسبب لَطِيمة النعمان . وبسبب ذلك كانت أيام الفجار الأخر ؛ وسنذكرها فى وقائع العرب إن شاء الله تعالى .

أوْفَى من الحارث بن عُبَاد . وخبره مشهور مع مهلهل أخى كُلَيب لما أمنه يوم تَحْلاق اللِّمَم . ١٥

أوْفَى من عَوْف بن مُحَلِّم .

أوْفَى من هانئ بن قَبِيصة . وخبره مشهور فى أدرع النعمان ؛ وبسببها كانت وقعة ذى قار .

أوفَى من السَّمَوْءل بن عادياء .

أجمَلُ من ذى العِمامة . وهو سعيدُ بنُ العاص بن أمية ، ويكنَى أبا أُحَيْحة ؛ وهو المقول فيه :

أبو أُحَيحةَ مَن يَعْتَمُّ عِمَّتَه * يُضْرَبْ ولو كان ذا مالٍ وذا وَلَدِ . ٢٠

أمضَى من سُلَيْك المَقَانِب .

أغلَى فِداءً من حاجب بنِ زُرارة؛ ومن بِسْطام بنِ قَيْس ؛ ومن الأشعث . أسَرْته مَذْحِج ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير .

أعْدَى من الشَّنْفَرَى ؛ ومن السُّلَيْك بن السُّلَكة .

أبطَأُ من فِنْد . وهو مولىً لعائشة بنت طلحة ؛ وقال أبو هلال العسكري : عائشة بنت سعد بن أبي وَقَّاص ، بعثت به مولاته ليقتبس نارا ، فأتى مصر ، فأقام بها سنة ، ثم جاء يشتدّ ومعه نارٌ ، فتبددت فقال : تَعِسَتِ العجلةُ !

أنْوَمُ من عبُّود . كان عبود عبدًا أسودَ ؛ وكان الله عز وجل قد بعث نبيا الى قومه . قال الميداني : إن النبيّ هو خالدُ بن صفوانَ ، نبيُّ أهل الرَّسِّ . فلم يؤمن به أحد منهم إلا ذلك العبدُ الأسودُ ، وإن قومه آحتفروا له بئرا فصيروه فيها وأطبقوا عليه صخرةً . فكان ذلك الأسود يخرج من القرية فيحتطب ، ويبيع الحطب فيشترى به طعاما وشرابا ، ثم يأتى به إليه فيُعينُه الله تعالى على الصخرة فيرفعها ويدلى إليه الطعامَ والشرابَ . فاحتطب يوما وجلس فنام على شقِّه الأيسر سبعَ سنين . ثم هبَّ من نومه فانقلب على شقّه الأيمن ، فنام سبع سنين ، وهو يظن أنه نام ساعة من نهار . ثم آحتمل حُزْمته وأتى القريةَ ، فباع الحطب وجاء الى الحفرة فلم يجد النبيّ وكان قد بدا للقوم فأخرجوه . فكان يسأل عن الأسود ، فيقولون : لا نَدْرى . فضُرِب به المثل لمن ينامُ نوما طويلا . وقيل فيه غير ذلك . وذكره الميداني في أمثاله ولم يذكر السبعة الثانية ، وإنما ذكرها صاحب كتاب المفاخر (١) .

أنعمُ من خُرَيم الناعم . هو رجل من ولد سنان بن أبي حارثة ، كان في زمن الحجاج .

أبلغُ من سَحْبانِ وائلٍ . ويقال أخطَبُ من سَحْبان : وهو الذي يقول :

لقد علمَ الحيّ اليمانُون أنني ... إذا قلتُ : أمّا بعدُ ، أنّى خطيبُها .

أخطَبُ من قُسّ . هو قُسّ بن ساعدة بن حُذَافة بن زُهَير بن إياد بن نزار . وكان من حكماء العرب وهو أوّل من كتب من فلان الى فلان ؛ وأوّل من أقرّ بالبَعْث من غير علم ؛ وأوّل من قال : "البيِّنةُ على من آدّعى ، واليمين على مَنْ أنكر" . وقيل : إنه عُمِّر مائةً وثمانينَ سنةً .

---

(١) هو كتاب "الفاخر" وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : وفَدَ وفْد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فلما فرغ من حوائجهم قال : أفيكُمْ مَنْ يعرفُ قُسّ بنَ ساعدة الإيادىّ ؟ فقالوا : كلنا نعرفه ! قال : مافعل ؟ قالوا : هَلَكَ ! فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : كأنى به على جملٍ أحمرَ بعُكَاظ قائما ، يقول : « أيها الناسُ اجتمعوا واسمعوا وعُوا ! كلُّ مَنْ عاش ماتَ ، وكلُّ مَنْ مات فاتَ ، وكل ما هو آتٍ آتٍ ! إنّ فى السماء لَخبرا ، وإن فى الأرض لَعبرًا : مهادٌ موضوع ، وسَقف مرفوع ، وبحارٌ تموج ، وتجارةٌ لن تبور ٥ وليلٌ داجٍ ، وسماءٌ ذاتُ أبراج ! أقسَم قُسٌّ حقًّا : إن كان فى الأرض رضا ليكونَنّ بعده سخط ! وإن لله عز وجل دينا هو أحبُّ إليه من دينكم الذى أنتم عليه ! مالى أرى الناس يذهبونَ فلا يرجعُون ؟ أرَضُوا فأقاموا ؟ أم تُرِكوا فناموا ! » ثم أنشد أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه شعرا حفظه له ، وهو :

فى الذاهبينَ الأوّلـــين من القُرون لنا بَصائرْ .
لَمَّا رأيتُ مَـــوارِدًا * للوت ليس لهَـا مَصَادرْ . ١٠
ورأيتُ قَــــومِى نَحْوَها * تسعى : الأصاغرُ والأكابرْ .
لا يَرْجِــعُ المـاضى الىّ * ولا من الباقيـــن غابرْ .
أيقنتُ أنّى لامَحَــــا * لةَ حيثُ صار القومُ صائرْ !

ويقال : أعْيا من باقِلٍ . وهو رجل من ربيعة ابتاع ظَبْيا وحْشيا بأحدَ عشرَ درهما ، وجعل بقية الدراهم فى فيه . فسُئل عن ثمنه ، ففعل بيديه تُجاه السائل (أى فتح أصابعه وفغر فاه وأدلى لسانه يشير بذلك ١٥ إلى ثمنه) . فحصل من ذلك انفلات الظبى ؛ وسقوطُ الدراهم ؛ والإساءة على السائل . فضُرب به المثل .

أبَرُّ من العَمَلَّس . كان برًّا بأمه فكان يحملها على عاتقه .

أبَرُّ من فَلْحَس . وهو رجل من شيبان . حمل أباه على ظهره وحجّ به .

وفيه أيضا يقال :

أسْألُ من فَلْحَس . كان سـيدا عزيزا ، يَسْألُ سهما فى الجيش وهو فى بيته فيُعطَى لعزه ؛ فإذا ٢٠ أُعطى سأل لامرأته ؛ فإذا أُعطِى سأل لبعيره ، وكان له ولد يقال له زاهر ، فكان مثلَه ، فقيل فيـه : "العَصَا من العُصَيَّة" .

ويقال :

أخيبُ صفقةً من شيخ مَهْو . وهو حىّ من عبد القيس آشتروا الفَسْوَ من إياد وكانوا يُعرَفون به ، فعرفت به عبدالقيس . قال الميدانى : هذا الشيخ آسمه عبدالله بن بيدرة ، آشترى الفَسْوَ من إياد ببُرْدَىْ حِبَرَةٍ ، وقال لقومه : آشتريتُ لكم عار الدهر ، فقالت عبد القيس فى ذلك :

٥ إنّ الفُسَاةَ قبلنا إيادُ * ونحن لانفسو ولانكادُ

وفيهم يقول شاعر :

يامَنْ رأى كصَفْقَةِ آبن بيدَرَهْ * من صَفْقَةٍ خاسرة مُخَسَّرَهْ؟

المشترِى العارَ ببردَىْ حبَرَهْ ! * شَلَّتْ يمينُ صافقٍ ماأخسرَهْ !

أخسرُ صَفْقةً من أبى غَبْشَانَ . فإنه باع مفاتيح الكعبة من قُصَىّ بزقّ خمر .

١٠ أضَلُّ من سِنَانٍ . وهو آبن أبى حارثة المرّى ؛ وكان قومه عنفوه على الجود ، فركب ناقة له ورمى بها الفلاة ، فلم يُرَ بعد ذلك . وسمته العرب ضالّةَ غَطَفان ؛ وقالوا : إن الجانّ آستفحلته تطلبُ كرم نجله .

أبطَشُ من دَوْسَر . وهى كتيبة النعمان .

أهدى من قَيْس بن زُهَيْر .

أفرغُ من حَجّامِ ساباطَ . يقال إنه كان إذا أعوزه من يَحْجمه حجم أمّه ، فلم يزل يحجُمها حتى نَزَفَ ١٥ دَمُها ، فماتت .

أندَمُ من الكُسَعِى . وآسمه مُحارب بن قيس ، وقيل غامد بن الحارث . وكان أرمى الناس ، لا يخطئ له سهم ، فخرج ومعه قوس وخمس سهام فرمى صيدا فى الليل فأصاب سهمُه ونَفَذ ، فوقع فى الحَجَر فقدَح نارا . ثم رمى كذلك حتى آستنفد السِّهامَ . وهو يظن أنه أخطأ فى الجميع فكسر قوسه ، وخلع إبهامه . فلما أصبح رأى رميّته ، فندم على فعله .

٢٠ أمنعُ من الحارثِ بنِ ظالم . وسيأتى خبره فى وقائع العرب .

أبخَلُ من مَادِر . وسيأتى خبره فى باب الهجاء .

أكذبُ من مُسَيْلِمَة الحَنَفِيّ، (وخبره مشهور فى دعواه النبوّة) ومن المُهَلَّبِ، (وكان يكذب لأصحابه فى حرب الأزارقة، يَعِدُهم بالنَّجْدَة والإمداد) .

أحمقُ من راعِى ضأنٍ ثمانينَ، (وذلك أن أعرابيا بَشَّر كِسرى ببشارةٍ سُرَّ بها، فقال له كسرى : سلْنِي ماشئتَ! فقال : أسألك ضأنا ثمانين) ؛ ومن هَبَنَّقَةَ، وهو ذو الوَدعات ؛ واسمه يزيد بن ثَرْوان أحد بنى قيس بن ثعلبة ؛ وبلغ من حُمْقِه أنه ضلّ له بعير، فنادى مَنْ وجد بعيرى فهو له ، فقيل له : فلِمَ تَنْشُدُه؟ ٥ قال : فأين حلاوة الوِجْدان . وفيه يقول الشاعر :

عِش بجَدّ وكُنْ هَبَنَّقَةَ القَيْـــسِىَّ نَوْكًا أو شيبةَ بنَ الوليدِ .

رُبَّ ذى إرْبَةٍ مُقِلٌّ من الما * ل وذى عُنْجُهِيَّةٍ مَجْـــدودِ .

العنجهية الجهـــل

أحمقُ من ربيعةَ البَكّاء . هو ربيعةُ بن عامر بن ربيعةَ بن عامر بنِ صَعْصَعة . ومن حُمْقه أن أمّه ١٠ تزوّجتْ بعـــد أبيه، فدخل عليهـــا الخباءَ، وكان قد ٱلتحى فوجد زوجها يباضِعُها، فتوهَّم أنه يريد قتلَها، فبكى وهتَك الخباء، فٱجتمع النـــاس وسألوه عن شأنه، فأخبرهم أنه وحده على بطنها يريد قتلها، فقالوا : "أهونُ مقتول" فصار مثلا .

أتْيَهُ من أحمقِ ثَقِيفٍ . وهو يوسف بن عمرو .

ألَصُّ من شِظَاظٍ . وهو رجل من بنى ضَبَّةَ . ١٥

أزْنى من قِرْد . وهو قِرْد بن معاوية بن هُذَيل .

أمْطَلُ من عُرْقوب .

وقال كعب بن زهير :

كانتْ مَواعِيدُ عُرْقوبٍ لهـــا مَثَلًا * وما مَوَاعِيدُها إلا الاباطيلُ .

أشْأَمُ من خَوْتَعةَ . وهو رجل من بنى غُفَيلةَ بن قاسط أخى النمر بن قاسط . ٢٠

أشأَمُ من قُدَار (وهو عاقر الناقة) ؛ ومن أحمر ثمودَ (وهو عاقرها أيضا) .

أشأم من طُوَيْس . وهو مخنَّث ، كان يقول إنه ولد يوم مات النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ وفُطِم يوم مات أبو بكر ؛ وبلغ يوم قتل عُمَر ؛ وتزوّج يوم قتل عثمان ؛ وولد له يوم قتل عليّ .

أمكرُ من قيس بن زُهير .

وأمّا من ضرب بهـا المثل من النساء

٥ يقال . أنجبُ من ماريةَ . ولدت لزُرارة : حاجبا ، ولَقِيطا ، وعلقمة .

أنجبُ من بنت الحارث [١] . ولدتْ لزِيَاد العبسيّ بَنِيـه الكَمَلَة ، وهم : ربيعة الكامل ، وعمارة الوهاب ، وقيسٌ الحافظ ، وأنسُ الفَوَارس .

أنجبُ من أمّ البنين [٢] . ولدت لمالك بن جعفر بن كلاب ، مُلَاعبَ الأسنة عامرا ، فارسا .

أنجبُ من عاتكةَ : ولدت لعبد مناف هاشما ، وعبدَ شمس ، والمطَّلب .

١٠ أسرَعُ من نِكاح أُمّ خارجةَ . وهى عُمَيرة بنتُ سعد بن عبدالله بن قُدار بن ثعلبة بن معاوية بن زيد ابن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب ابن يعرُب بن قحطان . ولدت فى نَيِّف وعشرين حَيًّا من العرب ، كان الرجل يقول لها : خِطْبٌ ! فتقول : نِكْحٌ !

قال أبو الفرج الأصبهانى : فمن ولدت ؛ الدِّيل ، وليث ، والحارث بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة ؛ وعاضرةُ بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خُزَيمة ؛ والعنبر ، وأسيد ، والهُجَيم بنو عمرو بن تميم ؛ وخارجةُ ١٥ ابن بشكر (وبه كانت تكنّى) ؛ وسعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مُزيقيا (وهو أبو المُصطَلق) .

---

(١) صوابه الخرشب وهى فاطمة بنت الخرشب الأنمارية أُنظر "مجمع الأمثال" و"تاج العروس" .

(٢) هم كما فى "أمثال الميدانى" أبو براء ، وملاعب الأسنة عامر ، وطفيل فارس قرزل وربيعة ، ومعاوية ؛ وأم البنين هى آبنة عمرو بن عامر فارس الضحياء ، وبذلك تعلم ما فى الأصول من السقط .

قال : وزعموا أن بعض أزواجها طلّقها فرحل بها ٱبن لها عن حيه إلى حيها فلقيها راكب ، فلما تبينته ، قالت لأبنها : هذا خاطب لى لاشكّ فيه ، أفتراه يعجلنى أن أنزل عن بعيرى ، بخعل ٱبنها يسبّها .

أحمقُ من المَمْهورة إحدى خَدَمَتَيْها . وذلك أن زوجها طلقها ، فطالبته بمهرها ، فأخذ أحد خَلْخَاليها من رجلها وأعطاها إياه ، فرضيت به .

أحمقُ من دُغَةَ . هى ماريةُ بنت مَغْنج[(1)] بن ربيعة بن عجل ، وقيل بنت منعج ؛ تزوّجت وهى صغيرة فى بنى العَنْبر بن تميم ، فحملت . فلما أدركها المخاض ، ظنّت أنها تريد الخلاء فتبرزت فولدت فٱستهلّ الولدُ . فٱنصرفت وهى تقــدر أنها إنمـا أحدثت . فقالت لضَرَّتها يا هَنْتاه ، هل يفْغَر الجَعْرُ فاه ؟ قالت : نعم ، ويدعو أباه ! فمضت ضَرَّتُها للولد فأخذته ، فبنو العنبر تسمّى بنى الجَعْراء .

أبْصَرُ من زَرْقاءِ اليمامة . وهى ٱمرأة من طَسْم ، كانت تُبصر الراكبَ على مسيرة ثلاث ليال . وسيأتى إن شاء الله تعالى خبرُها فى وقعة طَسْم وجَديس .

أزنى من هِرٍّ . وهى ٱمرأة يهودية ؛ وهى التى قطع المهاجرُ يدَها فيمن قطع من النساء حين شَمِتْن بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أشبقُ من حُبَّى المَدَنِيَّة .

أشأم من البَسُوس . وهى جارةُ جَسَّاس بن مُرَّة ، صاحبةُ الناقة التى قتل بسببها كُلَيب ، وثارت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنةً .

ويقــال :

أمنعُ من أمِّ قِرْفَةَ . وهى ٱمرأة مالك بن حُذَيفة بن بدر الفزارى . كان يُعَلَّق فى بيتها سبعون سيفا ، كلُّ سيفٍ لذى مَحْرَم منها . فضُرب بها المثل . والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) فى الأصل "معج" وفى اللسان والقاموس وشرحه "مَغْنج" وفى بعض النسخ "مِنْعج" قال المفضل ابن سلمة : من أعجم العين فتح الميم ومن أهملها كسر الميم . قاله البكرى فى شرح أمالى القالى .

الباب الثالث

من القسم الأوّل من الفن الثانى

(فى الغَزَل ، والنَّسيب ، والهوى ، والمحبة ، والعِشْق)

ولْنبدأْ بذكر الهوى ، لأنه السبب الباعث على الغَزَل . وذلك أنه إذا حلَّ فى الأجسام
٥ آرتاحت النفوس ، ورقَّت القلوب ، وآنجذبت الخواطر ، وصَفَت الأذهان ، وسُهل (٤٣)
على القرائح فأبرزته الألسُن . والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم .

ذكر شىء مما قيل فى الهوى ، والمحبة ، والعشق ، وما قيل فى ماهية العشق ، وحقيقته
وسببه ، وما قيل فى مدحه ، وذمّه ، والممدوح منه ، والمذموم ، وضرر العشق فى الدّنيا ،
والآفات التى تجرى على العاشق : من المرض ، والجنون ، والضَّنا ، والمخاطرات
١٠ بالنفوس ، وإلقائها إلى الهلاك .

ثم نذكر أخبارَ ... ... ومن أخرجه عن دينه حتّى
كفر بربه ، ومن قَتل ، وقُتِل فيه ، ومن قتل نفسه .

ثم نذكر ماورد فى التحذير من فتنة النساء ، وذمّ الزنا ، والنظر إلى المُرْدان ، والتحذير
من اللِّواط ، وعقوبة اللائط ، وغير ذلك من أمر العشق ، على ما سنشرحه إن شاء
١٥ الله تعالى فنقول ، وبالله التوفيق .

أمّا ماهية العشق وحقيقته ، فقد تكلم عليه أوائل الحكماء والفلاسفة وغيرهم من
المسلمين ، على ما نشرحه إن شاء الله تعالى .

— —

فأما كلام الحكماء والفلاسفة

فقال أفلاطون : العِشْق، حركة النفس الفارغة بغير فكرة .

وسئل ديوجانس عن العشق ، فقال : سوء آختيارٍ صادف نفسا فارغة .

وقال أرسطاطاليس : العشق،هو عمى الحِسّ عن إدراك عيوب المحبوب .

وقال فيثـاغورس : العشــق ، طبع يتولد فى القلب و يتحرّك وينمى ثم يتربّى ، ٥

ويجتمع إليــه موادّ من الحرص ، وكلما قَوِىَ آزداد صاحبه فى الآهتياج واللَّجاج ، والتمادى فى الطمع، والفكر فى الأمانىّ، والحرص على الطلب، حتى يؤدّيه ذلك إلى الغم المقلق .

وإلى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله :

وما العِشْقُ إلا غِرّةٌ وطَمَاعةٌ : * يعرِّض قلبٌ نفسَه فيُصابُ. ١٠

وقال بعض الفلاسفة : لم أر حقًّا أشبهَ بباطل،ولا باطلا أشبه بحق من العشق: هَزْله جِدّ ، وجدّه هَزْل، وأوّلُه لعب ، وآخره عَطَب .

وقد ذهب بعضهم إلى أنه مرضٌ وسْواسىٌّ شبيه بالماليخوليا .

وأما كلام الإسلاميين وما قالوه فيه

فقد حكى عن أبى العالية الشامى، قال: سأل المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ١٥

ما هو؟ فقال : هو سوانحُ للمرء يَهِيم بها قلبــه وتُؤْثِرها نفسه! قال فقال له ثمـامة : اسكت يا يحيى! إنمـا عليك أن تجيب فى مسئلة طلاقٍ أو مُحْرِمٍ صاد ظبيا، أو قتلَ نملة، فأما هذه فمسائلنا نحن! فقال له المأمون : ما العشق؟ يا ثمـامة، فقال: العشق جليسٌ مُمْتِـع ، وأليف مؤنِس، وصاحب مملك ، ومالك قاهر ، مسالكه لطيفة ،

ومذاهبه غامضة ، وأحكامه جائرة ، مَلَكَ الأبدانَ وأرواحها ، والقلوبَ وخواطرَها ، والعيونَ ونواظرَها ، والعقولَ وآراءَها ، وأُعطِى عنانَ طاعتها ، وقيودَ تصرفها ، توارى عن الأبصار مَدْخَله ، وغِيض فى القلوب مسلكه ! فقال له المأمون : أحسنتَ والله ، يا ثمامة ! وأمر له بألف دينار .

٥ وحكى عن الفضل بن يعقوب : قال لما اجتمع ثمامة بن أشرس ، ويحيى بن أكثم عند المأمون ، قال ليحيى : خبِّرنى عن العشق ماهو؟ فقال : ياأمير المؤمنين ، سوانح تسنَح للعاشق يؤثرها ، ويهيم بها تسمَّى عشقا ! فقال له ثمامة : يايحيى ، أنت بمسائل الفقه أبصر منك بهذا ، ونحن بهذا أحذق منك ! فقال المأمون : فهاتِ ما عندك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إذا امتزجتْ خواطرُ النفوس بوصل المشاكلة ١٠ نتجتْ لمح نور ساطع تستضىء به نواظر العقول ، ويتصوّر من ذلك اللمح نور خاص بالنفوس متصل بجواهرها يسمَّى عشقا ! فقال له المأمون : صدقت ، هذا وأبيك الجوابُ !

وحكى عن الأَصْمَعِىّ ، قال : دخلت على هرون الرشيد ، فقال : يا أَصْمَعِىّ ، إنى أرقت ليلتى هذه ، فقلت : ممّ؟ أنام الله عين أمير المؤمنين . قال : فكَّرت ١٥ فى العشق ممَّ هو ، فلم أقف عليه ، فصِفْه لى حتَّى إخاله جسما مجسما ! قال الأصمعىّ : لا والله ما كان عندى قبل ذلك فيه شىء فأطرقت مليًّا ، ثم قلت : نعم ياسيّدى ، إذا تقاربت الأخلاق المشاكلة وتمازجت الأرواح المشابهة ، لمح نورٌ ساطع يستضىء به العقلُ ، وتهتز لإشراقه طِباع الحياة ، ويتصوّر من ذلك النورِ خُلُق خاص بالنفس متصل بجوهريتها يسمَّى العشق ! فقال : أحسنت والله ! يا غلام ، أعطه وأعطه ٢٠ وأعطه ! فأعطيت ثلاثين ألف درهم .

وحكى عن الأصمعى أنه قال : لقـد أكثر الناسُ فى العشق، فما سمعت أوجزَ ولا أجمل من قول أعرابيّة (وقد سئلت عن العشق) فقالت: ذلٌّ وجنونٌ . قلت : هذه صفة ثمرة العشق ومآله .

والتحقيق أن العشقَ شدّةُ ميل النفس إلى صورة تلائم طبعها ، فإذا قوى فكرها فيه تصوّرتْ حصولَها وتمنّتْ ذلك ، فيتجدّد من شدّة الفكر مرضٌ . ٥

وقيل لبعضهم : ما العشقُ؟ فقال : ٱرتياح فى الخِلْقة ، وفرح يجول فى الرُّوح ، وسرور ينساب فى أجزاء القُوى .

وقال أبو العيناء : سألت أعرابيّا عن الهوى ، فقال : هو أظهر من أن يخفى ، وأخفى من أن يُرى ، كامنٌ ككمون النار فى الحجر ، إن قدحتَه أورى ، وإن تركته توارى .

وسئل يحيى بن معاذ عن حقيقة المحبة ، فقال : التى لا تزيد بالبر ، ولا تنقص بالجفاء . ١٠

وسئل بعض الصوفيـة عن الهوى والمحبة فقال : الهوى يحلّ فى القلب ، والمحبة يحلّ فيها القلب!

وللعشق مراتب من ٱبتدائه إلى ٱنتهائه .

ذكر مراتب العشق وضروبه

قالوا : أوّل ما يتجدّد الٱستحسان للشخص تحدُث إرادةُ القرب منه ، ثم المودّة ، ١٥ (وهو أن يودّ لو ملكه) ، ثم يقوى الودّ فيصير محبة ، ثم يصير هوًى (فيهوِى بصاحبه فى محابِّ المحبوب من غير تمالك) ، ثم يصير عشقا ، ثم يصير تَتَيُّمًا (والتتيّم حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق لا يوجد فى قلبه سواه) ، ثم يزيد التتيّم فيصير وَلَهًا (والوَلَه الخروج عن حدّ الترتيب ، والتعطل عن أحوال التمييز) .

وقال بعضهم : أوّل مراتب العشق الميل إلى المحبوب، ثم العلاقة، ثم الحب، ثم يستحكم الهوى فيصير مودّة تزيد بالمؤانسة، وتَدْرُس بالجفاء والأذى، ثم الخُلّة، ثم الصّبابة (وهى رقة الشوق) تولّدها الألفة، ويبعثها الإشفاق، ويهيجها الذكر، ثم تصير عشقا. وهو على أضرب. فمبدؤه يصفى الذهن، ويهذّب العقل. كما قال ذو الرياستين لأصحابه : «اعشقوا، ولا تعشقوا حراما! فإن عشق الحرام يطلق اللسان ويرفع التبلّد ويطلق كفّ البخيل ويبعث على النظافة ويدعو إلى الذكاء، فإذا زاد، مرض الجسد، فإذا زاد، أخرج العقل وأزال الرأى فاستهلك، ثم يترقّى فيصير وَلَهًا، ويسمّى ذو الوله مُدَلّهًا، ومستهاما، ومستهترا، وحيرانَ، ثم بعدها التتيّم فيدعى متيّما، والتتيّم نهاية الهوى، وآخر العشق، ومن التتيّم يكون الداء الدّوىّ، والجنون الشاغل» .

وقال بعض الحكماء : أوّل الحب العلاقة (وهو شىء يحدثه النظر أو السمع فيخطُر للبال، ويعرِض للفكر، ويرتاح له القلب، ثم ينمى بالطمع، واللّجاج، وإدمان الذكر)، ثم يقوى فيصير حُبّا، ثم يصير هوًى، ثم يصير خُلّة، ثم عشقا، ثم وَلَهًا، فيسمّى صاحبه مُدَلّهًا، ومستهاما، وهائما، وحيرانَ، ثم يصير متيّما، وهو أرفع منازل الحب، لأن التتيم التعبُّد، والوجد ألم الحب، والهَيَمان الذهاب فى طلب غرض لا غاية له، والكَلَف والشَّغَف اللّهَج بطلب الغرض .

وقال الفرّاء : اللَّوْعة، حُرَقة القلب من الحب .

وقال أبو عُبَيد القاسم بن سلّام : العلاقة الحب اللازم للقلب ؛ والجوى الهوى الباطن ؛ واللَّوْعة حرقة الهوى ؛ واللاعج الهوى المحرق ؛ والشّغَف أن يبلغ الحب شَغَاف القلب (وهو جلد دُونه) ؛ والتّتيم أن يستعبده الهوى ؛ والتَّبْل أن يُسقمه الهوى،

يقال : رجل متبول ، والتَّدْلِيهُ ، ذَهاب العقل من الهوى ، يقال : رجل مُدَلَّهٌ ، والهُيُوم أن يذهب على وجهه ، والشَّغَف إحراق القلب مع لذة يجدها وهو شبيه باللَّوْعة .

وقال أبو عبد الله بن عرفة : الإرادة قبل المحبة ، ثم المحبة ، ثم الهوى ، ثم العشق .

وقال آبن دُرَيْد : الصَّبابة رقَّة الهوى . وآشتقاق الحب من أحب البعير، إذا بَرَك من الإعياء . ٥

ذكر ما قيل فى الفرق بين المحبة والعشق

قالوا : المحبة جنس ، والعشق نوع . فإن الرجل يحب أباه وأمه ، ولا يبعثه ذلك على تَلَف نفسه ، بخلاف العاشق .

وقد حكى أن بعض العشاق نظر إلى جارية كان يهواها ، فارتعدت فرائصُه وغُشِىَ عليه ، فقيل لبعض الحكماء : ما الذى أصابه؟ فقال : نظر من يحبُّه ، فانفرج قلبه ، فتحرك الجسم لأنفراج القلب! فقيل له : فنحن نحب أهالينا ولا يصيبنا ذلك ١٠ فقال : تلك محبة العقل ، وهذه محبة الرُّوح !

وقالوا : كل عشق يسمَّى حُبًّا ، وليس كل حب يسمَّى عشقا . لأن العشق آسم لما فَضَل عن المحبة ، كما أن السَّرَف آسم لما جاوز الجُود ، والبُخْلَ آسم لما نقص عن الآقتصاد ، والجبنَ آسم لما فَضَل عن شدّة الآحتراس ، والهَوَجَ آسم لما فَضَل عن الشجاعة . ١٥

قال الشاعر :

ثلاثةُ أحبابٍ : فحُبٌّ علاقةٌ ، ... وحُبٌّ تِمِلَّاقٌ ، وحُبٌّ هو القتلُ !

⁂

وأما سبب العشق وما قيل فيه، فقالوا : سبب العشق مصادفة النفس ما يلائم (٤٥)
طبعها فتستحسنه وتميل إليه . وأكثر أسباب المصادفة النظر . ولا يكون ذلك
باللمح، بل بالتثبت فى النظر ومعاودته بالنظر، فإذا غاب المحبوب عن العين طلبته
النفس، ورامت التقربَ منه، وتمنّتْ الاستمتاعَ به . فيصير فكرها فيه، وتصويرها ٥
إياه فى الغَيْبة حاضرا، وشغلُها كله به، فيتجدّد من ذلك أمراضٌ لانصراف الفكر
إلى ذلك المعنى . وكلما قويت الشهوة البدنية، قوِىَ الفكر فى ذلك . وقد أمر الله
عز وجل بِغَضِّ البصر فقال : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾
﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ . فقرن غض البصر
بحفظ الفرج، لأنه يسببه ويؤول إليه . ١٠

وعن علىّ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : "لا تُتْبِع
النظرةَ النظرةَ، فإن لك الأُولى! وليستْ لك الآخرةُ" .

وعن أبى هُرَيرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "العَيْنانِ
تَزْنِيانِ، وزِناهُما النظَرُ".

وعن علىّ رضى الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ! "يا علىّ، ١٥
اتّقِ النظْرَة بعد النَّظْرة! فإنها سَهْم مَسْمومٌ، يُورِث الشَّهوةَ فى القَلْبِ".

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نَظَرُ
الرجُلِ إلى مَحَاسِن المرأةِ سَهْمٌ مسمومٌ من سِهَام إبليسَ" .

وعن يحيى بن سعيد قال : كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول : "النظرُ
يَزْرعُ فى القلبِ الشهوةَ، وكفى بها خَطِيئةً !" . ٢٠

وعن سفيان قال : قال عيسى عليه السلام : «إيّاكم والنظرَ! فإنّه يزرَعُ فى القلبِ الشهوة، وكفَى بها لصاحبها فتنةً ! » .

وقال الحسن البصرىّ : من أطلق طَرْفه، أطال أَسَفَه .

وقال ذو النون : اللَّحَظاتُ تورث الحَسَرات : أوّلها أَسَفٌ، وآخرها تَلَفٌ . فمن تابع طَرْفه، تابع حَتْفه .

وقال حكيم : أوّل العِشْق النظر، وأوّل الحريق الشَّرَر .

وقال أبو الفرج بن الجوزىّ : البصر صاحب خَبَر القلب . ينقل إليـه أخبـار المُبصَرات، وينقش فيه صُوَرها، فيجول الفكر فيها فيشـغَلُه ذلك عن الفكر فيما ينفَعُه من أمر الآخرة . فاحذَرْ من شر النظر! فكم أهلك من عابد، وفَسَخ عزمَ زاهد! وهو سبب الآفات، إلا أن علاجه فى بدايته قريب. فإذا كرر تمكن الشرّ فصعُب علاجه. فإن النظرة إذا أثّرت فى القلب، فإن أعجل الحازم بغضّها وحسم المـادّة من أوّلها سُهل علاجه، وإن كرر النظر نَقَّب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب متفرّغ ونقشها فيه. فكلما تواصلت النظرات كانت كالمياه تسقى بهـا الشجرة، فلا تزال تنمو فيفسُد القلب، ويُعْرِض عن الفكر فيما أُمِرَ به، ويخرج بصاحبه الى المِحَن، ويوجب آرتكاب المحظورات، ويلقى فى التلف .

وقد أكثر الشـعراء فى وصف ما يحدثه النظر من البلايا ، فمن ذلك ، قول الفرزدق :

تَزوّدَ منهـا نظرةً لم تَدَعْ لَهُ ـ فُؤادًا، ولم يَشْعُرْ بما قد تَزوّدا .

فـلَمْ أر مقتولًا ولم أر قاتِلًا ـ بغَيْرِ سلاحٍ مثلَها حينَ أقْصدا .

وقال إبراهيم بن العباس بن صول الكاتب :

فَمَن كانَ يُؤْتَى من عدوٍّ وحاسِدٍ، * فإنِّىَ من عينِى أُتِيتُ ومن قَلْبِى!

همـا اعتَوَرانى نظـرةً ثم فِكْرَةً، * فمـا أبقَيَا لى من رُقَادٍ ولا لُبِّ!

وقال إسمعيل بن عمار الأعرابىّ :

٥ عَينانِ مشئومتانِ، وَيْحَهُما! * والقَلْبُ حَيْرانُ مُبتَلًى بِهِما،

عَرَّفتـاه الهوى لظُلْمِهما، * ياليْتَنِى قبـله عَدِمتُهـما!

وقال أبو عبد الله المارستانىّ :

رَمَانِى بهـا طَرفِى فلم يُخْطِ مَقْتَلِى، * وما كُلُّ من يُرْمَى تُصابُ مقاتِلُهْ!

إذا مُتُّ، فابكُونِى قَتِيـلا لِطَرْفِه * قَتِيـلَ عدُوٍّ حاضرٍ ما يُزايِلُهْ!

١٠ وقال ابن المعتز :

مُتَيَّمٌ يَرْعَى نُجُـومَ الدُّجى * يَبْكِى عليـه رحمـةً عاذِلُهْ!

عَيْنِى أشاطَتْ بدمِى فى الهَوى، * فابكُوا قَتِيلًا بعضُـه قاتِلُهْ!

وقال المتنبى :

وأنَا الَّذِى اجتلَب المنِيَّـةَ طَرْفُه * فَمَنِ المطالَبُ؟ والقتيلُ القاتلُ!

١٥ وقال ابن المعتز :

وما أَدرى، إذا ما جَنّ ليلٌ، * أشوقًا فى فُؤادِى أم حَرِيقا؟

ألَا يا مقلَـتَىَّ، دهيتُمانِى * بلحظِكما فذُوقَا! ثم ذُوقَا!

وقال أبو عبد الله بن الحجاج :

يامَنْ رأى سُقْمى يَزِيـد وعِلّتى تُعيِى طَبِيبِى،

٢٠ لا تَعْجَبَنَّ فهـكذا تَجْنِى العيونُ على القُلُوبِ!

وقال أبو منصور بن الفضل :

لواحظُنا، تَجْنِي ولا عِلْمَ عِنــدَها * وأنفُسُــنا مأخوذةٌ بالجَـرائِرِ.

ولم أَرَ أغبى من نُفُوسٍ عفائِفٍ * تُصــدِّقُ أخبار العُيونِ الفَواجِرِ.

ومَنْ كانتِ الأجفانُ حُجّاب قلبِه * أَذِنَّ على أحْشائِه بالفَواقِرِ!

وقال أبو محمد بن الخفاجيّ : ٥

رمَتْ عينُها عَيْنِي، وراحتْ سليمةً! * فَمَنْ حاكمٌ بين الكَحِيلة والعَبْرا؟

فياطَرْفُ، قد حَذَّرْتُكَ النظرةَ التى * خَلَسْتَ فما راقَبْتَ نهيا ولا زَجْرا!

وياقلبُ، قد أرداكَ من قبلُ مرةً! * فوَيْحَكَ! لِمْ طاوعْتَه مرّةً أُخْرى؟

وقال عبد المحسن بن غالب الصوريّ :

ما نَظْرةٌ إلا لهـا سَــكْرةٌ * كأنّمـا طَــرْفُك خَمّـارُ. ١٠

هذا هوًى يَصْدُرُ عنه جَوًى * يَتْــلُوه لَوْعاتٌ وأفْـكارُ.

وهـذه أفعالُهـا، هـذِه! * ما بعد رأْى العينِ إخبارُ.

ولم يكُن أوّلَ مَنْ غرنِى! * كلُّ غَرِيرِ الطَّرْفِ غَرّارُ!

وقال أبو شجاع الوزير :

لَأُعذِّبَنَّ العينَ غَــيْرَ مفكِّرٍ * فيها، جرَتْ بالدمعِ أم فاضَتْ دَمَا! ١٥

ولأَهْجُرَنَّ من الرُّقاد لذيذَهُ * حتّى يصيرَ على الجُفُون مُحرَّما!

سفَكَتْ دمِى، فلأَسْفِكنّ دمُوعَها * وهى التى بَدَأَتْ فكانتْ أظلَما!

هىْ أوقعَتْنِى فى حبائل فتنةٍ: * لولم تكُنْ نظرَتْ، لكنتُ مسَلَّما!

وقال آخر عفا الله عنه :

ياعينُ أنت قتَلْتِــنى، * وجعَلْتِ ذنبَك من ذُنوبِى! ٢٠

وأراكِ تَهْوِينَ الدُّمو * عَ كأنَّها وَفْق الحبيبِ.
تالله، أحلِفُ صادقًا * والصِّدقُ من شِيَم الأريبِ!
لو مُيِّزَتْ نُوَبُ الزما * ن من البعيد إلى القَريبِ،
ما كُنَّ إلا دُونَ مَا * جنَتِ العيونُ على القُلُوب!

٥ وقال آخر، وأجاد:

أنا ما بَيْنَ عَدُوَّيْنِ هما: قَلْبي وطَرْفي.
ينظُر الطَّرْفُ ويهوى الـ * ـقَلْبُ، والمقصودُ حَتْفي.

وقال ٱبن الحريرىّ:

فتَصبَّرْ، ولا تَشِمْ كلَّ بَرْقٍ! * رُبَّ برقٍ فيه صَواعِقُ حَيْنِ!
١٠ وٱغضُضِ الطَّرْفَ، تَسْتَرِحْ من غَرَامٍ * تكتَسِي فيه ثوبَ ذُلٍّ وشَيْنِ.
فَقيادُ الفَتى موافقةُ النفس، وبَدْءُ الهوى طُمُوحُ العَيْنِ.

فصل

قالوا: ومن أسباب العشق، سماع الغِناء وإنشاد الغَزَل. فإن ذلك يصوّر في النفس نقوش صور فتتخَمَّر خميرةَ صورة موصوفة، ثم تصادف نظرا مستحسنا، فتتعلق
١٥ النفس بما كانت تطابه حالة الوصف.

فصل

وذكر بعض الحكماء أنه لا يقع العشق إلا لمجانس، وأنه يضعف ويقوى على قدر التشاكل. وٱستدل بقول النبيّ صلى الله عليه وسلم! "الأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدة ماتعارَفَ منها ٱئتلفَ، وما تناكَرَ منها ٱختلَفَ". قال: وقد كانت الأرواح موجودة

قبـل الأجسام ، فمال الجنسُ إلى الجنس . فلما آفترقت فى الأجساد، بقى فى كل
نفس حب ما كان مقارنا لها . فإذا شاهدت النفس من نفس نوعَ موافقة، مالت
إليها ظانّة أنهـا هى التى كانت قرينتَها . فإن كان التشاكل فى المعانى كانت صداقةً
ومودّة، وإن كان فى معنى يتعلق بالصـورة، كان عشقا . وإنمـا يوجد الملل
والإعراض من بعض الناس لأن التجربة أبانت آرتفاع المجانسة والمناسبة . ٥

وأنشدوا على ذلك :

وقائلٍ : كيْفَ تهاجَرْتُمـا؟ * فقلتُ قَوْلا فيه إنْصافُ:
لم يَكُ من شَكْلِى ففارَقْتُه، * والناس أشْكال وأُلّافُ.

قال أبو الفرج بن الجوزىّ : فإن قيل إذا كان سبب العشق نوعَ موافقة بين
شخصين فى الطباع، فكيف يحب أحدهما صاحبه والآخر لا يحبه؟ فالجواب أنه يتفق ١٠
فى طبع المعشـوق ما يوافق طبع العـاشق، ولا يتفق فى طبع العاشق ما يلائم طبع
المعشوق . فإذا كان سبب العشق آتفاقا فى الطباع بطل قولُ من قال : إن العِشق
لا يكون إلا للأشياء المستحسنة . إنمـا يكون العِشق لنوع مناسبة وملاءمة، ثم قد
يكون الشىء حسنا عند شخص غير حسن عند آخر . وحكى على ذلك حكاية رفعها
بالسـند إلى علىّ بن الحسين القرشىّ، عن رجل من أهل المدينـة كان أديبا ظريفا ١٥
طَلّابا للأدب والمُلَح، قال: كنت يوما فى مجلس رجل من قريش ومَعَنا قَيْنة ظريفة
حَسَنة الصورة، ومعنا فتًى من أقبح ما رأته العين، والقَيْنة مقبلة عليه بحديثها وغنائها.
فبينا نحن كذلك إذ دخل علينا فتًى من أحسن الناس وجهًا، وأثراهم ثوبا، وأطيبهم
ريحا، فأقبل علىّ صاحب البيت، فقال: إن فى أمر هذين لعجبا! قلت: وما ذاك؟
قال : هذه الجارية تحب هذا (يعنى القبيحَ الوجهِ) وليس لهـا فى قلبه محبة، وهـذا ٢٠

الحسن الوجهِ يحبها ،وليس له في قلبها محبةٌ. فبينا نحن على شرابنا إذ سرّ الفتى الحسن الوجه فتغنّى وقال :

بِيَدِ الذى شُغِف الفُؤادُ بهم * فــرَجُ الذى أَلْقَ من السُّقْم !
فاستيقِنِى أنْ قَـد كَلِفتُ بكم * ثم ٱفعَـلِى ما شِئتِ عن عِلْمِ !

٥ فأقبلت عليه، وقالت : قد علمنا ذالك، فَمَهْ ! ثم تركته، وأقبلت على القبيح الوجه، فلبثنا ساعة، ثم تغنى الفتى أيضا :

ألَا ليتنِى أعمى أصمُّ تقودُنِى * بُثَيْنَـةُ لا يخفَى علىَّ كلامُها !

فقالت : اللهم أعط عبدك ماسأل ! فغاظتنى. فقلت لها : يافاجرة تختارين هذا، وهو أقبح من ذنوب المُصِرِّين، على هذا الذى هو أحسنُ من توبة التائبين. فقالت ١٠ لى : ليس الهوى بالاختيار! ثم أنشأت تغنى وتقول :

فلا تَـلُمِ المُحِبَّ على هَوَاه * فكلّ متـيَّمٍ كَلِفٍ عميــدِ
يَظُنُّ حبيبَه حَسَنا جميلاً، * وإن كان الحَبِيبُ من القُرودِ!

فقلت : أجل ! إنه لكما قلتِ، وليس فى هـذا حيلة: وذكرت قول عُمَر ابن أبى ربيعة :

١٥ فتَضاحَكْنَ، وقد قُلْن لنا: * حَسَنٌ فى كلِّ عينٍ ما تَوَدّ !

فصـــل

قالوا : ويتأكد العشق بإدمان النظر، وكثرة اللقاء، وطول الحديث . فإن ٱنضم إلى ذلك معانقة أو تقبيل فقد تمّ ٱستحكامُه .

وقد ذكر حكماء الأوائل أنه إذا وقعتْ القُبَل بين المُتَحابَّيْن ووصلت بِلّة من ٢٠ ريق كل واحد منهما إلى مَعِدة الآخر، ٱختلط ذلك بجميع البدن ووصـل إلى جِرْم

الكبد، وهكذا إذا تنفس كل واحد منهما فى وجه صاحبه، فإنه يخرج مع ذلك النفس
شىءٌ من نسيم كل واحد منهما فيختلط بأجزاء الهواء، فإذا آستنشق من ذلك الهواء
دخل فى الخياشِيم، فوصل بعضه إلى الدماغ فسرى فيه كسَرَيان النُّور فى جِرْم البِلَّور،
ووصل بعضه إلى جِرْم الرئة، ثم إلى القلب فَيدِبُّ فى العروق الضوارب فى جميع البدن
فينعقد فى بَدَن هذا ما تحلل من بَدَن هـذا فيصير مزاجا، فيتولد به العشق ويَنْمى . ٥
هذا ما قيل فى سبب العشق والله أعلم .

*
* *

وأما ما قيل فى مدحه وذمّه والممدوح منه والمذموم ، قال آبن الجوزىّ
فى كتابه المترجم بـ "ذَمّ الهوى" : آختلف النـاس فى العشق ، هل هو ممـدوح
أو مذموم . فقال قوم : هو ممدوح ، لأنه لا يكون إلا من لَطَافة الطبع ، ولا يقع ١٠
عند جامد الطبع . ومن لم يجد منه شيئا فذلك من غِلَظ الطبيعة . فهو يجلو العقولَ،
ويصفّى الأذهان ، ما لم يُفْرِط . فإن أفرط عاد سُمًّـا قاتلا . وقال آخرون : هو
مذموم، لأنه يستأسر العاشق ويجعله فى مقام المستعبَد . قال : قلت : وفصل الحكم
فى هذا الفصل أن تقول : أما المحبة والودّ والميل إلى الأشـياء المستحسنة والملائمة
فلا يُذَم ، وأما العشـق الذى يزيد على حدّ الميـل والمحبة فيملِك العـقلَ ويُصرِّف ١٥
صاحبه على غير مقتضى الحكمة فذلك مذموم . ويتحاشى من مثله الحكماء .
هذا ما قيل فى مدحه وذمّه مجملا . والله تعالى أعلم .

*
* *

فأما الممدوح منه ، وهو الذى قدّمنا ذكره ، فقـد وقع فيه جماعة من الخلفاء
والأكابر فلم يُعَب عليهم ولا نَقَصهم . وقد تكلموا فى مدحه وتفضيله بمـا سنذكر ٢٠
منه إن شاء الله تعالى طَرَفا .

(٤٨) فقالوا : العشق يولّد الأخلاقَ الحميدة! وقالوا : لو لم يكن فى الهوى إلا انه يشجّع الجبانَ، ويصفّى الأذهان، ويبعث حزم العاجز، لكفاه شرفا !

وقال أعرابيّ : من لم يُحِبّ قط فهو رديء التركيب جافى الطبع كزّ المعاطف .

وقد روى أن الشعبيّ كان ينشد :

٥ إذا أنتَ لم تَعْشَق ولم تَدْرِ ما الهوى، * فأنتَ وعــيرٌ فى الفَــلاة سَواء!

وسمع ٱبنُ أبى مليكة غناء وهو يؤذن، فطَرِب . فقيل له فى ذلك، فقال :

إذا أنت لم تَطْرَبْ ولم تَدْرِ ما الهوى * فكن حَجَرا من يابِس الصَّخر جَلْمَدا .

وسئل أبو نوفل : هل يَسْلَمَ أحدٌ من العشق؟ فقال : نعم الجِلْفُ الجافى الذى ليس فيه فضل ولا عنده فَهم . فأما من فى طبعه أدنى ظَرْف أو معــه دَمَاثة أهل

١٠ الحجاز ورقّةُ أهل العراق، فهيهات !

وحكى أبو الفرج بن الجوزىّ بسند يرفعه إلى اليمان بن عمرو مولى ذى الرياستين، قال : كان ذو الرياستين يبعثنى ويبعث أحداثا من أهله إلى شيخ عالم بخُراسانَ، له أدبٌ وحسنُ معرفة بالأمور، ويقول لنا : تعلّموا منه الحكمة، فإنه حكيم! . وكنا نأتيه. فإذا ٱنصرفنا من عنده، سألنا ذو الرياستين وٱعترض ما حَفِظناه فنخبره به . فقصدناه

١٥ ذات يوم، فقال : أنتم أُدباءُ، وقد سمعتم الحكمة ولكم جِدَاتٌ ونِعَمٌ . فهل فيكم عاشق؟ فقلنا : لا . فقال : ٱعشَقُوا، فإن العشق يُطْلِق اللسان العَيِىّ، ويفتح جِبِلَّة البليد، ويبعث على التنظيف وتحسين اللبــاس وتطييب المَطْعَم، ويدعو إلى الحركة والذّكاء، ويُشَرِّف الهمة! وإياكم والحرام! فانصرفنا من عنده إلى ذى الرياستين، فسألنا عما أخذنا فى يومنا ذلك فهِبْنَاه أن نخبره. فعزَم علينا فأخبرناه، فقال : صــدَق والله! فهل

تعلمون من أين أخذ هذا؟ فقلنا : لا . قال ذو الرياستين : إن بَهْرامَ جُور كان له ٱبن، وكان قد رشَّحه للأمر من بعده، فنشأ الفتى ناقصَ الهمة، ساقطَ المُروءة، خامل النفس، سيئ الأدب . فغمه ذلك ووكَّل به من يلازمه من المؤدِّبين والحكماء ليعلموه . فكان يسألهم عنه فيحكون عنه مايغُمُّه من سوء فهمه وقلة أدبه . إلى أن سأل بعض مؤدِّبيه يوما، فقال له المؤدِّب : قد كنا نخاف سُوءَ أدبه، فحدث من أمره ما صيَّرنا إلى اليأس من فلاحه، قال : وما ذاك الذى حدث؟ قال : إنه رأى ٱبنة فلان المَرْزُبان فعشِقَها حتى غلب عليه هواها، فهو لا يَهْذِى إلا بها، ولا يتشاغل إلا بذكرها . فقال بهرام : الآن رجوتُ فلاحه ! ثم دعا بأبى الجارية، فقال : إنى مُسِرٌّ إليك سرّا فلا يعدُوَنَّك . فضمن له ستره . فأعلمه أن ٱبنه قد عَشِق ٱبنته، وأنه يريد أن يُنكِحَها إياه، وأمره أن يأمرها بإطماعه فى نفسها ومراسلته من غير أن يراها، فإذا ٱستحكم طمعه فيها تجنَّتْ عليه وهَجَرتْه، فإن ٱستعتبها أعلمتْه أنها لا تصلح إلا لملك ومَنْ همته همة الملوك، وأنه يمنعُها من مواصلته أنه لا يصلح للْمُلْك . ثم ليعلمه خبرهما، فقبل أبوها ذلك منه . ثم قال للمؤدِّب الموكل به خوّفه منى وشجعه على مراسلة المرأة ! ففعل ذلك وفعلتْ الصبيّة ما أمرها به أبوها . فلما ٱنتهت إلى التجنى عليه، وعلم الفتى السبب الذى كرهتــه له، أخذ فى الأدب وطلب الحكمة والعلم والفُروسيــة والرِّماية وضرب الصوالجــة حتَّى مَهَر فى ذلك . ثم رفع إلى أبيه أنه محتاج من الدوابّ والآلات والمطاعم والملابس والنــدماء إلى فوق ما عنده . فَسُرّ الملك بذلك، وأمر له بمـا طلب . ثم دعا مؤدّبه، فقال : إن الموضع الذى وضع به ٱبنى نفسه من حبّ هذه المرأة لا يُزْرِى به . فتقدّمْ إليه أن يرفع ذلك إلىّ ويسألنى أن أزوّجه إياها . ففعل . ورفع الفتى ذلك إلى أبيه، فاستدعى أباها، وزوّجه بها، وأمر بتعجيلها إليه، وقال له :

إذا اجتمعتَ بها فلا تحدث شيئا حتّى آتيك! فلما اجتمع أتاه، فقال: يابُنَيّ لا يضعنّ منها عندك مراسلتُها إيّاك، وليست في حبالك! فإني أنا أمرتها بذلك. وهي أعظم الناس مِنّةً عليك، بما دعتك إليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك، حتّى بلغت الحدّ الذي تصلح معه للمُلك بعدي. فزِدْها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحق منك! ففعل الفتى ذلك، وعاش مسرورا بالجارية، وعاش أبوه مسرورا به، وأحسن ثواب أبيها، ورفع مرتبته وشرفه بصيانة سره وطاعته، وأحسن جائزة المؤدّب، وعقد لابنه على المُلك من بعده.

قال اليمان: ثم قال لنا ذو الرياستين: سلوا الشيخ الآن: لِمَ حملكم على العشق؟ فسألناه: فحدّثنا بحديث بهرام جور وابنه.

فهذا ممن ارتفع بالهوى وترقّى بسببه إلى مرتبة الملك.

وحكى ابن الجوزي أيضا، قال: حدّث القاسم بن محمد النُّمَيْرِيّ، قال: مارأيت شابا ولا كهلا من ولد العباس أصونَ لنفسه، وأضبطَ لجأشه وأعفَّ لسانا وفَرْجامن عبد الله بن المعتزّ! وكان ربما عبَثْنا بالهزل في مجلسه، بجرى معنا فيه فيما لا يقدح به عليه قادح. وكان أكثرَ مايَشْغَل به نفسه سماعُ الغناء، وكان كثيرا مايَعيب العِشْق، ويقول: هو ضرب من الحمق! وكان إذا رأى منا من هو مطرق أو مفكّر اتهمه بالعشق ويقول: وقعْتَ والله يافلان! وقلّ عقلك وسَخُفْتَ! إلى أن رأيناه، وقد حدث به سهو شديد، وفكر دائم، وزفير متتابع، وسمعناه ينشد أشعارا منها:

مالِي أرَى الـثُّريّا * ولا أرَى الرَّقيبا؟
يامُرْسِلًا غزالًا، * أما تخاف ذيبَا؟

وسمعناه مرة أخرى ينشد، وهو يشرب فى إناء قد لفه، فاتهمناه فيه. وكتب عليه هذا الشعر:

ما قَلِيلٌ منكَ لى بقَلِيلِ، * يامُنى عينى وغايةَ سُولى!
سَلْ بحقِّ الله عينيكَ عنِّى: * هل أحَسَّتْ فى الهوى بقتيلِ؟
أنتَ أفسَدْتَ حياتِى بهَجْرٍ، * ومَمَاتِى بحِسابٍ طَوِيلِ! ٥

وأنشد:

أسَرَ الحُبُّ أمِيرًا * لم يكُنْ قبلُ أسيرا.
فارحَمُوا ذُلَّ عَزِيزٍ * صارعَبْدًا مستجيرا!

وأنشد يوما، وقد راى دار بعض الناس، فقال:

أيا دارُ كَمْ فِيكِ من لَذَّةٍ * وعَيْشٍ لنا، كانَ ما أطْيَبَهْ! ١٠
ومن قَيْنةٍ أفسَدَتْ ناسِكًا، * وكانَتْ له فى التُّقى مَرْتَبَهْ.

وقال أيضا مرة:

لقد قتَلَتْ عيناكَ نفْسًا كريمةً، * فلا تَأمَنَنْ إن مُتُّ سَطْوةَ ثائرِ!
كأنَّ فُؤادِى فى السَّماء معَلَّقٌ، * إذا غِبْتَ عن عينِى، بمِخْلَبِ طائرِ.

وأنشد يوما، وفى يده خاتم: ١٥

حَصَلْتُ منك على خا * تَمٍ حَوَتْه البنانُ!
فما يُفارِقُ كَفِّى * كأنَّه قَهْرَمانُ.
ياأهلَ وُدِّى بَعُدْتُم * وأنتُمُ جِيرانُ!

قال النميرىّ: فقلتُ له: جعلنا الله فداك! هذه أشياء قد كنت تعيب أمثالها منا. ونحن الآن ننكرها منك! وكان يرجع عن بعض ذلك تصنعا، ثم لا يلبث ٢٠

مستوره ان يظهر حتى تحقق عنـدنا عشقه، ودخل فى طبقة المرحومين، فسمعته يوما ينشد :

مَكْتُومُ، يا أحسنَ خلقِ اللهِ * لا تتْرُكِيني هكذا باللهِ!

ثم تنفس إثر ذلك فأجبته :

قد ظَفِر العِشـقُ بعبد اللهِ * وٱنْهتكَ السِّتْرُ بحمد اللهِ.

٥ فقل له : سَمِّ لنـا سَيِّدِى * هذا الذى تَهْوى، بحقِّ اللهِ!

فضحك وقال : لا، ولا كَرامة !

فكتبتُ إليه من الغَدِ :

بكَتْ عينُـه وشَكَا حُرقةً * من الوَجْد فى القَلْب ما تنطفى.

١٠ فقلتُ لَهُ : سـيِّدى، ما الذى * أرى بِكَ؟ قال : سِقَام خَفِى.

فقلتُ : أعِشْقٌ؟ فقال : ٱقْتصِر * على ما تَرى بِى، أما تَكْتَفِى؟

فكتب إلىّ :

يا مَنْ يُحَـدِّث عَنِّى * بظَنِّ سمـع وعينِ !

إن كنتَ تَخْطُب سِرِّى، * فارجِعْ بخُفَّىْ حُنَـيْنِ!

١٥ فكتبت إليه :

هَيْهـاتَ لحظك عِنْدِى * يُقِـرُّ فيـه بعِشـقِك!

دَعْ عنـك خُفَّىْ حُنَيْنٍ * وٱحْرِص على حَلِّ رِبْقك!

تعـالَ نَحْتـالُ فيـما * تهوى، برِفْقٍ و رِفْقِـك!

وصرتُ إليه فقال : يا أبا طيب، قد عصيتُ إبليسَ أكثر مما عصى ربَّه إلى أن

٢٠ أوقعنى فى حبائله، فأنشدته :

مِن أينَ لا كان إبليــسُ جاءنِي بِكَ يَسْعَى؟
أبداكَ لى من بَعِيــدٍ * فقلت : طَوْعًا وسَمْعًا!

فأخبرنى بقصته . فسعيت له بلطيف الحيلة وأعاننى بحزم الرأى حتّى فاز بالظفر .

قال أبو بكر الصولى : اعتل عبد الله بن المعتز فأتاه أبوه عائدا وقال : ما عراك، يابنىّ ؟ فأنشأ يقول : ٥

أيُّهـا العاذلُونَ ، لاتَعْــذُلُونِى * وانظُروا حُسْنَ وجهها تَعْذِرُونِى!
وانظروا هل تَرَوْنَ أحسنَ منها ، * إن رَأَيْـتُمْ شَـبِيهها فاعذِلُونِى!
بى جُنُونُ الهوى، ومابِى جُنُونٌ * وجُنونُ الهوى جُنونُ الجُنونِ!

قال : فتتبع أبوه الحال حتّى وقع عليها، فابتاع الجارية التى شُغِف بها بسبعة آلاف دينار، ووجّهها إليه . ١٠

وحكى أن الرشـيد كان له ثلاث جوارٍ اشـتدّ شغفه بهنّ ، فقال العبـاس بن الأحنف على لسانه :

مَلَك الثّـلاثُ الآنِساتُ عنانِى * وَحَلَلْنَ من قلبى بكُلِّ مكانِ!
مالى تُطاوِعُنِى البـريّةُ كلُّها ، * وأُطِيعُهنَّ وهُنَّ فى عِصْـيانِى؟
ما ذاك إلا أن سـلطان الهوى * وبه عززن أعزُّ من سلطانِى! ١٥

أخذ المعنى والروىّ سليمان بن الحَكَم المستعين، أحدُ خلفاء بنى أمية بالأندلس ، فقـال :

عَجَبًا يهـابُ الليثُ حدّ سِـنانِى، * وأهابُ لحظ فَواتِرِ الأجْفـانِ!
وأُقارِعُ الأهـوالَ لا متَهيِّبـا * منها سِوى الإعراض والهِجْرانِ!
وتملّكتْ نفسِى ثَلاثٌ كالدُّمى * زُهرُ الوُجُـوهِ نواعمُ الأبدانِ! ٢٠

كَكَواكِبِ الظَّلْمَاء لُحْنَ لِنَاظِرٍ * مِن فَوقِ أَغْصَانٍ على كُثْبانِ.
هذِي الهِلالُ، وتلك بنتُ المشترِي * حُسْناً، وهذِي أختُ غُصنِ البانِ!
حاكمتُ فيهنَّ السُّلُوَّ إلى الصِّبا * فقضَى لسُلْطانٍ على سُلطانِ.
فأبحْنَ من قلبي الحِمَى وثنَيْنَنِي * عن عِزِّ مُلْكِي كالأسيرِ العانِي.
لا تَعْذلوا مَلِكا تذلَّل في الهوى! * ذُلُّ الهوى عِزٌّ ومُلْكٌ ثانِي!
إن لم أُطِعْ فيهنَّ سُلطانَ الهوى * كَلَفاً بهنّ، فلستُ من مَرْوانِ!
وإذا الكريمُ أَحَبَّ، أَمِنَ إِلفَهُ * خَطْبَ القِلَى وحَوادثَ السُّلْوانِ!

وقال العباس :

لاعارَ في الحُبِّ إنَّ الحبَّ، مَكْرُمةٌ * لكنّه ربَّما أزرى بذي الخَطَرِ!

* * *

وأما القسم المذموم منه، وهو الذى ثَنَّينا بذكره فى صدر هذا الفصل فقد أكثر الناس القول فى ذمه، وبيّنوا أسبابه .

فقال ابن الجوزىّ : بيان ذمه أن الشيء إنما يعرف مذموما أو ممدوحا بتأمل ذاته وفوائده وعواقبه، وذات العشق لَهَج بصورة، وهذا ليس فيه فضيلة فتمدَحَ، ولا فائدةَ فى العشق للنفس الناطقة، إنما هو أثر غلبة النفس الشَّهْوانية .

وقال بعض الحكماء : ليس العشق من أدواء الحُصَفاء الحكماء ، إنما هو من امراض الخُلَعاء الذين جعلوا دأبهم ولَهَجهم متابعةَ النفس وإرخاءَ عِنان الشهوة وإمراح النظر فى المستحسنات من الصور . فهنالك تتقيد النفس ببعض الصور فتأنس، ثم تألف، ثم تتُوق، ثم تَلْهَج، فيقال «عَشِق» . وليس هذا من صفة الحكماء :

لأن الحكيم من آستطال رأيُه على هواه، وتسلطت حكمتُه على شهوته . فَرُعُونات طبعه مقيَّدة أبدا كصبيّ بين يدى معلمه أو عبد بمرأى سيده ؛ وما كان العشق قط إلا لأرعن بطَّال . وقلّ أن يكون لمشغول بصناعة أو بتجارة، فكيف لمشغول بالعلوم والحكم، فإنها تصرفه عن ذلك . ولهذا لاتكاد تجده فى الحكماء .

٥ (ذ) وقال آبن عُقَيل : العشــق مرض يعترِى النفوس العــاطلة، والقلوب الفارغة المتلمحة للصور لدواعٍ من النفس، ويساعدها إدمان المخالطة، فيتأكد الإِلْف ويتمكن الأنس، فيصير بالإدمان شَغَفا . وما عَشِق قط إلا فارغٌ . فهو من علل البَطَّالين وأمراض الفارغين من النظر فى دلائل العبر، وطلب الحقائق، المستدل بها على عِظَم الخالق . ولهذا قلما تراه إلا فى الرُّعْن البَطِرِين، وأرباب الخَلَاعة النَّوْكى . وما عَشِق حكيم قط : لأن

١٠ قلوب الحكماء أشدّ تمنعا عن أن توقفها صورة من صُوَر الكون مع شدّة تطلبها، فهى أبدا تلحظ وتَخْطَف ولا تقف . وقلّ أن يحصل عشق من لمحة، وقلّ أن يُضِيف حكيم إلى لَمْحة نظرةً، فإنه مارّ فى طلب المعانى، ومن كان طالبا لمعرفة الله لاتوقفه صورة عن الطلب لأنها تحجبه عن الصور .

وقال آبن الجوزىّ : وآعلم أن العشاق قد جاوزُوا حدّ البهائم فى عدم ملكة النفس

١٥ فى الآنقياد إلى الشهوات : لأنهم لم يرضَوْا أن يصيبوا شهوة الوطء وهى أقبح الشهوات عند النفس الناطقة من أىّ موضع كان حتى أرادوها من شخص بعينه فضمُّوا شهوة إلى شهوة، وذَلُّوا للهوى ذلّا على ذل . والبهيمة إنمــا تقصد دفع الأذى عنها حسبُ . وهؤلاء آستخدموا عقولهم فى تدبير نيل شهواتهم .

ثم قال : والعشق بَيِّن الضرر فى الدِّين والدنيا . أما فى الدّين فإنه يشغَلُ القلب عن

٢٠ الفكر فيما له خُلِق : من معرفة الله تعالى، والخوف منه، والقرب إليه . ثم ينفذ ماينال

من موافقة غرضه المحرم الذي يكون فيـه خُسْران آخرته، ويعرّضه لعقوبة خالقه. فكلما قَرُب من هواه، بَعُد من مولاه. ولا يكاد العشق يقع في الحلال المقدور عليه فان وقع، فياسَرْعان زوالُه ! قالت الحكماء : كل مملوك مملول . وقال الشاعر :

وزادني شَـغَفا بالحِبِّ أن مَنَعتْ * أحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا .

٥ فان كان المعشوق لايباح ، اشتدّ القلق به والطلب له . فإن نيل منه غرض ، فالعذاب الشديد في مقابلته . على أن بلوغ الغرض يزيد ألمًا فتربي مرارة الفراق على لذّة الوصال . كما قال الشاعر :

كلُّ شيءٍ رَبِحْتُهُ في التّداني * والتّلاقي، خَسِرتُه في الفِرَاق.

فإن منعه خوفُ الله تعالى عن نيل غرض، فالامتناع عذاب شديد فهو معذب

١٠ في كل حال .

هذا ضرره في الدّين .

وأما ضرره في الدّنيا فإنه يورث الهَمّ الدائم، والفكر اللازم، والوِسْواس، والأرَق، وقلة المَطْعَم، وكثرة السهَر . ويتسلط على الجوارح فتنشأ الصفرة في البدن، والرِّعدة في الأطراف، والجَلْجة في اللسان، والنُّحول في الجسـد . فالرأى عاطل، والقلب

١٥ غائب عن تدبير مصلحة، والدموع هواطل ، والحسَرات تتتابع ، والزّفَرات تتوالى ، والأنفاس لا تمتـدّ ، والأحشاء تضطرم . فإذا غشّي على القلب غشاء ثانيـا أخرج إلى الجنون . وما أقْرَبَه حينئذ من التلف !

قال : هذا، وكم جنى من جناية على العرض، ووَهَّن الجاه بين الخلق . وربمـا أوقع في عقوبات البدن وإقامة الحدود .

٢٠ وقال جالينوس : العشق من فعل النفس . وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد.

وفى الدماغ ثلاثة مساكن :

مسكن للتخيّل، وهو فى مقدّم الرأس؛

ومسكن للفِكْر، وهو فى وسطه؛

ومسكن للذُّكْر، وهو فى مؤخّره .

ولا يسمى عاشقا إلا من إذا فارق معشوقه لم يخل من تخيله فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال الكبِد، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيل والفكر والذكر فيكون جميع مساكن النفس قد ٱشتغلت به .

وقال الجاحظ : ذُكر لى عن بعض حكماء الهند أنه قال : إذا ظهر العشق عندنا فى رجل أو ٱمرأة ، غَدَونا على أهله بالتعزية .

قال : وبلغنى أن عاشقا مات بالهند عشقا ، فبعث ملِك الهند إلى المعشوق فقتله به .

وقال الربعى : سمعت أعرابية تقول : مسكينٌ العاشق ! كل شيء عدوّه ! هُبُوب الريح يُقْلِقه، ولَمَعان البرق يؤرّقه، ورسوم الديار تُحْرِقه، والعــذْل يؤلمه ، والتــذكُّر يُسْقِمه، والبعدُ والقُرْب يهيجه، والليــل يُضاعف بلاءه، والرقاد يهرُب منه . ولقد تداويتُ بالقرب والبعد فلم ينجع فيه دواء، ولا عَزَّ بى عزاء .

وقال شاعر :

وقد زَعَمُوا أنّ المحبّ إذا دنَا ... يُمَلُّ، وأن النّأْىَ يَشْفِى من الوجْد!

بكلٍّ تداوينا، فلم يُشْفَ ما بِنَا! ... على أنَّ قُرْبَ الدار خيرٌ من البعد!

وأنشد المارستانىّ :

إذا قَرُبتْ دارٌ كَلِفتُ، وإن نَأَتْ ... أَسِفتُ ! فلا بالقُرْب أسلو ولا البُعْد!

وإن وعَدَتْ زاد الهوى لانتظارها ، -- وإن بَخِلتْ بالوعد مُتُّ على الوعْدِ!
ففى كُلِّ حبٍّ لا محالَةَ فَرْحةٌ ، * وحُبُّك ما فيه سِوى مُحكَم الجَهْدِ!

(٥٢) وحكى الزبير بن بكّار قال : حدّثنى موهوب بن راشد قال : وقفت امرأة من بنى عُقَيل على أختٍ لها ، فقالت لها : يافلانةُ ، كيف أصبحتِ من حبِّ فلان؟
٥ قالت : قَلْقَلَ والله حبُّه الساكنَ ، وسكَّن المتحرّك! ثم أنشدتها :

ولو أنَّ ما بى بالحصَى فَلَقَ الحصَى ، وبالرِّيح لم يُسمَعْ لهُنَّ هُبُوبُ!
ولو أنَّنِى أستغْفِرُ الله كلَّما -- ذكرتُك لم يُكتَبْ علىَّ ذُنُوبُ!

قالت : لاجَرَمَ والله ، لا أقف حتّى أسأله كيف أصبح من حبِّك! فجاءته فسألته فقال : إنما الهوى هَوَانٌ ، وإنما خُولف باسمه ، وإنما يعرف ما أقول من كان
١٠ مثلى قد أبكته المَعَارِف والطلول .

وقال مسلم بن عبدالله بن جندب الهذلىّ : خرجت أنا وريان السوّاق إلى العقيق فلقينا نِسوةٌ نازلات من العقيق ذوات جمالٍ وفيهن جارية حسناء العينين . فأنشد ريان قول أُبىّ :

ألَا يا عِبادَ الله ، هذا أخُوكُمُ قَتِيلٌ! فهَلَّا فيكُمُ اليومَ ثائِرُ؟
١٥ خُذُوا بدَمِى إن متُّ كلَّ خَرِيدةٍ مريضةِ جَفْنِ العين ، والطَّرْف ساحِرُ!

وأقبل علىّ ، وأشار إليها فقال : يا ابن الكرام دمُ أبيك فى أثوابها فلا تطلب أثرا بعدَ عين! قال : فأقبلت علىّ امرأة جميلة ، أجملُ من تيك ، فقالت : أنت ابن جندب؟ فقلت : نعم . فقالت : إن أسيرنا لا يُفَكُّ ، وقتيلنا لا يُودى ، فاحتسب أباك ، واغتنم نفسك! ومَضَيْنَ .

ذكر شيء من الشعر المقول فى ذمّ العشق والحب

قال الأصمعىّ : سئل أعرابىّ عن الحُبّ، فقال : وما الحب؟ وما عسى أن يكون؟ هل هو إلا سحر أو جنون . ثم قال :

هَلِ الحُبُّ إلا زَفْرةٌ بعد زَفْرةٍ، وحَرٌّ على الأحشاءِ ليس له بَرْدُ؟

وفَيْضُ دموعِ العينِ منّى كلّما بدا عَلَمٌ من أرضكُمْ لم يكُنْ يَبْدُو؟ ٥

وقال : قلت لأعرابىّ : ما الحب ؟ فقال :

الحُبُّ مَشْغَلَةٌ عن كلّ صالحةٍ وسَكْرَةُ الحبِّ تنفِى سَكْرَةَ الوَسَنِ .

وقال محمد بن عبد الله بن مبادر :

مَنْ فتًى أصبحَ فى الحُبِّ سَقَاه الحُبُّ سُمًّا؟

كُلّما أخفى جوى الحُبِّ، عليه الدمعُ نَمَّا . ١٠

ساهرٌ لا يَطْعَمُ النو مَ إذا الليل ادْلَهَمَّا .

كُلّما راقَبَ نَجْمًا . فهوى، راقبَ نَجْمًا .

أنتُمُو هَمِّى فإن لم . تَصِلُونِى متُّ غَمًّا .

يا ثِقَاتِى، خَطَمَ الحُبُّ لكُمْ انفِى وزَمَّا !

يا أَخِى، دائى جَوى الحبِّ وداءُ الناسِ حُمَّى . ١٥

لا تَلُمْ مُفْتَضِحًا فى الـحُبِّ، إنّ الحُبَّ أعمى !

وقال محمد بن ابى أُمية :

فوالله، ما أَدْرِى امن لوعةِ الهَوى صَبَرْتُ على التقصيرِ أم ليس لى قَلْبُ؟

أُقَبِّحُ أمرا، والفؤاد يودّه، . أجُنَّ فؤادى فى الهَوى؟ بل هو الحُبُّ .

وقال أبو عُبادة البحتريّ :

قال بُطلا وأفال الراى مَنْ * لم يقُل إن المَنَـايا فى الحَدَق!
إن تكُنْ مُحتَسِباً مَنْ قد ثوى * بحِمام، فاحتَسبْ من قد عَشِق!

وقال أبو تمـام :

أمّا الهوى فهو العذابُ، فإن جَرَتْ * فيـه النَّوَى فالتَّـمُّ كُلّ التَّـيْمِ.

وقال ابن أبى حُصينة :

والعِشق يجتَذِبُ النفوسَ إلى الرَّدى * بالطَّبْع، واحَسَدا لمن لم يَعْشَـقِ!
طَرَق الخيـالُ فهاج لى بطُروقِهِ * وَلَهـاً، فليتَ خَيالَهـا لم يطْرُقِ!

وقال صالح بن عبد القدّوس :

عاصِ الهَوى إن الهوى مَرْكَبٌ * يَصْعُبُ بعد اللّين منه الذَّلُولُ!
إنْ يَحْلُبِ اليَوْمَ الهَوى لَذَّةً * ففى غَدٍ منـه البُـكا والعوِيلُ.

وقال ابن المعتزّ :

فكأنّ الهَوى آمرؤٌ علَوِيٌّ * ظَنَّ أنّى ولِيتُ قتلَ الحُسَيْنِ!
وكأنّى لَدَيْهِ نَجْـلُ زِيادٍ * فهو يَختارُ أوجَعَ القِتلَتَيْنِ!

وقال أبو عبد الله بن الحجاج :

وَيْحَكَ، ياقلبِيَ ما أغفَلَكْ! * تَعْشَق مَنْ يعشَقُ أن يقتُلَكْ؟
وأنتَ ياطَـرْفِيَ أوقعْتَنِي، * وَيْحَـكَ ياطَرْفِيَ مالى ولَكْ؟
قد كانَ من حَقّ بكائى على * تَنتُّلِى بالحُبّ أنْ يَشغَلَكْ.
حتّى توصلت لقتْـلِي. فلا * كُنْتَ ولا كان الذى أرسَلَكْ!

وقال عبد المحسن بن غالب الصورىّ :

وكانَ ٱبتداءالذى بى مُجُونا، * فلَمّا تمكَّنَ أمسى جُنونَا.
وكنتُ أظُنُّ الهوى هيّنا * فلاقيْتُ منه عذابًا مُهِينا.

وقال أبو بكر بن محمد بن عمر العنبرىّ :

ياصاحِ، إنّى مُذْ عرفتُ الهوى * غَرِقْتُ فى بحر بِلَا ساحِل! ٥
عَيْنِى لَحْيِنِى نظَرتْ نظرةً * رُحْت بها فى شُغُلٍ شاغِلٍ.
عُلِّقْتُه فى البيتِ من فارسٍ؛ * لكنّه فى السِّحرمن بابِلٍ.
يَظلِمُنى، والعَدْلُ من شأنهِ! * ما أوْجَعَ الظُّلْمَ من العادل!

وقال آخر :

مَنْ سَرّه أن يَرى المَنايَا * بعَيْنِه مَنْظَرا صُرَاحا. ١٠
فلْيَحْسُ كأسًا من التجنِّى * وليَعْشَقِ الأوْجُهَ المِلَاحا!
ياأعيُنًا أرسلَتْ مِراضا * فاختَلَسَتْ أعيُنًا صِحاحَا!

وقال آخر:

ماأقْتَلَ الحُبَّ! والإنسانُ يجهلُهُ * وكلُّ مالم يَذُقْه فهو مَجْهُولُ.
راح الرُّماةُ إلى بعض المَهَا، فإذا * بَعضُ الرُّماةِ ببَعْضِ الصَّيدِمَقْتُول! ١٥

وأما الآفات التى تجرى على العاشق من المرض والضَّنا والجنون والمخاطرات بالنفوس وإلقائها إلى الهلاك، فهى كثيرة جدّا، مشاهَدة ومسموعة .

فمن ذلك ماحكاه أبو الفرج بن الجوزىّ بسند يرفعه ، قال : لما بعثت قُرَيْشٌ عمارةَ بن الوليد مع عمرو بن العاص إلى النجاشىّ يكلمانه فيمن قدم عليه من المهاجرين، فراسل عمارة جارية لعمرو بن العاص كانت معه فصغَتْ إليه، فاطلع عمرو على ذلك ٢٠

فوَجِدَ على عمارة. وكان عمارة أخبر عَمْرا أن زوجة النجاشيّ عَلِقته وأدخلتْه إليها فوشى عمرو بعمارة عند النجاشيّ وأخبره بالخبر، فقال له النجاشيّ: آئتنى بعلامة أستدلّ بها على ماقلتَ! ثم عاد عمارة فأخبر عمرا بأمره وأمر زوجةِ النجاشيّ، فقال له عمرو: لا أقبل هذا منك إلا أن تُعطِيَك من دُهْن الملك الذى لا يَدَّهن به غيره. فكلمها عمارة
٥ فى ذلك، فقالت: أخاف من الملك فأبى أن يرضى منها حتّى تعطيه من ذلك الدُّهْن فأعطته منه فأعطاه عمرا فجاء به عمرو إلى النجاشيّ فنفخ سحرا فى إحليل عمارة، فذهب مع الوحش (فيما تقول قريش) فلم يزل متوحّشا يرد ماء فى جزيرة بأرض الحبش حتى خرج إليه عبد الله بن أبى ربيعة فى جماعة من أصحابه فرَصَده على الماء فأخذه فجعل يصيح به: يابجير أرسلنى! فإنى أموت إن أمسكتنى! فأمسكه فمات فى يده.

١٠ وحكى عن محمد بن زياد الأعرابيّ قال: رأيت بالبادية أعرابيا فى عُنُقه تمائمُ وهو عُرْيانٌ وعلى سوأته خرقة وفى رجله حَبْل ومن خلفه عجوز آخذة بطَرَف الحبل وهو يَعَضُّ ذراعيه، فقلت للعجوز: من هذا؟ فقالت: آبن آبنتى! فقلت لها: أبه مَسٌّ من الجنّ؟ فقالت: لا والله ولكنه نشأ وآبنة عمّ له فى مكان واحد، فعُلِّقها وعُلِّقته. فحبسها أهلها ومنعوها منه فزال عقله وصار إلى ما ترى! فقلت لها: ما آسمه
١٥ قالت: عكرمة. فقلت: أيا عِكْرِمة ما أصابك؟ قال: أصابنى داء قيس وعروة وجميل: فالجسم منى نحيل، والفؤاد عليل. قال: فتركته ومضيت.

وحكى عن عباس بن عبيد، قال: كان بالمدينة جارية ظريفةٌ حاذقةٌ بالغناء فهَوِيتْ فتى من قريش، فكانت لا تُفارقه ولا يفارقها. فملّها الفتى وفارقها، وتزايدت محبتها له حتى ولِهَتْ. وتفاقم الأمر بها حتّى هامت على وجهها ومَزّقت ثيابها، فرآها مولاها
٢٠ فى ليلة من الليالى، وهى تدور فى السِّكك ومعه أصحاب له، فجعلت تبكى وتقول:

الحُبُّ أوّل ما يكُونُ لجَاجَة * تأتِى به وتَسوقُه الأقدارُ.
حتَّى إذا اقتحم الفتى لُجَجَ الهوى * جاءت أمورٌ لاتُطاق كِبارُ.

قال : فما بقى أحد إلا رحمها . فقال لها مولاها : يافلانة، امضى معنا إلى بيتنا! فأبت وقالت :

- شَغَلَ الحَلْىُ أهْلَه أن يُعارَا *

٥

قال : وذكر بعض من رآها ليلة وقد لقيتْها جاريةٌ أخرى مجنونةٌ فقالت لها : فلانة، كيف أنت؟ قالت : كما لا أُحب، فكيف أنت من وَلَهك وحُبِّك؟ قالت: على مالم يَزَلْ، يتزايد على مَرِّ الأيام! قالت لها: فغَنِّى بصوتٍ من أصواتك فإنى قريبة الشَّبَه بك ! فأخذت قصبة تُوقِّع بها وغنَّت :

يامَنْ شَكا ألَمًا للحُبِّ شبَّهه * بالنار فى القَلْب من حُزْنٍ وتَذْكارِ!
إنِّى لأُعْظِمُ مابِى أن أشَبِّهَه * شيئا يُقاس إلى مِثْلٍ ومِقْدار.
لو أنَّ قَلْبِىَ فى نارٍ لأحْرَقها، * لأنَّ أجزاءه أذْكى من النَّار!

١٠

ثم مضت .

وحكى عن سليمان بن يحيى بن معاذ قال : قدم علىّ بنيسابورَ إبراهيم بن سبابة الشاعر البصرى . فأنزلته علىّ فجاء ليلة من الليالى وهو مكروب قد هاجَ . فجعل يَصيح بى : ياأبا أيوب ! فخشيت أن يكون قد غشِيَتْه بليةٌ، فقلت : ماتشاء ؟

١٥

فقال : - أعْيانِىَ الشادِنُ الرَّبيبُ! *

فقلت : بما ذا ؟

فقال : - أشْكُو إليه فلا يُجيبُ! *

فقلت : داره وداوه !

٢٠

فقـال :

مِنْ أينَ أبْغِي شِفاء دائِي؟ * وإنمـا دَائِيَ الطَّبِيب!

فقلت : إذنْ يفرّج الله عز وجل !

فقـال :

٥ يارَبِّ، فَرِّج إذًا وعَجِّل، * فإنَّك السـامِـعُ المُجِيبُ!

ثم آنصرف .

وحدث عن على بن محمد النوفلىّ عن أبى المختار عن محمد بن قيس العبدىّ، قال : إنى لبمزدلفة بين النـائم واليقظان إذ سمعت بكاء حرقا وغناء عاليا . فاتبعتُ الصوت فإذا أنا بجارية كأنهـا الشمس حسـنا ومعها عجوز . فلَطئْتُ بالأرض لأمتع عينى ١٠ بحسنها، فسمعتها تقول :

دعوتُكَ يامولاى سرا وجَهْـرة * دعاءَضعيف القلب عن محمل الحبِّ!

بُليتُ بقاسى القلب لايَعرِف الهوى * وأقتـلِ خلق الله للهائم الصبِّ!

فإن كنتَ لم تقض المودّة بيننا * فلا تُخْـلِ من حبٍّ له أبدا قلبي!

رضيتُ بهذا ماحييتُ فإن أمتْ * فحسبي مَعَادا في المعاد به حسبي!

١٥ قال : وجعلت تردّد هذه الأبيات وتبكى، فقمتُ إليها وقلت : بنفسى من أنتِ؟ مع هذا الوجه وهذا الجمال يمتنع عليك من تريدين ؟ قالت : نعم! والله إنه يفعل تصبرا وفى قلبه أكثر مما فى قلبي! قلت : فإلى كم البكاء؟ قالت : أبدا! أو يصير الدمع دما وتتلَف نفسى غما . فقلت : إن هذه آخر ليلة من ليالى الحج، فلو سألت الله تعالى التوبة مما أنتِ فيه، رجوتُ أن يذهب حبه من قلبك! قالت : يا هذا، ٢٠ عليك بنفسك فى طلب رغبتك، فإنى قد قدّمت رغبتى إلى من ليس يجهل بغيتى! وحوّلتْ وجهها عنى، وأقبلتْ على بكائها وشعرها .

وحكى أبو الفرج، عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزىّ فى كتابه المترجم بـ"ذَمّ الهوى" بسند رفعه إلى هشام بن عروة، قال : أذِنَ معاوية بن أبى سفيان يوما للناس، فكان فيمن دخل عليه فتى من بنى عُذْرة . فلما أخذ الناس مجالسهم، قام الفتى العذرىّ بين السماطين فأنشأ يقول :

مُعاوِىَ، ياذا الفَضْلِ والحِلْمِ والعَقْلِ * وذا البِرِّ والإحسانِ والجُودِ والبَذْلِ! ٥
أتيتك لمّا ضاقَ فى الأرض مَسْكَنِى * وأنكَرْتُ ممـا قد أُصِبتُ به عَقْلِى .
فَفَرِّج - كَلَاكَ اللهُ - عنِّى فإننى * لَقِيتُ الذى لم يَلْقَـهُ أحدٌ قَبْـلِى!
وخُذْ لِى - هداكَ الله - حقِّى من الذى * رمانِى بسَهْم كانـ أهونُه قَتْـلِى!
وكنت أُرَجّى عـدْلَه إن أتيتُـه * فأكثر تَرْدادى مع الحَبْس والكَبْل!
سَبانِىَ سُعْدى وانبرى لخُصُومتِى * وجارَ ولم يَعْـدِلْ وغاصَبَنى أهْلِى . ١٠
فطلَّقْتُها من جَهْدِ ما قد أصابنِى! * فهذا أميرَ المؤمنين من العَـدْلِ؟

فقال معاوية : أُدْنُ بارك الله عليك! ماخَطْبك؟ فقال : أطال الله بقاء أميرالمؤمنين! إنى رجل من بنى عُذْرة، تزوّجت ٱبنة عمّ لى . وكانت لى صِرْمةٌ من الإبل وشُوَيْهات فأنفقت ذلك عليها . فلما أصابتنى نائبة الزمان وحادثات الدهر، رَغِب عنى أبوها . وكانت جارية فيها الحياء والكرم، فكرِهَتْ مخالفة أبيها . فأتيت عاملك مروان بن الحكم ١٥ مستصرخا به راجيا لنصرته . فذكرت له قصتى، فأحضر أباها وسأله عن قضيتى . وكان قد بلغه جمالها، فدفع لأبيها عشرة آلاف درهم، وقال له : هذه لك، وزوّجنى بها وأنا أضمن خلاصها من هذا الأعرابىّ! فرغب أبوها فى البذل فصار الأمير لى خصما وعلىّ منكِرا! فانتهرنى وأمر بى إلى السجن وأرسل إلىّ أن أطلقها فلم أفعل . فحبسنى وضيق علىّ وعذبنى بأنواع العذاب، فلما أصابنى مَسُّ الحديد وألمُ العذاب ولم أجد ٢٠

بُدًّا عن ذلك، طلقتها . فما استكملت عدّتها حتّى تزوّج بها . فلما دخل بها أرسل إلىّ فأطلقنى . وقد أتيتك يا أمير المؤمنين مستجيرا بك، وأنت غياث المكروب، وسند المسلوب . فهل من فرج؟ ثم بكى وقال فى بكائه :

فى القَـلْبِ مِنِّىَ نارُ * والنـارُ فيها اسْـتِعارُ!

٥ والجِسْمِ مِنِّى نَحِيـلُ * واللونُ فيـه ٱصْفِرارُ.

والعينُ تَبْكِى بشَجْوٍ * فـدَمْعُها مِـدْرارُ.

والحُبُّ داء عَسِـيرٌ * فيـه الطَّبِيبُ يَحارُ.

حُمِّلتُ منـه عَظِيما * فما عليـه ٱصْطِبار.

فلَيْس لَيْـلِى لَيْـلًا * ولا نَهـارِى نَهـارُ!

١٠ فرقّ له معاوية وكتب إلى ٱبن الحكم كتابا غليظا، وكتب فى آخره :

رَكِبْتَ أمرًا عظيما لستُ أعْرِفُـه * أستغفرُ اللهَ من جَوْرِ ٱمرِئٍ زانى!

قد كُنتَ تُشْـبِه صُوفِيًّا له كُتُبٌ * من الفرائِض أو آياتِ فُرقانِ .

حتّى أتانا الفتى العـذْرِىُّ منتَحِبًا * يَشْـكُو إلىّ بحقٍّ غيرِ بُهتـانِ .

أُعْطِى الإلٰهَ عُهُودًا لا أَخِيسُ بها * أوْلا فبَرِئْت من دِينٍ وإيمـانِ!

١٥ إن أنتَ راجَعْتـنِى فيما كَتَبْتُ به * لأجعلَنَّك لَحْمًا بين عِقْبانِ!

طَلِّقْ سُعادَ، وجَهِّزها معجَّـلةً * مع الكُمَيْتِ، ومعْ نَصْرِ بن ذبيان!

فما سمعتُ كما بُلِّغتُ من عَجَبٍ * ولا فِعالُك حقًّا فعْلَ إنْسانِ!

ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الكميت ونصر بن ذبيان وقال : ٱذهبَا به إليه !

قال : فلما ورد كتاب معاوية على ٱبن الحكم وقرأه تنفس الصُّعَداء، وقال : وَدِدْتُ

٢٠ أن أمير المؤمنين خلّى بينى وبينها سنة ثم عرضنى على السيف ! وجعل يؤامر نفسه

فى طلاقها فلا يقــدر . فلما أزعجه الوفد طلقها وأسلمها إليهما . فلما رآها الوفد على هذه الصورة العظيمة وما اشتملت عليه من الجمال المفرط ، قالوا : لا تصلح هــذه إلا لأمير المؤمنين ! وكتب ابن الحكم كتابا لأمير المؤمنين معاوية، ودفعه إليهما مع الجارية . فكان مما كتب فيه يقول :

لا تحنَثَنَّ أميرَ المؤمنينَ فقَــدْ * أُوفِى بعَهْدك فى رفْق وإحسان.
وما رَكِبتُ حرامًا حينَ أعْجَبنِى، * فكيفَ سُمِّيتُ باسمِ الخائنِ الزانِى؟
أعذر فانك لو أبصــرتها لجرَتْ * منك الأمانى على تمثال إنسانِ!
وسوف تأْتِيكَ شمسٌ ليس يعْدِلها * عند البَرِيَّة من إنس ومن جانِ!
حَوْراءُ يقصُرعنها الوصفُ إنْ وُصِفتْ، * أقــولُ ذلك فى سِرٍّ وإعلانِ!

فلما ورد الكتاب على معاوية وقرأه، قال : لقد أحسن فى الطاعة، ولكن أطنب فى ذكر الجارية ! ولئن كانت أعطيت حسن النَّغْمة مع هذا الوصف الحسن فهى أكمل البرية ! فأمر بإحضارها، فلما مثلتْ بين يديه، استنطقها فإذا هى أحسن الناس كلاما وأكملُهم شَكْلا ودَلّالا . فقال : يا أعرابىّ ، هذه سعدى ! ولكن هل لك عنها من سَلْوة بأفضل الرغبة ؟ قال نعم، إذا فرّقت بين رأسى وجسدى ! فقال : أعوّضك عنها يا أعرابىّ ثلاث جوارٍ أبكار ومع كل واحدة ألف دينار وأقسم لك من بيت المــال ما يكفيك فى كل ســنة ويعينك على صحبتهنّ . فشهق شهقة ظن معاوية أنه مات . فقال له : مابالك ياأعرابىّ؟ قال : أشرُّ بال وأسوأ حال، استجرت بعدلك من جور ابن الحكم، فعند من أستجير من جورك ؟ ثم أنشأ يقول :

لاتجْعلَنِّى والأمثــالُ تُضْــرَبُ بِى * كالمُستغيثِ من الرَّمْضاء بالنــارِ!
رُدُّ سُــعْدَ على حَيْرانَ مكتئبٍ * يُمسى ويُصْــبِح فى هَمٍّ وتَذْكارِ!

قـد شـفّه قلقٌ ما مثـله قلقٌ * وأُسعِر القلبُ منه أيّ إسعار !

كيف السلوُّ، وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلبُ عنها غيرَ صبّارِ؟

قال : فغضب معاوية غضبا شديدا، ثم قال : يا أعرابيّ، أنت مقرٌّ بأنك طلقتها! ومروان مقرٌّ بأنه طلقها، ونحن نخيرها فان آختارتك أعدناها إليك بعَقْد جديد، و إن اختارت سواك زوّجناه بها. ثم آلتفت إليها أمير المؤمنين وقال : ما تقولين، ياسُعْدى؟ أيما أحبُّ إليك، أمير المؤمنين في عزه وشرفه وسلطانه وما تصيرين إليه عنده، أومروانُ بن الحكم في عَسْفه وجَوْره، أو هذا الأعرابي في فقره وسُوء حاله؟ فأنشأت تقول :

هذا، وإنْ كانَ في فَقْرٍ و إضرارِ،[1] * أعَزُّ عنديَ مِن قَوْمِي ومِن جاري!

وصاحبِ التّاجِ أو مَرْوانَ عامِلِهِ * وكلِّ ذي دِرْهمٍ عِنْـدي ودينـارِ!

ثم قالت : والله يا أمير المؤمنين، ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغَدَرات الأيام! وإن لي معه صحبة لا تُنْسى ومحبة لا تَبلى! والله إني لأحق مَنْ صبر معه في الضراء كما تنعّمت معه في السرّاء! فعجب كلُّ من كان حاضرا. فأمر له بها ثم أعادها له بعقد جديد، وأمر لها بألف دينار. فأخذها وآنصرف يقول :

خَلُّوا عن الطَّريقِ للأعْرابِي! * ألم تَرِقُّوا، وَيْحَكُمْ ممَّا بِي؟

[قال[2] : فضحك معاوية وأمر بها فأدخلت في قصوره حتى آنقضت عدّتها من آبن الحكم ثم أمر برفعها الى الأعرابي] .

---

(١) روى هذا الشعر في نسخة أخرى على وجه آخر وهو :

هـذا وإن أصبح في أطمار، وكان في نقص من اليسار

أكثر عندي من أبي وجاري وصاحب الدرهم والدينار

* أخشى إذا غدرت حرّ النار *

(٢) وجدت هذه الزيادة في بعض النسخ .

ولقد ساق ابن الجوزى فى كتابه من أخبار العشاق وما نالهم من الأمراض والجنون والضنا، وقصّ كثيرا من أخبارهم، تركنا إيراد ذلك رغبةً فى الاختصار، لأنه أمر غير منكور .

*
* *

وأما من خاطر بنفسه وألقاها إلى الهلاك لأجل محبوبه، فمن ذلك ما روى عن أبى ريحانة أحدِ حجاب عبد الملك بن مروان أنه قال : كان عبد الملك يجلس يومين فى الأسبوع جلوسا عامًّا للناس: فبينا هو جالس فى مُستَشْرَفٍ له وقد ادخلت عليه القصص، إذ وقعت فى يده قِصّة غير مترجمة . فيها :

«إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته فلانة تغنينى ثلاثة أصوات ثم ينفذ فىّ ماشاء من حكمه، فعل ! » .

فاستشاط من ذلك غضبا وغيظا، وقال : يارباح ! علىّ بصاحب هذه القصة ! فخرج الناس جميعا فأدخل عليه غلام كما عذَّر، من أحسن الفتيان، فقال له عبدالملك : يا غلام، هذه قصتك؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين، قال : وما الذى غرّكَ منّى؟ والله لأمثلَنّ بك ولأردعنّ بك نظراءك من أهل الجسارة ! ثم قال : علىّ بالجارية فجىء بها كأنها فِلقة قمر ! وبيدها عودها ووضع لها كرسىّ، فجلستْ، فقال عبد الملك : مرها يا غلام ! فقال لها : يا جارية، غنينى بشعر قيس بن ذَرِيح :

لقد كنتِ حَسْبَ النفسِ، لودام ودنا * ولكنما الدنيا متاع غُرورِ!
وكُنَّا جميعًا قبل أن يَظْهرَ الهوى * بأنعَمِ حالَىْ غبطةٍ وسُرورِ
فما بَرِح الواشُونَ حتّى بدَتْ لنا * بُطُونُ الهوى مقلوبةً لظُهورِ

فغنّت . فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب تخريقا ، ثم قال له عبد الملك : مرها تغنك الصوت الثانى! فقال : غنينى بشعر جميل :

ألا ليتَ شِعْرِى ! هل أَبِيتَنَّ ليلةً * بوادى القُرى؟ إنى إذًا لَسعيدُ!
إذا قلتُ : مابِى يابُثَينةُ قاتِلِى * من الحُبِّ! قالت: ثابتٌ ويَزِيدُ!
٥ وإن قلتُ : رُدِّى بعضَ عقلِى أعِشْ بِه * مع الناس ! قالتْ : ذاكَ مِنكَ بَعِيدُ!
فلا أنا مردُودٌ بما جئتُ طالِبًا، * ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ!
يموتُ الهوى منِّى إذا ما لقيتُها، * ويَحْيا إذا فارقتُها فيعُودُ!

فغنته الجارية، فسقط الغلام مغشيًّا عليه ساعة، ثم أفاق، فقال له عبد الملك: مرها فلتغنك الصوت الثالث! فقال ياجارية! غنينى بشعر قيس بن الملوح :

١٠ وفى الحِيرةِ الغادينَ من بَطْنِ وَجْرةٍ * غزالٌ غَضِيضُ المُقْلتيْنِ رَبِيبُ .
فلا تحسَبِى أن الغَرِيبَ الذى نأى، * ولكنَّ من تَنْأَيْنَ عنه غَرِيبُ!

فغنته الجارية فطرح نفسه من المستشرَف، فتقطع قبل وصوله إلى الأرض . فقال عبد الملك : ويحه! لقد عجَّل على نفسه! ولقد كان تقديرى فيه غيرَ الذى فعل! وأمر بإخراج الجارية عن قصره، فأُخرجت . ثم سأل عن الغلام فقالوا : غريب، ١٥ لا يعرف إلا أنه منذ ثلاث ينادى فى الأسواق، ويده على رأسه :

غَدًا يكثُر الباكُونَ منا ومِنكُمُ، * وتَزْدادُ دارِى مِنْ دِيارِكُمْ بُعْدَا!

وحكى أن مثل هذه الحكاية جرت فى مجلس سليمان بن عبد الملك .

حكى عن أبى عثمان الجاحظ أنه قال : قعد سليمان بن عبد الملك يوما للمظالم وعُرِضتْ عليه القِصَص فمرّت به قصة فيها : إنْ رأى أمير المؤمنين أن يُخرج إلىَّ فلانة

(إحدى جواريه) حتّى تغنيني ثلاثةَ أصوات، فعل . فاْغتاظ سليمان وأمر أن يؤتى برأسه . ثم أتبع الرسول برسول آخر فأمره أن يدخلَ الرجلَ إليه . فلمـا مثل بين يديه، قال له : ما الذى حملك على ما صنعتَ؟ فقال : الثقة بحلمك، والاتكال على عفوك ! فأمره بالجلوس، فجلس حتى لم يبق من بنى أمية أحد . ثم أمر بإخراج الجارية فأخرجت ومعها عود ، ثم قال : آخترْ ! فقـال : تغنى لى بقول قيس بن الملوّح :

تَعلَّق رُوحِى رُوحَها قبْـلَ خَلْقِنا * ومن بَعْـدِ أنْ كُنَّا نِطَافًا وفى المَهْدِ !

فعَـاشَ كما عِشْـنا فأصبح ناميًا، * وليس ـ وإن متْنا ـ بمنقصِفِ العَهْدِ.

يكاد فَضِيض الماء يَخْدِشُ جلْدَها، * اذا آغتسلت بالمـاء من رقَّة الجِلْدِ.

وإنّى لَمُشْـتاق إلى رِيح جَيْبِها، * كما آشتاقَ إدريسٌ إلى جنّة الخُلْدِ!

فغنت . ثم قال: تأمر لى برطل . فأمر له به فشربه. ثم قال: تغنى بقول جميل :

عَلِقتُ الهوى منها وَلِيدًا، فلم يَزلْ * إلى اليـوم يَنْمِى حبُّها ويَزِيدُ.

وأفنيتُ عُمْرِى فى آنتظار نَوالِهـا * وأبْلَيْتُ فيها الدَّهرَ وهو جَديدُ.

فلا أنا مردودٌ بمـا جئتُ طالبًا، * ولا حُبُّهـا فيما يَبِيـد يَبِيـدُ.

إذا قلتُ : ما بى يابُثينـةُ قاتِـلِى * من الحُبِّ! قالت: ثابت ويَزِيدُ.

وإن قلتُ: ردّى بعضَ عَقْلِى أعِشْ به * مع الناس! قالتْ: ذاكَ منكَ بعيدُ.

فغنَّت، فقال له سليمان : قل ما تريد؟ قال: تأمر لى برطل، فأمر له به فشربه. ثم قال : تغنى بقول قيس بن ذريح :

"لقد كنت حَسْبَ النفس" الأبيات

فغنت . فقال له سليمان : قل ما تشاء ! قال : تأمر لى برطل ! فأمر له به ، فما آستتمه حتّى وثب فصعد إلى أعلى قبة ثم زَجّ نفسه على دماغه فمات . فاسترجع سليمان وقال : أتُراه توهّم الجاهلُ أنى أخرج إليـه جاريتى وأردّها إلى ملكى؟ ياغلام خذ بيدها فآنطلق بها إلى أهله إن كان له أهل ، وإلا فبيعوها وتصدّقوا بثمنها عنه .
٥ فلما آنطلقوا بها ، نظرتْ إلى حفرة فى الدار قد أُعِدّت للمطر ، فجذبت يَدَها من أيديهم وأنشأت تقول :

مَنْ ماتَ عِشْقا فليمُتْ هكذا ! .. لاخَـيْرَ فى عشْق بلا مَوْتِ !

وزجت نفسها فى الحفرة على دماغها . فماتت .

وقد حكى أيضا مثل هذه ، وأنها وقعت للرشيد .

١٠ روى عن أبى بكر محمد بن علىّ المخزومىّ قال : آشتريتُ للرشيد جاريةً مدنية . فأُعْجِبَ بها وأمر الفضلَ بن الربيع أن يبعث فى حَمْل أهلها ومواليها لينصرِفوا بجوائزها . وأراد بذلك تشريفها . فوفد إلى مدينة السلام ثمانون رجلا ، ووفد معهم رجل من أهل العراق آستوطن المدينة كان يهوى الجاريةَ . فلما بلغ الرشيدَ خبرُ مَقْدَمِهم أمر الفضلَ أن يخرج إليهم ليكتب آسمَ كل واحد منهـم وحاجتَه ، ففعل . فلما بلغ إلى العراقىّ
١٥ قال : ماحاجتك؟ قال له : إن أنت كتبتَها وضمنت لى عَرْضَها مع ما يُعرَض ، أنبأتك بها . فقال : أفعلُ ذلك . فقال : حاجتى أن أجاس مع فلانة حتّى تغنّينى ثلاثة أصوات وأشربَ ثلاثةَ أرطال ، وأخبرها بما تُجِنّ ضُلوعى من حبها ! فقال الفضل : أنت مُوَسْوس مدخُول عليك فى عقلك ! فقال : ياهذا ، قد أُمِرتَ أن تكتب ما يقول كلُّ واحد منا فآكتب ما أقول وآعرضه ، فإن أُجبت إليـه وإلا فأنت فى أوسع العذر . فدخل
٢٠ الفضل مغضَبا فوقف بين يدى الرشيد . وقرأ عليه ما كتب من حوائجهم . فلما فرغ

قال : يا أمير المؤمنين فيهم واحد مجنون ! سأل ما أُجِلُّ مجلس أمير المؤمنين عن التفوّه به .
فقال : قل، ولا تجزَعنّ ! فقال : قال كذا وكذا . فقال : آخرج إليه، وقل له «إذا كان
بعد ثلاث، فآحضُرْ ليُنجزَ لك ما سألت» . وكن أنت متولّيَ الاستئذان له . ثم دعا بخادم
فقال له : آمض إلى فلانة فقل لها : حَضَر رجل يذكر كذا وكذا وقد أجبناه إلى ما سأل
فكُونِى على أُهْبة . وخرج الفضل إلى الرجل وأخبره بما قال الرشيد، فانصرف وجاء ٥
فى اليوم الثالث . فعرّف الفضل الرشيد خبره فقال : يُوضَع له بحيث أرى كرسىٌّ
من فضة، وللجارية كرسىٌّ من ذهب ! وليُخرَج إليه ثلاثة أرطال ! ففعلوا ذلك وجاء
الفتى فجلس على الكرسىّ، والجارية بإزائه، فجعل يحدّثها والرشيد يراهما، فقال له (٥٨)
الخادم : لم تُدْخَل فتشتُو وتُصيِّف ! فأخذ رطلا وخرّ ساجدا، وقال : إن شئت
أن تغنِّى فغنِّى :

خَليلىَّ عُوجَا ! بارك اللهُ فيكما ... وإن لم تكُنْ هندٌ بأرضكما قصْدا !
وقُولَا لها : ليس الضلالُ أجازَنا ... ولكنّما جُزْنا لنَلْقاكُمَا عَمْدا !
غدًا يَكْثُر الباكُون منا ومنكمُ ... وتَزْدادُ دارِى من دِيارِكمُ بُعْدا !

فغنت . فشرب الرطل . وحادثها ساعة . فآستحثه الخادم فأخذ الرطلَ بيده وقال :
غنى جعلنى الله فداءك ! ٥

تَكَلَّمُ منّا فى الوُجوه عُيونُنا ... فنحنُ سُكوتٌ والهوى يتَكَلَّمُ !
ونغضَبُ أحيانًا ونَرضى بطَرْفنا ... وذلكَ فيما بيْنَنا ليس يُعْلَمُ !

فغنته وشرب الرطل الثانى وحادثها ساعة . وآستعجله الخادم فخرّ ساجدا يبكى
وأخذ الرطل بيده وآستودعها الله وقام ودموعه تستبق آستباق المطر وقال : إذا شئت
أن تغنِّى فغنِّى .

أحسَنَ ما كُنّا تفرّقْنا . وخانَنا الدّهْرُ وما خُنّا !

فليتَ ذا الدّهرَ لنا مَرّةً . عادَ لنا الدّهرُ كما كُنّا !

فغنته الصوتَ ، فقلّب الفتى طرفه فبَصُر بدرجة فى الصحن ، فأمّها . فاتبعه الخدم لِيَهْدُوه الطريقَ ، ففاتهم وصعد الدرجة فألقى نفسه إلى الأرض على رأسه فمات . فقال الرشيد : عجّل الفتى ! ولو لم يعجّل لوهبتُها له !

* * *

وممن خاطر بنفسه فى هواه وعَرّضها للتلف فنجا ونال خيرا ، ما حكاه ابن الجوزى بسند يرفعه إلى أبى الفرج أحمد بن عثمان بن إبراهيم الفقيه المعروف بابن النرسى قال : كنت جالسا بحضرة أبى ، وأنا حَدَث ، وعنده جماعة . فحدّثنى حديث وصول النعم إلى الناس بالألوان الظريفة . وكان ممن حضر صديق لأبى ، فسمعته يحدّث أبى ، قال : حضرت عند صديق لى من التجّار — كان يتّجِر بمائة ألف دينار — فى دعوة ، وكان حسن المُروءة ، فقدّم مائدة وقدّم عليها ديكريكة[1] فلم يأكل

(١) فى الباب الثانى الخاص بالحوامض من كتاب "صفة الأطعمة" الموجود منه نسخة فتوغرافية بدار الكتب المصرية ما نصه :

«ديكبريكة : يقطّع اللحم وسطا ويترك فى القدر ويلقى عليه يسير ملح وكف حمص مقشور وكسفرة يابسة ورطبة وبصل مقطع وكراث ويصرح عليه خل . . ويغلى ثم تؤخذ رغوته ويلقى عليه شيرج يسير وخل خمر ومرى ويلقى عليه قليل فلفل مسحوق ناعم ويطبخ حتى يتبين نضجه . ومن الناس من يحليه بقليل سكر وإذا نضجت صرح فيه أطراف طيب مع فلفل وكزبرة يابسة وتترك حتى تهدأ وترفع» انتهى .

والظاهر أن صواب اللفظ (ديكبرديكة) ثم اختصر أو حرف إلى ديكبريكة وديكريكة لأن لدى فى المعاجم الفارسية (ديك برديك) معنى (ديك) قدر و (بر) فوق وعلى ، فيكون المراد قدر فوق قدر . وتقول هذه المعاجم إن هذا النوع المزدوج يستعمل لأعمال التصعيد والتقطير . ولا يبعد أن يكون هذا الطعام مما يحتاج فى صنعه إلى طبخه فى وضع قدره على قدر أخرى فمن ثم [illegible] وسمى الطعام باسم وعائه اهـ .

أفادنيه حضرة صاحب السعادة العلامة أحمد تيمور باشا .

منها، فامتنعنا. فقال : كلوا! فإنى أتأذّى بأكل هذا اللون. فقلنا : نساعِدُك على تركه.
قال : بل أساعدكم على الأكل، وأحتمل الأذى! فأكل وأكلنا، فلما أراد غسل
يده أطال . فعددت عليه أنه قد غسلها أربعين مرة . فقلت : ياهذا، وسوستَ!
فقال: هذه الأذية التى قرفت منها! فقلتُ: وما سببها؟ فامتنع من ذكر السبب، فلما
ألححتُ عليه ، قال : مات أبى وسنى عشرون سنة ، وخلّف لى نعمة وفيرة ورأس ٥
مال ومتاعا فى دكانه. فقال لمـا حضرته الوفاة : يابُنَىّ! إنه لا وارثَ لى غيرك، ولا دَيْن
علىّ ولا مَظْلِمةَ. فإذا أنا مِتُّ فأحسِنْ جهازى وتصدّق عنى بكذا وكذا، وأخرج عنى
حَجّة بكذا، وبارك الله لك فى الباقى! ولكن آحفظ وصيتى! فقلت: قُلْ! قال: لا تسرف
فى مالك، فتحتاجَ إلى ما فى أيدى الناس فلا تجده. وآعلم أن القليل مع الإصلاح كثير،
والكثير مع الفساد قليل . فآلزم السُّوقَ وكن أوّل من يدخلها، وآخِرَ من يخرج منها. ١٠
وإن آستطعت أن تدخلها سَحَرا بليل فافعل، فإنك تستفيد بذلك فوائد تكشفها لك
الأيام، ومات. فأنفذتُ وصيته، وعملتُ بمـا أشار به. وكنت أدخُل السوق سَحَرا،
وأخرج منها عِشاء. فلا أعدَمُ مَن يجىء يطلب كفنا فلا يجد من قد فتح غيرى فأحتكم
عليه، ومَن يبيع شيئا والسوق لم تقم فأبتاع منه، وأشياء من هذه الفوائد. ومضى علىّ
ســنة وكسر، فصار لى بذلك جاه عند أهل السوق وعرفوا آســتقامتى وأكرمونى . ١٥
فبينا أنا جالس يوما ولم تتكامل السوق، وإذا بامرأة راكبة حمارا مصريا وعلى كفله
منديل دبيقىّ[1] ومعها خادم وهى بزىّ القهارمة. فبلغت آخر السوق ثم رجعت، فنزلت
عندى . فقمت إليها وأكرمتها، وقلت : ما تأمرين؟ وتأملتها فإذا بآمرأة لم أر قبلها

---

(١) دبيق (بالباء الموحدة ثم الياء) مدينة كانت بالقرب من دمياط وكانت مشهورة بنفائس المنسوجات
التى تعرف بآسمها . ٢٠

ولا بعدها إلى الآن أحسن منها فى كل شىء . فتكلمتْ وقالت : أريد كذا وكذا (ثيابا طلبتْها) . فسمعت نغْمة ورأيت شكلا قتلنى فعشِقْتها فى الحال أشدّ عشق ، وقلت : اصبرى حتى يخرج الناس ، فآخذ ذلك لك فليس عندى إلا القليل مما يصلح لك . وأخرجت الذى عنـدى وجلستْ تحادثنى ، وكأن السكاكين فى فؤادى من عشقها . وكشفت عن أنامِل رأيتها كالطَّلْع ، ووجه كدارة القمر . فقمتُ لئلا يزيد علىّ الأمر ، وأخذتُ لها من السوق ما أرادتْ ، وكان ثمنـه مع مالى نحو خمسمائة دينار ، فأخذتْهُ وركبتْ ولم تعطنى شيئا . وذهب عنى لمـا تداخلنى من حبها أن أمنعها من المتاع إلا بالمال ، وأن أستدل على منزلها ومِن دار مَن هى ؟ فحين غابت عنى ، وقع لى أنها محتالة وأن ذلك سبب فقرى . فتحيرتُ فى أمرى وكتمتُ خبرى ، لئلا أفتضح بما للناس علىّ . وأجمعتُ على بيع مافى يدى من المتاع وإضافته إلى ما عندى من الدراهم وأدفع أموال الناس إليهم ولزوم البيت والاقتصار على غلة العقار الذى ورثتُه . وأخذتُ أشرع فى ذلك مدة أسـبوع ، وإذا بها قد أقبلتْ ونزلتْ عندى . فحين رأيتُها أُنسيتُ جميع ماجرى علىّ ، وقمت إليها . فقالت : يافتى . تأخرنا عنك لشُغُل عرض لنا . وماشككنا فى أنك لم تشك أنا احتلنا عليك ، فقلت : قد رفع الله قدرَكِ عن هذا ! فقالت . هاتِ التخت والطيار (١) ، فأحضرته . فأخرجت دنانير عُتُقا . فوفتنى المـال بأسره . وأخرجت تذكرة بأشياء أُخَر . فأنفذتُ إلى التجّار أموالهم وطلبتُ منهم الذى أرادت . وحصَّلتُ أنا

---

(١) فى شرح المقامات الحريرية للمطرزى المسمى بالإيضاح فى تفسير قول الحريرى فى المقامة الثانية والأربعين « ثم اعتضد عصا التَّسيار وأنشد ملغزا فى العيار .

وذى طيشة شقه مائل وما عيبه بهما عاقل »

ما نصه : « العيار معيار الذهب لأنه على شكل الفرزدق وقيل هو ميزان لا لسان له » أفادنيه حضرة صاحب السعادة العلامة أحمد تيمور باشا .

فى الوسط ربحا جيدا. وأحضر التُّجّار الثياب فقمتُ وثمنتها معهم لنفسى. ثم بعتها عليها
بربح عظيم، وأنا فى خلال ذلك أنظر إليها نظر من تألّف حبها، وهى تنظر إلىّ نظر مَن
فَطِنَتْ بذلك ولم تنكره. فهمَمْت بخطابها ولم أقدر عليه. وجمعت المتاع فكان ثمنه
ألف دينار، فأخذتُه، وركبت ولم أسألها عن موضعها. فلما غابت عنى، قلتُ: هذه الآن
الحيلة المحكَمَة! أعطتنى خمسمائة دينار وأخذت ألف دينار، وليس إلا بيعُ عقارى ٥
الآن، والحصولُ على الفقر! وتطاولت غيبتها عنى نحو شهر. وألحّ التجّار علىّ
بالمطالبة، فعرضتُ عقارى على البيع، ولازمنى بعضُ التجّار فوزنت جميع ما كنت
أملكه وَرِقا وعَيْنا. فبينا أنا كذلك، إذ نزلت عندى. فزال عنى جميعُ ما كنت فيه
برؤيتها. وآستدعت الطيّار والتخت، فوزنت المـال ورمت إلىّ تذكرة يزيد ما فيها
على ألفى دينار بكثير. فتشاغلتُ بإحضار التجّار ودفع أموالهم إليهـم وأخْذِ المتاع ١٠
منهم، وطال الحديث بيننا. فقالت لى: يافتى، ألك زوجةٌ؟ فقلت: لا، والله
ما عرفت آمرأة قط، وأطمعنى ذلك فيها، وقلت: هذا وقت خطابها، والإمساكُ
عنها عجزٌ، ولعلها تعود أو لا تعود. وأردت كلامها فهِبْتُها. وقمتُ كأنى أحُثُّ التجار
على جمع المتاع. وأخذتُ يد الخادم وأخرجتُ إليه دنانير وسألته أن يأخذها ويقضى
لى حاجة. فقال: أفعل، فقصصتُ عليه قصتى وسألتُه توسط الأمر بينى وبينها. ١٥
فضحك وقال: والله إنها لك أعشق منك لهـا! ووالله ما بها حاجة إلى أكثر هذا
الذى تشتريه، وإنما تأتيك محبةً لك وطريقا إلى مطاولتك، فخاطِبها ودعنى، بحَسّرنى
على خطابها فخاطبتها وكشفت لها عشقى ومحبتى وبكَيْت، فضحكتْ. وتقبلت ذلك
أحسن قبول. وقالت: الخادم يأتيك برسالتى. ونهضَتْ ولم تأخذ شيئا مـن
المتاع. فرددتُه على أصحابه. وحصل لى ممـا آشتريته أوّلا وثانيا ألوفُ دراهم ربحًا، ٢٠

ولم أعرف النوم فى تلك الليلة شوقا إليها، وخوفا من آنقطاع السبب بيننا. فلما كان بعد أيام جاءنى الخادم، فأكرمتُه وسألتُه عن خبرها، فقال: هى والله عليلة من شوقها إليك، فقلت: آشرحْ لى أمرها، فقال: هذه مملوكة السيدة أم المقتدر وهى من أخص جواريها، وآشتهت رؤيةَ الناس والدخول والخروج. فتوصلتُ حتَّى جعلتها قَهْرَمَانة. وقد والله حدّثت السيدةَ بحديثك وبكت بين يديها وسألتها أن تزوجها منكَ، فقالت السيدة: لا أفعل أو أرى هذا الرجل. فإن كان يستأهلك وإلا لم أَدَعْك ورأيَك. وتحتاج أن تحتال فى إدخالك الدار بحيلة، فإن تمت وصلت بها إلى تزويجك بها، وإن آنكشفت ضرب عنقك. وقد أنفذتنى إليك فى هذه الرسالة، وقالت لك: إن صبرتَ على هذا، وإلا فلا طريق لك والله إلىّ، ولا لى إليك بعدها! فحملنى ما فى نفسى أن قلت: أصبِرُ، فقال: إذا كانت الليلة فاعبر إلى المخرم، وآدخل إلى المسجد، وبت فيه. ففعلت ذلك. فلما كان وقت السَّحَر، إذا بطيار(١) قد قدم، وخدم قد رفعوا صناديق فراغا. فجعلوها فى المسجد وآنصرفوا. وخرجت الجارية فصَعدت إلى المسجد، والخادمُ معها. فجلستْ وفرقتْ باقى الخدم فى حوائج، وآستدعَتْنى فعانقَتْنى وقبلَتْنى. ولم أكن نِلْتُ ذلك منها قبله. ثم أجلستنى فى بعض الصناديق وأقفلته. وطلعت الشمس وجاء الخدم بثياب وحوائج من المواضع التى كانت أنفذتهم إليها. فجعلت ذلك بحضرتهم فى باقى الصناديق، وأقفلتها. وحُملت إلى الطيار وآنحدر. فلما حصلت فيه ندمت وقلتُ: قتلت نفسى لشهوة. وأقبلت أَلُومها تارةً، وأشجِّعها وأمنِّيها أخرى. وأنذر النُّذور على خلاصى، وأوطِّن مرة نفسى على القتل إلى أن بلغنا الدار. وحمل الخَدَمِ الصناديقَ، وحمل صندوقى

(١) أى زورق من الزوارق الخفيفة.

الخادم الذى يعرف الحديث ، وبادر به أمام الصناديق وهى معى ، والخدم يحملون
بقيتها . وكلما جازت بطائفة من الخدم والبوّابين، قالوا : نريد أن نفتّش الصندوقَ،
فتصيح عليهم وتقول: متى جرى الرسم معى بهذا؟ فيمسكون عنها ورُوحى فى السِّياق
إلى أن آنتهينا إلى خادم خاطبته هى بالأُستاذ . نعلمت أنه أجل الخَدَم، فقال :
لابدّ من فتح الصندوق الذى معك ، نخاطبته بلين وذل، فلم يجبها . وعلمتُ أنها ٥
ماذَلّت ولها حيلة، فأغمى علىّ. وأنزلوا الصُّندوق ليفتحوه . فبُلْت من شدّة ما نالنى
من الفَزَع، بجرى البول من خلال الصندوق . فصاحتْ: يا أستاذ، أهلكتَ علينا
متاعا بخمسة آلاف دينار فى الصندوق ، ثيابٌ مصبَّغات وماء ورد، وقد آنقلب
على الثياب ، والساعةَ تختلط ألوانها . وهى هلاكى مع السيدة! فقال لها : خذى
صندوقك إلى لعنة الله أنت وهو، مُرِّى ! فصاحت بالخدم : آحملوا، فأُدخلتُ ١٠
الدار ورجعتْ إلىّ روحى ، فبينا نحن كذلك إذ قالت : واويلاه ! الخليفة والله!
فجاءنى أعظم من الأول . وسمعت كلام خدم وهو يقول من بينهم : ويك يا فلانة!
إيش فى صندوقك؟ أرينى هو ، فقالت : ثياب لستى يا مولاى، والساعة أفتحه
بين يديها ، وتراه . وقالت للخدم : أسرِعُوا ويلكم ! فأسرعوا فأدخلتنى إلى الحجرة
وفتحت الصندوق وقالت : آصعد من هذه الدرجة إلى الغُرْفة فاجلس فيها ، ١٥
وفتحت صندوقا آخر فقلبت بعض ما فيه إلى الصندوق الذى كنت فيه، وأقفلت
الجميعَ . وجاء المقتدرُ وقال : آفتحيه، ففتحته، فلم يرشيئا فيه . فصعِدتْ إلىّ
وجعلت تقبلنى وترشُفُنى . ونسيتُ ماجرى. ثم تركتنى، وأقفلَتْ باب الحجرة يومها.
ثم جاءتنى ليلا فأطعمتنى وسقتنى وآنصرفَتْ . فلما كان من غد جاءتنى ، فقالت :
السيدة الساعةَ تجىء، فانظر كيف تخاطبها ، ثم عادت بعد ساعة مع السيدة ، ٢٠

وقالت : آنزل، فنزلت . فإذا بالسيدة جالسة على كرسىّ وليس معها إلا وَصِيفتانِ وصاحبتى . فقبّلْتُ الأرض وقمتُ بين يديها، فقالت : آجلس، فقلت : أنا عبد السيدة وخادمُها ، وليس من محلى أن أجلس بحضرتها ، فتأملتْنى وقالت : ما آخترتِ يافلانة إلا حسن الوجه والأدبِ، ونهضت، فجاءتنى صاحبتى بعد ساعة، وقالت : أبشر، فقد أذِنَتْ لى فى تزويجك،وما بقى الآن عقبة إلا الخروج.

٥

فقلت : يسلم الله ! فلما كان من غَدٍ حملتنى فى الصندوق . فخرجتُ كما دخلتُ بعد مخاطرة أُخرى وفزع ثان . ونزلت فى المسجد ورجعت إلى منزلى، فتصدّقت، وحمدت الله تعالى على السلامة . فلما كان بعد أيام جاءنى الخادم ومعه كيس وفيه ثلاثة آلاف دينار عينا وقال : أمرتنى ستى بإنفاذ هذا إليك من مالها، وقالت : اشتر به ثيابا ومركوبا وخدما، وأصلح به ظاهِرَك، وآحضر يوم الموكب إلى باب العامّة ، وقِفْ حتّى تُطلَب . فقد وافق الخليفة أن يزوجك بحضرته . فأخذتُ المال وأجبتُ عن رُقْعة كانت معه، وآشتريت ما قالوه بشىء يسير منه وبقى الأكثر عندى . وركبتُ إلى باب العامة فى يوم الموكب بِزِىّ حسن . وجاء الناس فدخلوا إلى الخليفة، ووقفتُ إلى أن آستُدْعِيتُ ودخلتُ . فإذا أنا بالمقتدر جالسا والقضاة والقوّاد وغيرهم من الهاشميين . فهِبْتُ المجلس وعُلِّمت كيف أُسَلِّمُ . ففعلت . وتقدّم المقتدر إلى بعض القضاة الحاضرين فخطب لى وزوّجنى . وخرجت من حضرته . فلما آنتهيت إلى بعض الدهاليز، عُدِل بى إلى دار عظيمة مفروشة بأنواع الفُرُش الفاخرة وفيها من الآلات والخدم والقماش مالم أر مثله قطُّ . وآنصرف من أدخلنى . فجلستُ يومى لا أقوم إلا إلى الصلاة . وخدمٌ يدخلون وخدم يخرجون. وطعام عظيم ينقل وهم يقولون : الليلة تُزَف فلانة آسم صحبتى إلى زوجها البزّاز،

١٠

١٥

٢٠

وأنا لا أصدّق فرحا . فلما جاء الليل أثَّـرَ فىّ الجوع وأُقفلتِ الأبوابُ ، ويئستُ من الجـارية ، فقمت أطوف الدار فوقعت على المَطْبَخ . ووجدت الطبـاخين جُلُوسًا فاستطعمتهم فلم يعرِفُونى وقدّرونى بعض الوكلاء . فقدّموا إلىّ هـذا اللون مع رغيفين فأكلتهما وغسلت يدى بأشنان كان فى المطبخ وقدّرت أنها قد نقيت . وعدت إلى مكانى . فلمـا جنّ الليل إذا طبول وزمور وأصـوات عظيمة، وإذا أنا بالأبواب قد فُتِّحت وصاحبتى قد أُهْدِيت إلىّ وجاءوا بها فجلوها علىّ، وأنا أقدّر أن ذلك فى النوم . ثم تُرِكتْ معى فى المجلس . وتفرّق ذلك البَوْش . فلما خلونا، تقدّمْتُ إليها فقبلتها وقبلتنى . فلما شمّت رائحة لحيتى، رفَسَتْنى فرمت بى عن المِنَصّة وقالت : أنكرتُ والله أن تُفلِح ياعامىّ، ياسَفِلة ، وقامت لتخرج. فقمت وعَلِقت بهـا وقبلتُ الأرض ورجلَيْها ، وقلت : عرفينى ذنبى وأعملى بعـده ما شئت ، فقالت : ويحك ، أكلت ولم تغسِلْ يدك ! فقصصت عليها قصتى، فلمـا بلغت إلى آخرها قلتُ : علىّ وعلىّ — وحلفتُ بطلاقها وطلاق كل آمرأة أتزوّجها وصدقة مالى وجميع ما أملكه والحجِّ ماشيا على قدمىّ وكلِّ مايحلف به المسلمون — لا أكلتُ بعدها ديكبريكة إلا غسلتُ يدى أربعين مرة . فآستحيتْ وتبسمتْ وصاحت : ياجوارى ! فجـاء مقدار عشر جوار ووصائف ، فقـالت : هاتوا شيئا نأكل ، فقُدّمتْ ألوان ظريفـة وطعام من أطعمة الخلفاء . فأكلنا وغسلنا أيدينـا . وآسـتدعت شرابا فشربْنا وغنّى أولئك الوصائفُ أطيبَ غِنـاء وأحسنَه، ثم قمنـا إلى الفراش فخلوتُ بها وبتُّ بأطيبِ ليلة ، ولم نفترق أسبوعا . وكانت يوم الأسبوع وليمةٌ عظيمة اجتمع فيه الجوارى . فلما كان من الغد ، قالت لى : إن دار الخلافة لاتحتمل المُقامَ فيها أكثر من هذا مع جارية غيرى، لمحبة سيدتى لى . وجميع ما تراه

فهو هبة من السيدة لى . وقد أعطتنى خمسين ألف دينار من عين وورق وجوهر .
ولى ذخائر فى خارج القصر كثيرةٌ من كل لون . وجميعها لك، فاخرج إلى منزلك،
وخذ معك مالا وآشتر دارا سَرِيّةً واسعةَ الصحن ، فيها بستان ، كثيرةَ الحُجَر .
وتحوّل إليها، وعرفنى لأنقل إليها هذا كله، ثم آتيك ، وسلمت إلىّ عشرة آلاف
دينار عينا . فخرجت وآبتعتُ الدار وكتبتُ إليها بالخبر . فحملت إلىّ تلك النعمة
بأسرها . بجميع ما أنا فيه منها، فأقامت عندى كذا وكذا سنة أعيش معها عيش
الخلفاء . ولم أدع مع ذلك التجارةَ . فزاد مالى وعَظُمت منزلتى وأثْرَتْ حالى،
وولدتْ لى هؤلاء الفتيان وما لى أولاده . ثم ماتت (رحمها الله) وبقى علىّ من مضرّة
الديكبريكة ما شاهدتَه .

وبالجملة فلا يغترّ أحد بهذه الحكاية وأمثالها، فيجهل بنفسه فيهلكها. "فما المُغَرِّر
محمودٌ وإن سَلِمَ" .

* *
*

وأما من كفر بسبب العشق فكثير جدّا لا يحصرون . وممن ورد
فى ذلك حكاية عجيبة أوردتها لغرابتها وهى مما حكاه ابن الجوزى فى كتابه المترجم
"بذم الهوى" قال :

سمعت شيخنا أبا الحسن علىّ بن عبد الله الزعفرانى يحكى أن رجلا اجتاز
بباب آمرأة نصرانية، فرآها فهوِيَها من وقته، وزاد الأمرُ به حتّى غلب على عقله،
فحمل إلى البيمارستان . وكان له صديق يتردّد إليه ويترسّل بينه وبينها . ثم زاد
الأمر به . فقالت أمّه لصديقه : إنى أجىء إليه فلا يكلمنى . فقال . تعالى معى .

فأتت معه . فقال له : إن صاحبتك بعثت إليك رسالة ، قال : كيف ؟ قلتُ : هذه أمك تؤدّى رسالتها . فجعلت أمه تحدّثه عنها بشىء من الكذب. ثم زاد الأمر عليه ونزل به الموت ، فقال لصديقه : قد جاء الأجل وحان الوقت وما لقيت صاحبتى فى الدنيا، وأنا أريد أن ألقاها فى الآخرة . فقال له : كيف تصنع ؟ قال : أرجع عن دين محمد ، وأقول عيسى ومريم والصليب الأعظم . فقال ذلك ومات .

فمضى صديقه إلى تلك المرأة فوجدها عليلة فجعل يحدّثها ، وأخبرها بموت صاحبها ، فقالت : أنا ما لقيته فى الدنيا وأنا أريد أن ألقاه فى الآخرة . وأنا أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وأنا بريئة من دين النصرانية . فقام أبوها فقال للرجل : خذوها الآن فإنها منكم، فقام الرجل ليخرجَ، فقال له : قِف ساعة؛ فوقف، فما لبث أن ماتت .

قال : وبلغنى عن رجل ببغداد (يقال له صالح المؤذن، أذّن أربعين سنة، وكان يُعرَف بالصلاح) أنه صعد يوما إلى المنارة ليؤذن فرأى بنت رجل نصرانىّ كان بيته إلى جانب المسجد. فافتتن بها، فجاء فطرق الباب فقالت له : من أنت؟ قال : أنا صالح المؤذن. ففتحت له الباب فدخل وضمها إليه، فقالت : أنتم أصحاب الأمانات، فما هذه الخيانة ؟ فقال : إن وافقتينى على ما أريد وإلا قتلتك ، فقالت : لا، إلا أن تترك دينك، فقال كلمة الكفر وبرئ من الإسلام . ثم تقدّم إليها فقالت : إنما قلتَ هذا لتقضى غرضك ثم تعود إلى دينك. فكل من لحم الخنزير، فأكل منه، قالت : فاشرب الخمر، فشرب . فلما دبَّ الشرابُ فيه دنا منها فدخلت بيتا وأغلقت بينها وبينه

الباب، وقالت له : اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوّجني منك . فصعد فسقط فمات . فخرجت إليه ولفته في مِسْح . وجاء أبوها فقصت عليه القصةَ فأخرجه في الليل ورماه في السكة . وظهر حديثه، فرُمى على مَزْبلة .

* * *

وأما من قَتَلَ بسبب العشق فلا يكاد ذلك يحصر كثرةً، وأعظمه وأشدّه واقعة عبد الرحمن بن مُلجم المرادىّ، لعنه الله .

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لابن عمه علىّ بن أبي طالب كرم الله وجهه : "يا علىّ أشقى الأوّلين عاقر ناقة صالح، وأشقى الأوّلين والآخرين قاتلك. وهو هذا" وأشار إلى ابن ملجم قبحه الله تعالى ولعنه، وأوجب له خزيه ومقته وعذابه، وذلك نكالا لما اجترأ عليه في قتله أمير المؤمنين علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه . وذلك أن ابن ملجم قبحه الله رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قَطَامِ . كانت من أجمل النساء وكانت ترى رأيَ الخوارج، وقد قتل علىّ رضى الله عنه قومها يوم النَّهروان. فلما رآها ابن ملجم عَشقها فخطبها فقالت : لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة، وأن تقتل علىّ بن أبي طالب . فحمله العشق على أن خسر الدّنيا والآخرة، وتزوّجها على ذلك . وكان من خبره في قتل علىّ رضى الله عنه ما نذكره إن شاء الله تعالى في التاريخ .

وفي ذلك يقول الشاعر :

فَلَمْ أَرَ مَهْرا ساقه ذُو سَمَاحةٍ ... كَمَهْر قَطَامِ بَيِّنا غَيْرَ مُعْجَمِ .

ثلاثةُ آلافٍ، وعبدٌ، وقينةٌ، ... وضربُ "علىٍّ" بالحُسَامِ المُصَمَّمِ .

فلا مَهْرَ أغلى من "علىٍّ" وإن غَلَا ... ولا فَتْكَ إلا دُونَ فَتْكِ ابنِ مُلْجَمِ !

ومنهم من حمله العشق على قتل أبيه . وهو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن آبن مروان بن عبد الرحمن الناصر، ويعرف هذا "بالطليق". كان يتعشق جارية كان أبوه قد رَبّاها معــه وذكر أنها له، ثم استأثر بها وخلا معها . فحمله العشق على أن آنتضى ســيفا ورَصَد أباه فى بعض خلواته بها فقتله. فسجنه المنصور بن أبى عامر سنين، ثم أطلقه . فلُقِّب "بالطَّلِيق" وآعتراه من ذلك شــبه الجنون فكان يُصْرَع فى بعض الأوقات .

*

وأما من قُتل بسبب العشق، فروى عن الشعبىّ قال : دخل عمرو بن معديَكرِب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال له عمر : ياعمرو، أخبرنى عن أشجع مَن لَقِيت، فقال : نعم يا أمير المؤمنين .

خرجت مرة أريد الغارة . فبينا أنا أســير إذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز، وإذا رجل جالس، وهو كأعظم ما يكون من الرجال خلقــا، وهو محتب بسيف . فقلت له : خذ حِذْرَكَ فإنى قاتلك، فقــال : ومَن أنت ؟ قلت : أنا عمرو بن معديكرب، فشهق شهقة فمات .

فهذا أجبن من رأيت يا أمير المؤمنين .

وخرجت يوما حتّى آنتهيت إلى حىّ . فإذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز وإذا صاحبه فى وهدة يقضى حاجةً . فقلت : خذ حِذْرك فإنى قاتلك، قال : مَن أنت؟ قلتُ : أنا عمرو بن معديكرب، قال : أبا ثور، ما أنصفتنى، أنت على ظهر فرسك، وأنا فى بئر، فأعطنى عهدا أنك لا تقتلنى حتى أركب فرسى وآخذ حِذرى، فأعطيتُه عهدا أنْ لا أقتله حتى يركب فرسه و يأخذ حذره . فخرج من الموضع الذى كان فيه

حتى آحتبى بسيفه وجلس . فقلتُ له : ماهذا ؟ فقال : ما أنا براكب فرسى ولا بمقاتلك ، فإن نكثت عهدك فانت أعلم ، فتركته ومضيت .

فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت !

ثم إنى خرجتُ يوما آخر حتّى آنتهيتُ إلى موضع كنت أقطع فيه . فلم أر أحدا فأجريتُ فرسى يمينا وشمالا فظهر لى فارس . فلمــا دنا منى إذا هو غلام قد أقبــل من نحو اليمــامة . فلمــا قَرُبَ منى سلّم فرددت عليه وقلت : مَن الفتى ؟ قال أنا الحارث بن سعد ، فارس الشهباء ، فقلت له : خذ حِذرك ، فإنى قاتلك فقال : الويل لك ! مَن أنت؟ قلت : أنا عمرو بن معديكرب ، قال : الحقير الذليل؟ والله ما يمنعنى من قتلك إلا آستصغارُك ، فتصاغرتْ نفسى إلىّ وعظُم عنـدى ما آستقبلنى . فقلت له : خذ حذْرك ، فوالله لاينصرفُ إلا أحدنا ، قال : أغرب ، ثكلتك أمُّك ! فإنى من أهل بيت ما نَكَلْنا عن فارس قط ! فقلتُ : هو الذى تسمع ، قال : آختر لنفسك ، إما أن تُطْرِد لى ، وإما أن أُطْرِد لك ، فاغتنمتها منه ، فقلت : أطرد لى ، فأطردَ وحملتُ عليه ، حتى إذا قلتُ إنى وضعت الرمح بين كتفيه ، إذا هو قد صار حزاما لفرسه ، ثم آتبعنى فقرع بالقناة رأسى ، وقال : ياعمرو ، خذها إليك واحدة ، فوالله لولا أنى أكره قتل مثلك لقتلتُك ، فتصاغرتْ إلىّ نفسى . وكان الموت والله يا أمير المؤمنين أحبَّ إلىّ ممــا رأيت ، فقلتُ : والله لا ينصرف إلا أحدنا ، فقال : آختر لنفسك ، فقلت : أطردْ لى ، فاطرد لى . فظننت أنى قد تمكنت منه وآتبعته حتّى إذا ظننت أنى قد وضعت الرمح بين كتفيه ، فإذا هو قد صار لببا لفرسه ، ثم آتبعنى فقرع رأسى بالقناة وقال : ياعمرو ، خذها إليــك آثنتين ، فتصاغرتْ إلىّ نفسى فقلت : والله لا ينصرف إلا أحدنا ، فقال : آختر لنفسك ، فقلت : أطرد

لى، فاطرد حتّى إذا قلت إنى وضعت الرمح بين كتفيه وثب عن فرسه فإذا هو على الأرض، فأخطأته ومضيتُ،فاستوى على فرسه وآتبعنى فقرع بالقناة رأسى وقال: يا عمرو، خذها إليك ثالثة ، ولولا أنى أكره قتل مثلك لقتلتُك ، فقلتُ له : آقتلنى ، فإن الموت أحب إلىّ مما أرى بنفسى وأن تسمع فِتيانُ العرب بهذا ، فقال يا عمرو : إنما العفو ثلاث، وإنى إن آستمكنت منك الرابعة قتلتك، ٥
وأنشأ يقول :

وَكِّدتُ أغلاظا من الأَيْمانِ ... إن عُدْتَ ياعمرو إلى الطِّعان،
لَتوجَدَنَّ لَهَبَ السِّنانِ ... أوْلا، فلَسْتُ من بَنِى شَيْبان!

فلما قال هكذا ،كرهت الموت،وهبتُه هيبة شديدة،وقلت: إنّ لى إليك حاجة، قال : وما هى؟ قلت: أكون لك صاحبا، ورضيتُ بذلك ياأمير المؤمنين، قال : ١٠ لست من أصحابى، فكان ذلك والله أشدّ علىّ وأعظم مما صنع . فلم أزل أطلب إليه حتى قال : ويحك، وهل تدرى أين أريد ؟ قلت : لا، قال : أريد الموت عيانا، فقلت : رضيت بالموت معك ، فقال : آمض بنا ، فسرنا جميع يومنا وليلتنا حتّى جَنَّنا الليل وذهب شطره . فوردنا على حىّ من أحياء العرب،فقال لى : ياعمرو فى هذا الحىّ الموتُ، ثم أومأ إلى قبة فى الحىّ فقال: وفى تلك القبة الموت الأحمر، ١٥ فإما أن تمسك علىّ فرسى فأنزل فآتى بحاجتى، وإما أن أمسك عليك فرسك فتنزل فتأتينى بحاجتى، فقلت: لا، بل آنزل أنت، فأنت أعرف بموضع حاجتك، فرمى إلىّ بعنان الفرس ونزل، فرضيت لنفسى يا أمير المؤمنين أن أكون له سائسا . ثم مضى حتّى دخل القبة فاستخرج منها جارية لم ترعيناى قط مثلها حسنا وجمالا، فحملها على ناقة، ثم قال :ياعمرو، قلتُ : لبيك، قال : إما أن تحمينى وأقود أنا، وإما أن ٢٠

أحميك وتقود أنت، قلت: بل تحميني أنت، وأقود أنا، فرمى إليّ بزمام الناقة، وسرنا بين يديه وهو خلفنا حتّى أصبحنا، فقال لي: ياعمرو، قلت: لبيك، ماتشاء؟ قال: التفت فانظر هل ترى أحدا؟ قال: فالتفت، فقلت: أرى جمالا، قال: أغذّ السير، ثم قال لي: ياعمرو، قلت: لبيك، قال: انظر، فإن كان القوم قليلا فالجَلَد والقوة والموت، وإن كانوا كثيرا فليسوا بشيء، قال: فالتفتُّ، فقلت: هم أربعة أو خمسة، قال: أغذّ السيرَ، ففعلت، وسمع وَقْع الخيل، فقال لي: ياعمرو، قلت: لبيك! قال: كن عن يمين الطريق، وقِفْ وحوّلْ وُجوهَ دوابنا إلى الطريق، ففعلتُ، ووقفت عن يمين الراحلة ووقف هو عن يسارها. ودنا القومُ منا، فإذا هم ثلاثة نفر فيهم شيخ وهو أبو الجارية وأخواها غلامان شابان، فسلموا فرددنا السلامَ، ووقفوا عن يسار الطريق. فقال الشيخ: خَلِّ عن الجارية يا ابن أخي، فقال: ما كنتُ لأُخَلّيها ولا لهذا أخذتُها، فقال لأصغر ابنيه: اخرج إليه، فخرج وهو يجر رمحه وحمل عليه الحارث وهو يقول:

مِنْ دُونِ ماتَرْجُوه خَضْبُ الذابِلِ * من فارِسٍ مستَلْئِمٍ مقاتِلِ
يَحمِي ابْنَ شَيبانَ خيرِ وائلِ * ما كان سَيْرِي نَحْوَها بباطِلِ!

ثم شدّ عليه فطعنه طعنة دَقّ منها صُلْبه. فسقط ميتا. فقال الشيخ لابنه الآخر: اخرج إليه يابُنيّ، فلا خير في الحياة على الذُّلّ، فخرج إليه وأقبل الحارث يقول:

لقدْ رأيتَ كيفَ كانتْ طَعْنَتي! * والطَّعن للقِرْنِ الشديد هِمَّتي.
والموتُ خيرٌ من فراق خلّتي * فقتلتي اليوم ولا مَذَلّتي!

ثم شدّ عليه فطعنه طعنةً سقط منها ميتا . فقال له الشيخ : خَلِّ عن الظعينة يا ٱبن أخى ، فإنى لستُ كمن رأيتَ، قال : ما كنت لأُخلّيها ولا لهـذا قصدتُ، فقال له الشيخ : ٱختر يا ٱبن أخى ، فإن شئت طاردتك ، وإن شئت نازلتـك ، فاغتنمها الفتى ونزل . ونزل الشيخ وهو يقول :

ما أرتجى بعــد فَنـاءِ عُمْرى؟ * سأجعلُ السّنينَ مثــل الشَّهرِ. ٥
شيخٌ يحامى دون بِيضِ الخِدْر. * إنَّ ٱستباحَ البيضِ قَصْمُ الظَّهر.
* سوف ترى كيفَ يكونُ صَبْرى. *

فأقبل الحارث وهو يقول :

بَعْد ارتحـالى وطويلِ سَفَرى * وقد ظَفِرتُ وشفَيْتُ صَدْرى.
والموتُ خيرٌ من لِباسِ الغَدْر، * والعـارِ أُهْــديه لحَىِّ بكر. ١٠

ثم دنا فقال له الشيخ : يا ٱبن أخى، إن شئت نازلتـك، وإن بقيت فيك قوّة ضربتنى، وإن شئت فاضربنى،فان بقيت فىّ قوّةٌ ضربتك، فاغتنمها الفتى فقال : وأنا أبدؤك، قال: هات، فرفع الحارث السيفَ، فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه، ضرب بطنَه ضربةً فقدّ معَاه، ووقعت ضربةُ الحارث فى رأسه. فسقطا ميتين. فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف،ثم أقبلتُ إلى النـاقة ١٥ فعقدت أعنة الأفراس بعضها إلى بعض وجعلت أقودها. فقالت الجارية : يا عمرو، إلى أين ؟ ولستَ لى بصاحب، ولستَ كمن رأيت، ولو كنت صاحبى لسلكت سبيلهم! فقلت: ٱسكتى، قالت: فإن كنت صادقا فأعطنى سيفا ورمحا،فإن غلبتَنى فأنا لك، وإن غلبتك قتلتك، فقلتُ لها : ما أنا بمعطيك ذلك، وقد عرفتُ أصلك وجُرأة قومكِ وشجاعتَهم، فرمت بنفسها عن البعير وهى تقول : ٢٠

أَبَعْدَ ماشَيْخِي وبَعْدَ إخْوتِي * أَطْلُبُ عيشًا بعْدَهُم في لَذَّةِ؟
* هَلْ لا تَكُونُ قبل ذَا مَنِيَّتِي؟ *

وأهوت إلى الرُّمح فكادت تنتزعه من يدى. فلما رأيتُ ذلك خفْتُ إن هى ظَفرت بى أن تقتلنى، فقتلتها .

٥ فهذا أشدّ ما رأيته يا أمير المؤمنين .

فقال عمر بن الخطاب : صدقت يا عمرو .

وروى ٱبن الجوزىّ بسند يرفعه إلى الليث بن سعد أنه قال : أُتى عمر رضى الله عنه بفتًى أمردَ قد وجد قتيلا مُلقًى فى الطريق . فسأل عمر عن أمره وٱجتهد فلم يقف له على خبر، ولم يعرف قاتله. فشَقَّ ذلك عليه، وقال : اللهم ظَفِّرنى بقاتله.

١٠ حتّى إذا كان رأسُ الحول أو قريب من ذلك، وُجِدَ صبىّ مولود مُلْقًى بموضع القتيل فأُتِيَ به عمر . فلما أُتِيَ به وأُخْبِر بمكانه، قال : ظَفِرتُ تالله بدم القتيل إن شاء الله تعالى. فدفع الصبىّ إلى ٱمرأة، وأمرها أن تقوم بشأنه وأعطاها نفقة. وقال : ٱنظرى مَن يأخذه منكِ، فإذا وجدتِ ٱمرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فأعلمينى بمكانها. فلما شبّ الصبىّ جاءت جاريةٌ فقالت للمرأة إن سيدتى بعثتنى إليك لتبعثى إليها بالصبىّ

١٥ لتراه وتردّه إليك . قالت : نعم . ٱذهبى به إليها وأنا معك. فذهبتْ بالصبىّ والمرأة معها إلى سيدتها. فلما رأته أخذته فقبلته وضمّته إلى صدرها. وإذا هى بنت شيخ من الأنصار، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأخبرتْ عمر خبرها. فاشتمل على سيفه، ثم أقبل على منزلها، فوجد أباها متكئا على باب داره . فسلم عليه، وقال له : أبا فلان، قال: لَبَّيْك، قال : مافعلت ٱبنتك فلانة؟ قال : يا أمير المؤمنين،

٢٠ جزاها الله خيرا، هى من أعرف الناس بحق الله تعالى وحق أبيها، مع حُسْن صَلَاتها

وصيامها والقيام بدينها، فقال عمر: قد أحببتُ أن أدخل إليها فأزيدها رغبةً فى الخير وأحُثّها على ذلك . فقال : جزاك الله خيرا يا امير المؤمنـين ، امكُثْ مكانك حتّى أعود إليك، فاستـأذن بعمر، فلما دخل عمر، أمر من كان عندها بالخروج عنها، فخرجوا . وبقيت هى وعمر ليس معهما ثالث . فكشف عمر عن السيف، وقال: لتصدقينى وإلا ضربت عنقك ، وكان عمر لا يُكذب ، فقالت : على رِسْلك ياأمير المؤمنين، فوالله لأصدُقَنّك. إن عجوزا كانت تدخل علىّ فاتخذتها أمّا، وكانت تقوم من أمرى بما تقوم به الوالدة، وكنت لها بمنزلة البنت، فامضتْ بذلك حينا، ثم إنهـا قالت لى يوما : يابنية ، إنه قد عرض لى سَـفَر، ولى بنت فى موضـع أتخوّف عليها فيه أن تضيع، وقد أحببتُ أن أضمها إليكِ حتّى أرجع من سفرى، فعمدَتْ إلى ابن لهـا شاب أمرد، فهيأته كهيئة الجارية وأتتنى به لا أشك أنه جارية . فكان يرى منى ماترى الجارية من الجارية حتّى أغفلنى يوما وأنا نائمة فمـا شـعرتُ حتّى علانى وخالطنى . فمددت يدى إلى شَفْرة كانت إلى جنبى فقتلتُه . ثم أمرتُ به فأُلقِىَ حيث رأيتَ . فاشتملتُ منه على هذا الصبى ، فلما وضعته ألقيته فى موضع أبيه . فهـذا والله خبرهما، فقال عمر : صدقتِ ، بارك الله فيـك ، ثم أوصاها ووعظها ودعا لهـا وخرج ، وقال لأبيها : بارك الله لك فى ابنتـك ، فنعم الابنـة هى ! وقد وعظتها وأمرتها، فقال : وصـلك الله ياأمير المؤمنين ، وجزاك خيرا عن رعيّتك .

وروى أيضا بسنده إلى أبى عباد قال : أدركتُ الخادمَ الذى كان يقوم على رأس الحجاج، فقلت له : أخبرنى بأعجب شىء رأيته من الحجاج ! قال : كان ابن أخيه أميرا على واسطَ، وكان بواسط امرأة يقال لها أبّة، لم يكن بواسطَ فى ذلك الوقت

أجملُ منها . فأرسل ابن أخيـه إليها يراودها عن نفسها مع خادم له . فأبت عليـه وقالت : إن أردتني فاخطبني إلى إخوتي ، وكان لهـا أربعة إخوة فأبى ، وقال : لا ، إلا كذا . وعاودها فأبت . فراجعها وأرسـل إليها بهـدية فأخذتها وعزلتها . وأرسل إليها عشية الجمعة : إني آتيكِ الليلة ، فقـالت لأمها : ان الأمير بعث إليّ
٥ بكذا وكذا . فأنكرتْ أمُّها ذلك ، وقالت أُمها لإخوتهـا إن أختكم قد زعمت كيت (٦٧)
وكيت : فأنكروا ذلك وكذبوها . فقالت إنه قد وعدني أن يأتيني الليلَةَ ، فستَرَوْنه .
قال : فقعد إخوتها في بيت حيال البيت الذى هي فيه ، وجويريةٌ لهـا على باب الدار تنتظره . فجاء ونزل عن دابته وقال لغلامه : إذا أذن المؤذن في الغلس ، فأتني بدابتي ، ودخل والجاريةُ أمامه . فوجد أَمَةً على سرير مستلقيةً . فستلق إلى
١٠ جانبها ثم وضع يده عليهـا ، وقال : إلى كم ذا المَطْلُ ؟ فقـالت له : كف يدك يا فاسقُ ، ودخل إخوتها عليه بأيديهم السيوف فقَطَّعوه ثم لفوه في نطع وجاءوا به إلى سكة من سكك واسط فألقوه فيها . وجاء الغلام بالدابة فجعل يدُقُّ الباب دقًّا رفيقا فلا يكلمه أحد . فلما خَشِي الضوء وأن تعرف الدابةُ انصرف . وأصبح الناس فإذا هم به على تلك الصفة . فأتوا به الحجاجَ فأخذ أهل تلك السكة ، فقال أخبروني : ما قصته ؟
١٥ قالوا : لا نعلم حاله ، غير أنا وجدناه ملقًى . ففطِن الحجاج فقال : عليّ بمن كان يخدمه . فأُتِيَ بذلك الخصيّ الذى كان الرسولَ بينهما ، فقالوا : هذا كان صاحبَ سره . فقال له الحجاج : اصدقني عن خبره وقصته ، فأبى . فقال : إن صدقتني لم أضرب عنقك ، وإن لم تصدقني فعلتُ بك وفعلت . قال : فأخبره الأمر على جهته . فأمر بالمرأة وأمها وإخوتها ، فجيء بهم ، وعُزلت المرأة عنهم . فسألها فأخبرته بمثل ما أخبر به الخصيّ ،
٢٠ ثم سأل إخوتها ، فأخبروه بمثل ذلك ولم يختلفوا . وقالوا : نحن صنعنا به الذى ترى ،

فأمر برقيقه ودوابه للمرأة، فقالت المرأة: هديته عندى، فقال: بارك الله لك فيها، وكثّر فى النساء مثلك، هى لك، وماترك من شىء فهو لك، وقال: مثل هذا لا يُدْفن. فألقُوه للكلاب، ودعا بالخصىّ فقال: أما أنت فقد قلت لك إنى لا أضرب عنقك! وأمر بضرب وسطه، فقطع نصفين.

والأخبار فى مثل هذا كثيرة، فلا نطوّل بذكرها. ٥

*
* *

وأما من قتله العشق فكثير جدّا لا يكاد يحصر، روى عن عكرمة قال: إنى لَمَعَ ٱبن عباس عشيةَ عرفةَ، إذ أقبل فتيةٌ يحملون فتًى من بنى عُذْرة فى كساء، وهو ناحل البَدَن، أحلى من رأيت من الفِتْيان، فوضعوه بين يديه ثم قالوا: ٱستشفِ لهذا يا ٱبن عمّ رسول الله، فقال: وما به؟ فترنم الفتى بصوت ضعيف خفىّ الأنين، ١٠ وهو يقول:

بِنَا من جَوى الأحزان والحُبِّ لَوْعةٌ ... تَكادُ لهـا نَفْسُ الشَّفِيق تَذُوبُ!
ولكنَّما أبقى حَشاشــةَ مُعْوِلٍ ... على مابه عُــودٌ هناك صَلِيبُ!
وما عَجَبٌ موتُ المحِبِّينَ فى الهَوى، ... ولكنْ بقاءُ العاشِقِين عجِيب!

قال: ثم حمل فمات فى أيديهم، فقال ٱبن عباس: هذا قتيلُ الحُبّ، لا عَقْلٌ ١٥ ولا قَوَد.

قال عكرمة: فما رأيت ابن عباس سأل الله تعالى تلك الليلةَ — حتّى أمسى — إلا العافيةَ مما ٱبتلِى به ذلك الفتى.

وروى عن الأصمعىّ قال: حدّثنى أبو عمرو بن العلاء قال: حدّثنى رجل من بنى تميم قال: خرجت فى طلب ضالّة لى. فبينا أنا أدور فى أرض بنى عُذْرة أنْشُد ضالّتى، ٢٠

إذا بيتٌ معتزل عن البيوت، وإذا في كِسْر البيت شابٌّ مغمًى عليه، وعند رأسه عجوز لها بَقِيّة من جمال، وهي ساهيةٌ تنظر إلى وجه الفتى. فسلمتُ فردَّت السلامَ. فسألتها عن ضالَّتي فلم يك عندها منها علم. فقلت: أيتُها العجوزُ، مَن هذا الفتى؟ قالت: ابني، ثم قالت: هل لك في أجرٍ لا مَئُونةَ فيه؟ فقلت: والله إني لأُحبُّ الأجر وإن رُزِئت! فقالت: إن ابني هذا يهوى ابنةَ عمٍّ له عَلِقها وهما صغيران. فلما كَبِر حُجِبت عنه، فأخذه شبيهٌ بالجنون. ثم خطبها إلى أبيها فامتنع من تزويجه، وخطبها غيره فزوّجها إياه. فَنحَل جسمُ ولدي واصفرّ لونه وذَهَلَ عقلُهُ. فلما كان منذ خمس، زُفَّت إلى زوجها، فهو كما ترى: لا يأكل ولا يشرب، مغمًى عليه. فلو نزلت إليه فوعظته!

قال: فنزلتُ إليه فلم أدَعْ شيئا من الموعظة إلا وعظته به حتَّى أن قلت له فيما قلت: إنهنّ الغواني صاحباتُ يوسف، ناقضاتُ العهد. وقد قال فيهن كُثَيِّرُ عَزَّة:

هَلْ وَصْلُ عَزَّةَ إلا وَصْلُ غانيــة . في وَصْلِ غانيةٍ من وَصْلِها خَلَفُ؟

قال: فرفع رأسه، محمرةً عيناه كالمُغْضَب، وقال: لستُ ككُثَيِّر عزة! إنّ كثيّرا رجل مائقٌ، وأنا رجل وامقٌ! ولكنني كأخي تميم حيث يقول:



ألَا لا يَضيرُ الحبُّ ما كان ظاهرًا . ولكنَّ ما اختاف الفؤاد يَضيرُ!
ألَا قاتل اللهُ الهوى كيف قادَني . كما قِيدَ مغلولُ اليدَيْنِ أَسِـيرُ!

فقلتُ له: فإنه قد جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أُصيبَ منكم بمُصيبةٍ فليَذْكُرْ مُصابه بي".

فأنشأ يقول:

ألَا ما للمليحــة لا تَعُــودُ؟ . أَبُخْــلٌ بالمليحةِ أم صُـدُودُ؟
مَرِضْتُ فعــادَني أهلي جميعًا . فمــا لَكِ لا نَرَى فيمن يَعُــودُ!

فقَدْتُكِ بينَهُـمْ فبكَيْتُ شَوْقًا، * وفَقْدُ الإِلْفِ ياأملى شَـديدُ!
وما آستَبْطأْتُ غيْرَكِ فاعلَمِيهِ * وحَوْلِى من ذَوِى رَحِمى عَديدُ!
ولو كُنْتِ السقيمةَ، كنْتُ أسعَى * إليــكِ ولم يُنَهْنِهْنِى الوَعِيـدُ!

قال: ثم شهِق شهقةً وخَفَتَ، فمات. فبكت العجوز وقالت: فاضت والله نفسُه! فدخلنى أمر لم يدخلنى مثلُه قط. فلما رأت العجوزُ ماحلَّ بى، قالت: يافتى لا تُرَعْ! عاش بأجَلٍ، ومات بقَدَر، وقدم على ربٍّ كريم، وآستراح من تباريحه وغُصَصه! ثم قالت: هل لك فى آستكمال الصنيعة؟ قلت: قولى ماأحببتِ! قالت: تأتى البيوت فتنعاه اليهم ليعاونُونى على رَمْسه، فإنى وحيدة. قال: فركبت فرسى وقصدت البُيوتَ وأقبلت أنعاه إليهم. فبينا أنا أنعاه، إذا خيمةٌ رُفِع جانبٌ منها، وإذا آمرأة قد خرجتْ كأنها القمر ليلة البدر، ناشرةً شعرها، تجرُّ خمارها، وهى تقول: بِفِيكَ الكَثْكَثُ! بفيك الحَجَرُ! مَن تَنْعَى؟ قلت: أنعى فلانا! قالت: أوَ قد مات؟ قلت: إى والله قد مات! قالت: فهل سمعت له قولا. قلت: اللهـم لا، إلا شعرا، قالت: وما هو؟ فأنشدتُها قوله:

- ألا ما للمليحة لاتعود * الأبيات.

فاستعبرتْ باكية وأنشأت تقول:

عَدَانِى أنْ أزُورَكَ يامُنَـاىَ * مَعَاشِرُ كُلُّهم واشٍ حَسُودُ!
أشاعُوا ماعلِمْتَ من الدَّواهى * وعابُونا، وما فِيهمْ رَشِـيدُ!
فأما إذ ثَوَيْتَ اليومَ لَحْـدًا * فكلُّ الناسِ دُورُهُمُ لُحُودُ.
فلا طابَتْ لىَ الدُّنيـا فُوَاقا * ولا لهُـمُ ولا أثْرَى عديدُ!

ثم شهقتْ شهقةً وخرّتْ مغشيًّا عليها ، وخرج النساء من البيوت وأضطربت ساعة وماتت . فوالله ما برحتُ حتّى دفنتهما جميعا .

وروَى الساجى عن الأصمعىّ قال : رأيت بالبادية رجلا قد دق عظمه ، وضَؤُلَ جسمه ، ورق جلده . فتعجبت ودنوت منــه أسأله عن حاله . فقالوا : آذكر له شيئا من الشعر يكلمْك . فقلتُ :

سَبَقَ القضاءُ بأنّى لك عاشِقٌ * حتّى المماتِ ، فأيْنَ منك مذاهبى؟

فشهق شهقة ظننتُ أن روحه قد فارقته ، ثم أنشأ يقول :

أخْلُو بذكْرِكِ لا أريدُ محدّثا ، * وكفى بذكْرِكِ سامِرًا وسُرُورا !

قال : فقلت له : أخبرنى عنك! قال : إن كنت تريد علم ذلك فاحملنى وألْقِنى على باب تلك الخيمة ! ففعلت . فأنشأ يقول بصوت ضعيف يرفعه :

ألا ما للمَليحــةِ لا تعُــودُ * أبُخْـــلٌ بالمَليحةِ أم صُدُودُ ؟

فلوكُنتِ المريضَةَ كنتُ أسْعى * إليــك ولم يُنَهْنِهْنِى الوَعِيــدُ !

فإذا جارية مثل القمر، قد خرجت فألقت نفسها عليــه فعتنقا . وطال ذلك ، فسترتهما بثوبى خشية أن يراهما الناسُ . فلما خفتُ عليهما الفضيحة ، فرّقت بينهما . فإذا هما ميتان . فما بَرِحْت حتّى صليت عليهما ودُفِنَا . فسألت عنهما . فقيل لى : عامرُ بن غالب ، وجميلة بنت أميل المُزَنيّان .

وروَى آبن الجوزىّ بسند يرفعه إلى محمد بن خلف قال : ذكر بعض الرواة عن العمرىّ قال : كان أبو عبد الله الجيشانىّ يعشَق صفراء العلاقمية . وكانت سوداء ، فاشتكى من حبها ، وضَنِى حتّى صار إلى حدّ الموت . فقال بعض أهله لمولاها : لو وجهت

صفراء إلى أبى عبد الله الجيشانى، فلعله أن يعقل إذا رآها! ففعل. فلما دخلتْ عليـه قالت له : كيف أصبحتَ ياأبا عبدالله؟ قال : بخـير مالم تبرحى! قالت : ما تشتهى ؟ قال : قُرْبَك! قالت : ما تشتكى ؟ قال : حُبّك! قالت : فتوصى بشىء ؟ قال : نعم، أوصى بكِ إن قبـلوا منى! فقالت : إنى أريد الأنصراف! قال: فتعجلى ثوابَ الصلاة علىّ! فقامت فانصرفت، فلما رآها مولية تنفس الصعداء، ومات من ساعته .

وروى أيضا بسـند يرفعه إلى عَوَانة بن الحكم أن عبـد الله بن جعفر وفد إلى عبد الملك بن مَرْوان فحدّثه، قال : آشتريت جاريةً بعشرة آلاف درهم، فوُصِفَتْ ليزيد بن معاوية فأرسل إلىّ يقول : إما أن تهديها إلىّ ، وإما أن تبيعها بحكمك ، فكتبت إليه : لا تخرج والله من ملكى ببيع ولا هبة أبدا . ومكثتْ عندى لا أزداد لهـا إلا حبا . حتّى أتتنى عجوز مِن عجائزنا ، فذكرتْ أن بعض عُزّاب المدينة يهواها، وأنه يجىء فى كل يوم متنكرا فيقف بالباب حتّى يسـمع غِناءها . فراعيتُ مجيئه ليلة، فإذا به قد أقبل متقنعَ الرأس حتّى قعد مستخفيا فدعوت قيّمة الجارية، فقلت : آنطلق الساعة فأصلحى هـذه الجاريةَ بأحسن ما أمكن ، وعجّلى بها ، ففعلتْ . فقمتُ وقبضتُ على يدها وفتحتُ الباب وأتيتُ إلى الرجل فحركتُه فانتبه مذعورا . فقلت : لا بأس عليك، خذ هذه الجارية، هى لك، فإذا هممت ببيعها فارددها إلىّ ، فَدهِش الفتى . فدنوتُ إلى أذنه فقلت : ويحك، قد أظفرك الله عز وجل ببُغْيتك، فانصرِفْ إلى منزلك، فإذا الفتى ميت ، فلم أر شيئا قط أعجبَ من ذلك، وهانت علىّ الجاريةُ، فكرهتُ أن أوجّه بها إلى يزيد فيعلم حالها أوتخبره

عن نفسها فيحقد ذلك عليّ . فمكثتْ مدّة مديدة ثم ماتت . ولا أظنها ماتت إلا كمدا وأسفا على الفتى .

وروى ابن الجوزيّ أيضا بسنده قال : حُكِيَ عن شَبَابة بن الوليد العُذْريّ أن فتًى من بنى عُذْرة يقال له أبو مالك بن النضر، كان عاشقًا لابنة عم له عشقا شديدًا. فكان على ذلك مدّةً، ثم إنه فُقِد بضعَ عشرةَ سنةً، لا يُحَسّ له خبر . قال شبابة : فأضلَلْتُ إبلًا لى . فخرجت فى طلبها . فبينا أنا أسير فى الرمال إذا بهاتف يَهْتف بصوت ضعيف :

يا ابنَ الوليد ، ألا تحمونَ جارَكُمُ ۔ وتحفظون له حقّ القَرابات؟
عهدى إذا جارُ قوم نابَهُ حَدَثٌ ، ۔ وَقَوْه من كلّ مكروه الملِمّات!
هذا أبو مالك المسمى ببَلْقَعةٍ ۔ من الضِّباع وآساد بغابات!
طَلِيحُ شوقٍ ، بنار الحبّ محترقٌ ، ۔ تعتادُه زَفَراتٌ إثْرَ اوعات!
أما النهارُ فيُنْضِيه تذكّرُهُ ، ۔ والليلُ مرتقبٌ للصبح هل يأتى.
يَهْذِى بجاريةٍ من عُذْرَةَ اختلَسَتْ ۔ فؤادَه ، فهو منها فى بَلِيّات!

فقلت : دُلَّنى عليه ، رحمك الله ! قال : نعم ، اقصد الصوت ، فقصدته ، فسمعت أنينا من خباء فاذا قائل يقول :

يا رَسيسَ الهوى ، أذبْتَ فؤادى ۔ وحَشَوتَ الحَشَ عذابًا أليما!

فدنوت منه فقلت : أبو مالك؟ قال : نعم ! قلت : ما بلغ بك إلى ما أرى ؟ قال : حُبّى سعادَ ابنة أبى الهندَام العذرىّ . شكوت يوما ما أجِدُ من حبها إلى ابن عم لها فاحتملنى إلى هذا الوادى ، منذ بضع عشرة سنة . يأتينى كل يوم بخبرها ويَقُوتُنى من عنده . فقلت إنى أصير إلى أهلها فأخبرهم ما رأيت . قال : أنتَ وذاك . قال : فانصرفتْ

فأخبرتهم، فرقُّوا له فزوّجوه بحضرتى . فرجعتُ إليه لأفرّج عنه، فلما أخبرته الخبر، نظر إلىّ، ثم تأوه تأوُّها شديدا بلغ من قلبى، ثم قال :

ألآنَ إذ حَشْرجَتْ نفسى وخامَرَها * فِراقُ دُنْيـا وناداها مُنَـاديهـا !

ثم زَفَرَ زَفْرة فمات. فدفنته فى موضعه ثم آنصرفت فأخبرتهم الخبر. فأقامت الجارية بعده ثلاثا لا تَطْعَمُ، ثم ماتت . ٥

وحكى عن المبرد قال : خرجتُ أنا وجماعة من أصحابى مع المأمون. فلما قَرُبنا من الرَّقّة، إذا نحن بدير كبير، فقال لى بعض أصحابى: مِلْ بنا إلى هذا الدير لننظر مَنْ فيه ونحمد الله تعالى على مارَزَقنا من السلامة، فدخلنا إلى الدير، فرأينا مجانين مُغَلَّغَلين، وهم فى نهاية القَذَارة، فاذا فيهم شابٌّ عليه بقية من ثيابٍ ناعمةٍ، فلما بصُرَ بنا قال : مَن أنتم يا فِتيانُ؟ حيا كم الله! فقلنا: نحن من العراق. فقال: بأبى العراقُ وأهلُها! بالله ١٠ أنشدونى أو أنشدكم! فقال المبرد : قلت : والله إن الشعر من هذا لَظريف، فقلنا : أنشدنا، فأنشأ يقول :

اللهُ يَعْـلَمُ أنَّنِى كَمِدُ * لاأسْتَطِيعُ أَبُثُّ ماأجدُ !
رُوحان لى : رُوحٌ تضمَّنها * بلدٌ وأُخْرى حازها بَـلَدُ !
وأرى المقيمةَ ليس ينْفَعُها * صَبْر ولا يَقْوى لهـا جَلَدُ . ١٥
وأظنُّ غائبتى كشاهِدَتِى * فكأنَّهـا تجدُ الذى أجدْ !

قال المبرد : بالله زدنا، فأنشأ يقول :

لَمَّا أناخُوا قُبَيْـلَ الصُّبحِ عِيرَهُمُ * ورَحَّلُوها فثـارَتْ بالهوى الإِبِلُ،
وقلَّبتْ من خلَال السِّجْف ناظرَها * ترنُو إلىّ ودمعُ العينِ منْهمل،

وودّعتْ ببنانٍ عقدُها عَنَمٌ، * ناديتُ: لاحَمَلتْ رِجلاك ياجَمَلُ!
وَيْلي من البَيْنِ! ماذا حَلّ بي وبِهَا * مِنْ نازلِ البَيْنِ؟ حانَ البينُ فارتَحلُوا!
ياراحِلَ العِيسِ، عَرِّجْ كَيْ نُودِّعها! * ياراحِلَ العِيسِ، في تَرْحالكَ الأَجَلُ؟
إنِّي على العَهْد لم أنقُضْ مودَّتهم، * ياليت شِعْرِي! بعد العهدِ ما فَعلُوا؟

٥ قال: فقال رجل من البغضاء الذين معي: ماتُوا! قال: قال إذَنْ فأموتُ! فقال له: إن شئتَ! فتمطّى واستند إلى السارية التي كان مشدوداً فيها فمات. فما برِحْنا حتّى دفناه.

وحكى عن أبي يحيى التيمي، قال: كنّا نختلف إلى أبي مِسْعَر بن كِدَام، وكان يختلف معنا فتًى من النُّسّاك، يقال له أبو الحسن، ومعه فتًى حسنُ الوجه يفتتِنُ به ١٠ الناس إذا رأَوْه. فأكثر الناسُ القولَ فيه وفي صحبته إياه. فمنعه أهله أن يصحبه وأن يكلمه. فذهَلَ عقله حتّى خيف عليه التلفُ. فلقيته فأخبرته بذلك، فتنفس الصُّعَداء ثم أنشأ يقول:

يامَنْ بدائعُ حُسْنِ صُورتِه * تَثْنِي إليه أعِنَّةَ الحَدقِ!
لِي مِنْكَ ما للناسِ كُلِّهِمِ: * نَظَرٌ وتَسْليمٌ على الطُّرُقِ.
١٥ لكنَّهم سَعِدُوا بأمْنِهِمِ * وشَقِيتُ حِينَ أراكَ بالفَرَقِ!

ثم صرخ صرخة وشخص ببصره نحو السماء وسقط إلى الأرض. فحرّكته فإذا هو ميت.

وروى ابن الجوزيّ قال: أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطيّ، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميديّ قال: حدّثني أبو محمد عليّ بن أحمد

الفقيه الحافظ قال : حدّثنى أبو عبد الله محمد بن الحسن المَذْحِجىّ الأديب، قال : كنت أختلف فى النحو إلى أبى عبدالله محمد بن خطاب النحوى فى جماعة ، أيام الحَدَاثة . وكان معنا أسلَمُ بن سعيد قاضى قضاة الأندلس . قال محمد بن الحسن : وكان من أجمل من رأته العيون . وكان معنا عند ٱبن خطاب أحمدُ بن كُلَيب . وكان من أهل الأدب والشعر فٱشتدّ كلَفُه بأسلم، وفارق صبره ، وصرف فيه القول متسترا بذلك، إلى أن فشت أشعارُه فيه وجرت على الألسنة،وأُنشدت فى المحافل .

فَلَعَهْدِى بِعُرس فى بعض الشوارع و" البكورىّ " الزامر فى وسط المحفل يزمر بقول أحمد بن كليب فى أسلم .

أَسْلَمَنِى فى هَوا * ه أَسْلَمُ، هذا الرَّشا!
غَزَال له مُقْلَةٌ * يُصِيبُ بها مَنْ يَشَا!
وشى بيننَا حاسدٌ * سَيُسْأَلُ عمّا وَشى!
ولَوْ شاءَ أن يَرْتَشِى * على الوَصْلِ رُوحِى،ٱرْتَشى!

ومغنٍّ محسن يسايره . فلما بلغ هذا المبلغ، ٱنقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب ولزم بيتَه والجلوسَ على بابه. فكان أحمد بن كليب لا شُغْل له إلا المرور على باب دار أسلم نهارَه كله. فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهارا. فإذا صلَّى المغرب وٱختلط الظلام، خرج مستَروحا، وجلس على باب داره. فعيل صبر أحمد بن كليب. فتحيل فى بعض الليالى ولبس جُبَّة من جباب أهل البادية،وٱعتمّ بمثل عمائمهم، وأخذ بإحدى يديه دَجَاجا وبالأخرى قَفَصا فيه بيض. وجاء كأنه قدم من بعض الضِّياع،فتقدّم إلى أسلم وقبل يده،وقد ٱختلط الظلام،وقال : يامولاى،مَن يَقْبِض

هذا؟ فقال له أسلم : من أنت ؟ فقال : أجيرك فى الضيعة الفلانية — (وقد كان يعرف أسماء ضياعه) . فأمر أسلم غلمانه بقبض ذلك منه على عادتهم فى قبول هدايا العاملين فى ضياعهم . ثم جعل أسلم يسأله عن أحوال الضيعة ، فلما جاوبه أنكر الكلامَ فتأمله فعرفه ، فقال له : يا أخى ! وإلى هاهنا تتبعنى ؟ أما كفاكَ انقطاعى عن مجالس
٥ الطلب ، وعن الخروج جملةً ، وعن القعود على بابى نهارا حتّى قطعت علىّ جميعَ ما لى فيه راحةٌ فصرتُ فى سجنك ؟ والله لافارقتُ بعد هذه الليلة قَعْرَ منزلى ، ولا جلستُ بعدها على بابى ، لا ليلا ولا نهارا ، ثم قام . وانصرف أحمد بن كليب حزينا كئيبا .
قال محمد : واتصل ذلك بنا فقلنا لأحمد بن كليب : وخسرت دجاجك وبيضك؟ فقال : هات كلَّ ليل قُبلةً فى يده ، وأخسر أضعاف ذلك! فلما يئس من رؤيته البتةَ ،
١٠ نهكته العلة وأضجعه المرض . قال محمد بن حسن : فأخبرنى شيخنا محمد بن خطاب قال : فعدْته فوجدته بأسوإ حال . فقلت له : لم لا تتداوى؟ فقال : دوائى معروف ، وأما الأطباء فلا حيلةَ لهم فىّ البتةَ . فقلت له : وما دواؤك؟ قال : نظرةٌ من أسلم ! فلو سعيتَ فى أن يزورنى لأعظم الله جزاءك بذلك ، وآجره . قال : فرحمته وتقطعت نفسى عليه . فنهضت إلى أسلم فاستأذنتُ عليه ، فأذن لى وتلقّانى بما يجب . فقلت :
١٥ لى حاجةٌ . فقال : وما هى؟ قلت : قد علمت ما جمعتْ مع أحمد بن كليب من ذمام الطلب عندى . فقال : نعم ، ولكن قد تعلم أنه برّح بى ، وشهّر اسمى وآذانى . فقلت له : كل ذلك يُغتفر فى مثل هذه الحال التى هو فيها ، والرجل يموت . فتفضل بعيادته . فقال لى : والله ما أقدِر على ذلك ، فلا تكلفْنى هذا! فقلت : لا بدّ من ذلك فليس عليك فيه شىء ، وإنما هى عيادة مريض . قال : ولم أزل به حتّى أجاب .
٢٠ فقلت له : فقم الآن ، قال : لستُ والله أفعلُ ، ولكن غدًا ، فقلت له : ولا خُلْفَ .

قال : نعم . فانصرفت إلى أحمد بن كليب فأخبرته بوعده فسُرَّ بذلك وآرتاحتْ نفسه .
فلمـا كان من الغد بكَّرتُ إلى أسلم ، وقلت له : الوعدَ ، قال : فَوجِم ، وقال : والله
لقد تحملني على خُطَّة صَعْبة علىّ ، وما أدرى كيف أُطيق ذلك؟ فقلت له : لا بدّ
أن تفى بوعدك لى ، قال : فأخذ رداءه ونهض معى راجِلًا ، فلما أتينا منزل أحمد ،
وكان يسكن فى درب طويل ، فعند ما توسَّط الزُّقاق وقف وآحمر وخجل ، وقال : ٥
ياسيدى ، الساعة والله أموت! وما أستطيع أن أعرض هذا على نفسى! فقلت :
لا تفعل بعــد أن بلغت المنزل ، قال : لا سبيل والله إلى ذلك البتّةَ! ورجع هاربا
فاتّبعته وأخذتُ بردائه ، فتمادى وتمزق الرداء وبَقِيتْ قطعة منه فى يدى لشدّة إمساكى
له . ومضى ولم أُدْركه . فرجعت ودخلت على أحمد ، وكانــ غُلامه قد دخل عليه
لمـا رآنا من أوّل الزقاق مبشِّرا . فلمـا رآنى تغير وجهُه وقال : أين أبو الحســن؟ ١٠
فأخبرته بالقصة فاستحال من وقته وآختلط وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منــه أكثر
من الآسترجاع . فاستبشعت الحـال وجعلت أتوجّع وقمت ، فثاب إليه ذهنُه ،
وقال لى : يا أبا عبدالله ، قلت : نعم ، قال : آسمع منى ، وآحفظ عَنِّى ، وأنشأ يقول :

أَسْــلَمُ ، ياراحةَ العَليــل * رِفْقا على الهـائم النَّحِيل!
وصْلُك أشهى إلى فُؤادِى * من رحمةِ الخالِقِ الجليل! ١٥

قال : فقلت له : آتق الله ، ما هذه العظيمة ؟ قال : قد كان ، فخرجت عنه
فوالله ما توسطت الزقاقَ حتّى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدّنيا .

وهذه الحكاية مشهورة عند أهل الأندلس . وأسلم هذا من بنى خالد وكانت فيهم
وزارة وحجابة . وهذا الباب طويل والحكايات والأخبار والوقائع فيه كثيرة يطول
الشرح بذكرها . ٢٠

*

وأما من قتل نفسه بسبب العشق، فحكى عن عبد الرحمن بن إسحاق القاضى قال : انحدرتُ من "سُرَّ مَنْ رأى" مع محمد بن إبراهيم أخى إسحاق، ودجلة تَزْخر من كثرة مائها . فلما سِرْنا ساعةً ، قال : ارفُقُوا بنا ، ثم دعا بطعامه فأكلنا، ثم قال : ما ترى فى النبيذ؟ قلت له : أعز الله الأمير، هذه دِجلة قد جاءت بمدّ عظيم يُرْعَب مثله ، و بينك وبين منزلك مَبيتُ ليلة ، فلو شئتَ أخرته ؛ قال : لا بدّ لى من الشراب، واندفعت مغنيةٌ فغنَّتْ، واندفعت أخرى فغنته :

يا رَحْمتًا للعاشـقينا . ما إنْ أرى لهُـمُ معينا!
كم يُشْـتَمُون ويُضْرَبو . نَ ويُهْجَرون، فيصبِرُونا!

فقالت لها المغنية الأولى : فيصنعون ماذا؟ قالت : يصنعون هكذا، ورَفَعتِ الستارة وقذفتْ بنفسها فى دِجْلَة. وكان بين يدى محمد غلامٌ ذَكَر أنّ شراءه ألفُ دينار، بيده مِذَبّة. لم أر أحسن منه . فوضع المِذَبّة من يده وقذف بنفسه فى دجلة. وهو يقول :

أنتِ التى غرَّقْتِـنى بعد القَضَا، لو تَعْلَمِينا!

فأراد الملاحون أن يطرحوا أنفسهم خلفهما ، فصاح بهم محمد: دَعُوهم يَغْرَقا إلى لعنة الله! قال : فرأيتهما وقد خرجا معتنقين ثم غَرِقا .

وحكى عن جميل بن معمر العذرىّ أنه قال : دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوانَ فقال لى : يا جميل حدِّثنى بعض أحاديثِ بنى عذرة، فإنه بلغنى أنهم أصحاب أدَب وغَزَل، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين، انتجعوا عن حَيِّهم مرة فوجدوا نُجْعة بموضع نازح فقطنوه . فخرجت أريدهم . فبينا أنا أسير، غلِطتُ الطريقَ وجنّ علىّ الليلُ.

فلاح لى باب فقصدته . فوردت على راعٍ فى أصل جبل قد ألجأ غنَمَه إلى كهف فى الجبل، فسلمت عليه، فردّ علىّ السلام، وقال : أحسَبُك قد ضَلَلْتَ الطريق؟ قلت : قد كان ذلك، فأرشِدْنى! قال : بل آنزل حتّى تُرِيح ظهرك، وتبيتَ ليلتَك، فإذا أصبحْتَ وقَّفْتك على القصد. فنزلت فرحَّب بى وأكرمنى، وعمد إلى شاة فذبحها، وأجّج نارا، وجعل يَشْوِى ويُلْقِى بين يدىّ، ويحدّثنى فى خلال ذلك. ثم قام إلى كساء فقطع به جانب الخباء ومهّد لى جانبا، ونزل جانبا خاليا . فلما كان فى الليل سمعتُه يبكى ويشكو إلى شخص . فأرِقْت ليلتى. فلما أصبحت، طلبت الإذن فأبى، وقال : الضيافةُ ثلاث! فأقمت عنده، وسألته عن آسمه ونسبه وحاله، فآنتسب لى. فإذا هو من بنى عُذْرة، من أشرافهم. فقلت: ياهذا، وما الذى أحلّك هذا الموضعَ؟ فأخبرنى أنه كان يهوى آبنة عمّ له وتهواه، وأنه خطبها إلى أبيها فأبى أن يزوّجه إيّاها لقِلّة ذات يده، وأنه زوّجها رجلا من بنى كلاب فخرج بها عن الحىّ وأسكنها فى موضعه ذلك، وأنه تنكّر ورَضِى أن يكون راعيا لتأتيَه ويراها. وجعل يشكو إلىّ صَبابتَه بها وعشقه لها، حتى إذا جنّنا الليل وحان وقت مجيئها، جعل يتقلقل ويقوم ويقعد كالمتوقّع لها . فلما أبطأت عن الوقت المعتاد وغلبه الشوق، وثب قائما وأنشأ يقول :

ما بالُ ميّةَ لا تأتى لِعادتها! * أهاجَها طَرَبٌ أم صَدَّها شُغُلُ؟
لكنّ قَلْبِىَ لا يُلْهِيهِ غيرُهُمُ * حَتَّى المَمَات، ولالى غيرُهم أَمَلُ!
لو تَعْلَمِينَ الّذى بِى من فِرَاقِكُمُ * لما آعْتَلَلْتِ ولاطابَتْ لكِ العِلَلُ!
رُوحى فداؤُكِ! قد هَيَّجْتِ لى سَقَمًا * تَكادُ من حَرِّه الأعضاءُ تَنْفَصِلُ!
لو أن عاديَهُ مِنّى على جَبَلٍ، * لزال وآنهدّ من أركانِه الجبَلُ!

ثم قال : ياأخا بنى عذرة ، مكانَكَ حتّى أعود إليك ! فما أتوهّم أن أمر ابنة عمّى صحيح! ثم مضى . فما لبث أن أقبل وعلى يده شيء محمول، وقد علا شَهِيقُه ونحيبُه ، فقال: ياأخا بنى عذرة، هذه ابنة عمى، أرادت أن تأتينى فاعترضها الأسد فأكلها ! ثم وضعها عن يده، وقال : على رِسْلِكَ حتّى أعودَ اليك، ومضى فأبطأ حتّى يئستُ من رجوعه . ثم أقبل ورأسُ الأسد على يده، فألقاها وجعل ينكتُ على أسنان الأسد ويقول :

ألَا أيُّها الليثُ المُخِلُّ بنفسه! ... هَلَكْتَ! لقد جَرَّتْ يداك لنا حُزْنا!

وغادَرْتَنِي فَرْدا وقد كنتُ آلفا ... وصَيَّرتَ بطنَ الأرض ثَمَّ لنا سِجْنا!

أقولُ لدَهْرٍ خانَنِي بفِراقِه: ... معاذَ إلهي أنْ أكونَ له خِدْنا!

ثم قال : ياأخا بنى عُذرة، إنك سترانى بين يديك ميّتا! فإذا متُّ فاعمِدْ إلىّ وابنة عمّى، فأدرجنا فى كفن واحد، واحفُرْ لنا جَدَثا واحدا، وادفِنّا فيه ، واكتب على قبرى هذين البيتين :

كُنَّا على ظَهْرِها، والعَيْشُ فى مَهَلٍ! ... والشَّمْلُ يجمَعُنا والدارُ والوطَنُ.

فَفَرَّقَ الدهرُ والتصريفُ أُلْفَتَنا ... فصارَ يجمَعُنا فى بَطْنِها الكَفَنُ.

ورُدَّ الغنم إلى صاحبها وأعلمْه بقصتنا، ثم عَمَد إلى خِنَاق فطرحه فى عنقه. فناشدته الله تعالى أن لايفعل، فأبى وجعل يخنُق نفسه حتّى سقَطَ ميتا. فكفّنتهما ودفنتهما فى قبر واحد ، وكتبت البيتين على قبرهما، ورددْتُ الغنم إلى صاحبها، وأعلمته بقصتهما فحزِن حُزْنا شديدا أشفقتُ منه على نفسه .

— —

ذكر شيء ممـا ورد فى التحذير من فتنة النساء، وذم الزنا ، والنظر إلى المردان، والتحذير من اللواط، وعقوبة اللائط

أما ما ورد من التحذير من فتنة النساء، فقد رُوِى عن أبى أُمامة بن يزيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ما تَرَكْتُ فى الناسِ بَعْدِى فِتنةً أضَرَّ على الرجال من النِّساءِ" .

وعن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنه، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنَّ الدّنيا حُلْوةٌ خَضِرةٌ، وإن الله عز وجل مُستَخْلِفكُم فيها لِيَنظُرَ كيف تَعْمَلُون، فاتَّقُوا الدّنيا وآتَّقُوا النساءَ؛ فإن أوّلَ فِتنةِ بنى إسرائيل كانتْ فى النِّساءِ" .

وعن أبى هريرة رضى الله عنـه، قال : قال رسولُ الله صـلى الله عليه وسلم : "إنَّ أَخْوفَ ما أخافُ على أمّتِى النساءُ والخَمْرة" .

وعن آبن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لم يكُن كُفْرُ مَنْ مضى إلّا من قِبَـلِ النساء، وهو كائن، كُفر من بَقِى من قِبَل النساء .

وعن حسان بن عطية، قال: ما أُتِيَتْ أُمّةٌ قطُّ إلا من قِبَل نِسائِهم .

وعن سعيد بن المسيب، قال : مايَئِسَ الشيطانُ مِنَ آبنِ آدم قطُّ، إلا أتاه مِنْ قِبَل النِّساءِ .

وعن آبن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: "قال إبليسُ لربه عز وجل: يارَبِّ قد أُهْبِطَ آدمُ، وقد علمت أن سيكُونُ لهم كِتابٌ

ورسل. فما كاتبهم ورسلهم؟ قال الله عز وجل: رسلهم الملائكة والنبيّون منهم.
وكتبهم التوراة والإنجيل والزّبور والفرقان. قال: فما كتابي؟ قال: كتابك الوشم،
وقرآنك الشّعر، ورسلك الكهنة. وطعامك مالم يذكر آسم الله عليه. وشرابك من
كل مسكر، وصدقك الكذب. وبيتك الحمّام، ومصايدك النساء، ومؤذّنك المزمار،
٥ ومسجدك الأسواق".

⁂

ومن فتنة النساء، ماروى عن وهب بن منبّه أن عابدا كان في بني إسرائيل،
وكان من أعبد أهل زمانه. وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت، وكانت بكر، فخرج
البعث عليهم فلم يدروا عند من يخلّفون أختهم، ولا من يأمنون عليها، فأجمعوا رأيهم على
١٠ أن يخلّفوها عند العابد. فأتوه وسألوه أن يخلّفوها عنده، فأبى ذلك. فلم يزالوا به
حتّى قال: أنزلوها في بيت جوار صومعتي. فأنزلوها في ذلك البيت. ثم آنطلقوا
وتركوها. فمكثت في جوار العابد زمانا ينزل إليها الطعام من صومعته فيضعه عند
باب الصومعة، ثم يغلق بابه ويصعد صومعته، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ
ماوضع لها من الطعام. قال: فتلطف له الشيطان، فلم يزل يرغّبه في الخير ويعظّم عنده
١٥ خروج الجارية من بيتها نهارا، ويخوّفه أن يراها أحد فيعلقها. فلم يزل به حتّى مشى
بطعامها ووضعه عند باب بيتها، ولا يكلّمها. فلبث بذلك زمانا. ثم جاءه إبليس فرغّبه
في الخير والأجر، وقال له: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتّى تضعه في بيتها، كان
أعظم لأجرك. فلم يزل به حتّى مشى إليها بطعامها فوضعه في بيتها. فلبث بذلك
زمانا. ثم جاءه إبليس فرغّبه في الخير وحضّه عليه. وقال له: لو كنت تكلمها
٢٠ وتحدّثها، فتأنس بحديثك، فإنها قد آستوحشت وحشة شديدة، فلم يزل به حتّى حدّثها

زمانا، يطلُعُ إليها من فوق صومعته. ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فقال له: لو كنت تنزل
إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدّثها، وتقعد على باب بيتها فتحدّثك، كان آنسَ لها.
فلم يزل به حتّى أنزله فأجلسه على باب صومعته يحدّثها، وتخرُج الجارية من بيتها حتّى
تقعُد على بابها. فلبثا زمانا يتحدّثان. ثم جاءه إبليس فرغّبه فى الخير، فقال: لو خرجت
من باب صومعتك فجلستَ قريبا من بيتها فحدّثتها، كان آنَسَ لها. فلم يزل به حتّى ٥
فعل. فلبثا بذلك زمانا. ثم جاءه إبليس فقال: لو دَنَوْتَ من باب بيتها، ثم قال:
لو دخلت البيت فحدّثتها ولم تتركها تُبْرِز وجهها لأحدٍ، كان أحسنَ، فلم يزل به حتّى
دخل البيت فجعل يحدّثها نهاره كله. فإذا أمسى صَعِد فى صومعته. قال: ثم أتاه
إبليس بعد ذلك، فلم يزل يزيّنُها له حتّى ضرب العابدُ بيده على فخِذها وقبّلها. ثم لم يزل
يحسنها فى عينه ويُسوّل له حتّى وقع عليها فأحبلها، فولدت غلاما. فجاء إبليس، ١٠
فقال له: أرأيت إن جاء إخوتُها، وقد ولَدَتْ منك كيف تَصْنَع؟ فاعمِدْ إلى ٱبنها
فاذبحه وٱدفِنْه، فإنها ستكْتُم ذلك عليك مخافَةَ إخوتها، فقتله. ثم جاءه، فقال:
أتُراها تكتُم ما صنعتَ بها؟ خذها فاذبحها وٱدفنها مع ٱبنها، فذبحها وألقاها فى الحُفْرة.
فمكَثَ ما شاء الله حتّى قفَل إخوتُها من الغزو. فجاءوه فسألُوه عن أختهم فنعاها لهم
وتَرحّم عليها وبكَاها، وقال: كانت خيرَ ٱمرأة، وهذا قبرها. فأتى إخوتُها القبْرَ فبكَوْها ١٥
وترحّمُوا عليها، وأقاموا على قبرها أياما ثم ٱنصرفوا إلى أهاليهم. قال: فلما جنّهم الليلُ
وأخذوا مضاجِعَهم، أتاهم الشيطانُ فى النوم فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم. فأخبره
بقول العابد وبموتها. فكذّبه الشيطانُ، وقال: لم يَصْدُقْكُم أمْرَ أُختكم. إنه أحبلها
وولدتْ منه غلاما فذبحه وذبحها معه فَرَقًا منكم، وألقاهما فى الحُفْرة خلفَ باب (٧٤)
البيت. وأتى الأوسط فى منامه، فقال له مثلَ ذلك، ثم أتى أصغرهم، فقال له مثل ٢٠

ذلك . فلما استيقظ القوم ، استيقظوا متعجبين لما رآه كل واحد منهم . فأقبل بعضهم على بعض يقول : لقد رأيتُ عجبا ! وأخبر بعضهم بعضا بما رأى ، فقال كبيرهم : هذا حُلُمٌ ، ليس هذا بشيء ، فامضُوا بنا ودعُوا هذا ، فقال أصغرهم : لا أمضي حتى آتيَ ذلك المكانَ فأنظرَ فيه ، فانطلقوا فبحثوا الموضع ، فوجدوا أُختهم وابنَها مذبوحينِ . فسألُوا عنها العابد ، فصدّق قولَ إبليس فيما صنع بهما . فاستعدَوْا عليه مِلكهم فأُنزِل من صومعته وقدّموه ليَصْلُبوه . فلما أوثقوه على الخشبة ، أتاه الشيطانُ ، فقال له : قد علمتَ أني صاحبك الذي فتنتك في المرأة حتّى أحبلتَها وذبحتها وابنَها ، فإن أنت أطعتَني اليوم وكفرْت بالله الذي خلقك ، خلّصْتك مما أنت فيه ، فكَفَر العابدُ بالله . فلما كفَر ، خلّى الشيطانُ بينه وبين أصحابه فصَلَبوه .

قال وهب : ففيه نزلت هذه الآية : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ .

نسأل الله العافية من فتنتهن ، ونعوذ به من الشيطان الرجيم .

* * *

وأما ماجاء في ذم الزنى . فكفى به ذمّا قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لايَسْرِقُ السارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهوَ مُؤْمِن ، ولايَزْني الزّاني حِينَ يَزْني وهُو مُؤْمِنٌ" الحديث

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ياأُمّةَ محمد ، ما أحَدٌ أغْيَرَ من الله أن يَرى عبْدَه أو أمتَهُ تَزْني" .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "اشتدَّ غضَبُ الله تعالى على الزُّناة" .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الإيمانَ سِرْبال يُسَرْبِلُه الله مَنْ يَشَاء . فإذا زنى العبدُ نُزِع منه سِرْبالُ الإيمانِ . فاذا تاب رُدَّ علَيْه " .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما مِنْ ذنبٍ بعدَ الشِّرْكِ أعظَمَ عند الله من نُطْفةٍ وضَعَها رجلٌ فى رَحِمٍ لايَحِلُّ له" .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إيَّاكُمْ والزِّنا ، فإنَّ فى الزنا ستَّ خِصَال ، ثلاثٌ فى الدنيا ، وثلاثٌ فى الآخرة : فأما اللواتى فى الدنيا ، فذَهَاب نُور الوجْهِ ، وآنقطاعُ الرِّزْق ، وسُرْعة الفَنَاء ؛ وأما اللَّواتى فى الآخرة ، فغَضَبُ الربِّ ، وسُوءُ الحِسَاب ، والخُلُودُ فى النار . إلا أن يشاءَ الله تعالى" .

وعن عبد الله قال : قلت : يارسول الله أىُّ الذنب أعظَمُ ؟ قال : "أن تجعَلَ لِلهِ نِدًّا ، وهو خلَقَكَ ! " قلت : ثم أىّ ؟ قال : "أن تَقْتُلَ ولَدَكَ من أجل أن يَطْعَمَ مَعَكَ" . قلت : ثم أىّ ؟ قال : "أن تَزْنِى بحليلةِ جَارِكَ " .

والأحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة .

* * *

وأما ماجاء فى النهى عن النظر إلى المُرْدان ومجالستهم . روى عن أبى السائب انه قال : لَأَنَا على القارئ من الغُلام الأمْردِ أخوفُ منِّى عليه من سَبْعينَ عَذْراء . وفى لفظ عنه : لَأَنَا أخوف على عابد من غلامٍ أمردَ من سبعين عَذْراءَ .

وعن سعيد بن المسيب أنه قال : إذا رأيتم الرجل يلحّ النظر إلى غلام أمرد، فاتّهموه .

وكان سفيان الثوريّ رضي الله عنه لايَدَع أمردَ يجالسه .

وعن يعقوب بن سوال قال : كنا عند أبي نصر بشر بن الحارث، فوقفَتْ عليه جاريةٌ مارأينا أحسنَ منها ، فقالت ياشيخ : أين مكانُ باب حَرْب؟ فقال لها : هذا الباب الذي يقال له بابُ حَرْب، ثم جاء بعدها غلام فسأله ، فقال له ياشيخ : أين مكانُ باب حرب؟ فأطرق بشرٌ، فردّ عليه الغلامُ السؤالَ فغمّض عينيه، فقلنا للغلام : أيَّ شيء تريد ؟ فقال : باب حرب، فقلنا : بين يديك، فلما غاب، قلنا ياأبا نَصْر، جاءتك جاريةٌ فأجبتها وكلمتها، وجاءك غلام فلم تكلمه؟ فقال: نعم، يروى عن سفيان الثوريّ أنه قال: مع الجارية شيطانٌ، ومع الغلام شيطانان، فخشيت على نفسي من شيطانَيْه .

وعن أبي سعيد الخراز، قال: رأيت إبليس في النوم، وهو يتزعّى ناحية، فقلت: تعالَ، فقال: أيَّ شيء أعمل بكم؟ أنتم طَرَحتم عن نفوسكم ماأخادعُ به الناسَ، قلت ماهو؟ قال : الدنيا، فلما ولّى، التفت إليّ فقال : غير أن لي فيكم لطيفةً، قلت: ماهي؟ قال : صحبةُ الأحداث .

وعن مظفر القِرْميسِينيّ، قال: من صَحِب الأحداث على شَرْط السلامة والنصيحة، أدّاه ذلك إلى البلاء، فكيف من صَحِبهم على غير وجه السّلامة ؟

وقد ذكر أبو الفرج في كتابه المترجم "بذم الهوى" من افتتن بالأحداث، وصرح بأسمائهم ، فلم نُؤْثِر التعرّض لذلك ، لما فيه من التشنيع عليهم والإذاعة لمساويهم .

*
* *

وأما ماجاء فى التحذير من اللواط وما ورد فى سِحَاق النساء، روى عن آبن عباس رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَلْعونٌ ملعونٌ من عَمِل بعَمَلِ قومِ لُوطٍ" . وعنه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لَعَن اللهُ من عَمِل عَمَلَ قومِ لوط" . ٥

وعن جابر بن عبد الله، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إنّ أخوفَ ماأخافُ على أُمّتى عملُ قومِ لُوطٍ" . وفى لفظ آخر عنه صلى الله عليه وسلم : "إن أخْوفَ ما أخافُ على أُمّتى من بعدِى عمــلُ قَوْمِ لوط ، ألَا فلْتَترَقّبْ أمتى العذابَ إذا كان الرجالُ بالرجال والنساءُ بالنساءِ" .

وعن آبن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ١٠
"لاينظُرُ الله إلى رجل أتى رجُلًا أو آمرأةً فى دُبُرِها" .

وعن عبد الله بن عمَرَ رضى الله عنهما، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لم يَعْلُ خَلٌ خَلًا حتّى كان قومُ لوط، فإذا عَلَا الفحلُ الفحلَ، آرتجّ أو آهتزّ عرش الرحمن عز وجل، فاطّلعت الملائكة تعظيما لفعلهما، فقالوا : يارب، ألا تأمُر الأرضَ أن تَغُورَ بهما، وتأمرُ السماءَ أن تَحْصِبَهما، فيقول الله تعالى : إنّى حليم لايفوتُنِى شىءٌ" . ١٥

وعن سِماك بن حَرْب، عن عبد الله بن عبــاس رضى الله عنهــما أنه قال : إن الرجلَ ليأتِى الرجلَ فَتضِجُّ الأرضُ من تحتهما، والسماءُ من فوقهما، والبيت والسقفُ، كلهم يقولون : أىْ ربِّ، آئذَنْ لنا ينطبِق بعضُنا على بعض فنجعلَهم نَكَالا ومُعتبَرا ، فيقول الله عز وجل : إنهم وَسِعهُم حِلْمِى ولن يَفُوتُونِى .

وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول : لو أنَّ رجلا عَبَث بغلام بين إصبعين من أصابع رجليه يريد الشهوةَ، لكان لوّاطا .

وروى عن مكحول عن واثلة بنِ الأسقع أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "سِحَاقُ النساء زِنًى بينهن" .

٥

وأما ماورد في عقوبة اللائط والمَلُوط به في الدنيا والآخرة :

أما عقوبة الدنيا، فقد جاء بها نصُّ القرآن في قصة قوم لوط، وشَرْح أفعالهم، وما عذبوا به في آي كثيرة .

وجاء في الأحاديث النبوية، على قائلها أفضل الصلاة والسلام، في عقوبة اللائط والملوط به ما يدل على التغليظ والتشديد . ١٠

فمن ذلك ما رُوِى عن عكرمة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيمن عَمِل عَمَلَ قومِ لوط : يُقْتَلُ الفاعلُ والمفعولُ به، وفي لفظ آخر عن ابن عباس عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم : اقْتُلُوا الفاعلَ والمفعولَ به، في عَمَل قوم لوط .

١٥ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ عَمِل بعمل قومِ لُوط فاقتُلُوه" .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ وَجَدْتُموه يعملُ عملَ قومِ لُوط ، فارجُمُوا الأعْلى والأسفَلَ" .

وعن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليد كتب إلى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه، أنه وجد رجلا فى بعض الأضاحى ينكح رجلا كما تنكح المرأةُ . فجمع أبو بكر رضى الله عنه لذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ، فيهم علىّ بن أبى طالب، وقال : إن هذا ذنب لم تعمل به أمّة إلا أمّة واحدة . ففعل الله بهم ما قد علمتُم . أرى أن نُحرِّقه بالنار، فاجتمع رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يُحرّق بالنار . فأمر به أبو بكر رضى الله عنه أن يُحرّق بالنار. وقد حرّقهم عبد الله بن الزبير، وهشام بن عبد الملك .

— وعن يزيد بن قيس أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه رَجَم لُوطِيًا .

— وعن سعيد بن زيد قال : سئل عبدُ الله بنُ عباس رضى الله عنهما، ما حدُّ اللوطىّ؟ قال : ينظر أعلى بيت فى القرية فيرمى منكّسا ثم يُتْبَع بالحجارة .

وللتابعين ولأئمة العلماء فى ذلك أقوال :

فمنهم من رأى أن حدّه كحدّ الزنا ، وفرّق بين المُحصَن وغير المُحصَن .

ومنهم من رأى أن حدّه القتلُ أحصَنَا ، أو لم يُحصِنا .

روى سفيان عن جابر عن الشعبىّ أنه قال : اللُّوطىّ يرجَمُ ،أَحْصَن أو لم يُحْصِن .

وعن ابن أبى نَجيح عن عطاء قال : حدُّ اللوطىّ حدُّ الزانى ، وإن أُحْصِن رُجِم ، وإلا جلد . وبه قال الهيثم .

وعن قتادة عن الحسن أنه قال فى الرجل يخالط الرجل : إن كان أُحْصِنَ ، جلد ورجم ، وإن كان لم يُحْصِن ،جلد ونُفِى .

وعن مالك بن أنس عن الزهرى قال : يُرْجَم ،أَحْصَن أو لم يُحصِنْ .

وعن الطيالسىّ قال : حدّثنا إسحاق الكَوْسج ، قال : قلت لأحمد بن حنبل : أيرجم اللوطى، أحْصَن أو لم يُحْصِن؟ قال : يرجم، أَحْصن أو لم يُحْصِن .

وقد روى عن أحمد بن حنبل أن حدّ اللوطىّ كحدّ الزانى ، يختلف بالثّيوبة والبَكَارة، وهو قول محمد عن الشافعىّ .

٥ وقال الحكم : يُضرَب اللوطىّ دون الحدّ . قال آبن الجوزىّ : وإلى هذا مال أبو حنيفة .

وأما مذهب آبن حزم الظاهرىّ فإنه لايضرب فى اللّواط فوقَ عشرة أسواط .

وقال النخعىّ : لو كان أحد ينبغى أن يُرجم مرتين، لكان ينبغى أن يرجم اللوطىّ مرتين .

١٠ وحكى أبو الفرج بن الجوزىّ، قال : أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت : أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، قال : أخبرنا عبد العزيز بن علىّ، قال : أخبرنا علىّ بن جعفر الصوفى، قال : سمعت الموازينى يقول : قال لى رجل من الحاج : مررت بدور قوم لوط، وأخذتُ حجرا مما رُجِمُوا به، فطرحته فى مخلاة. ودخلت مصر. فنزلت فى بعض الدور فى الطبقة الوسطى . وكان فى سُفْل الدار حَدَثٌ . فأخرجت الحجر من خُرْجى، ١٥ ووضعته فى رَوْزَنة فى البيت . فدعا الحدث الذى كان فى البيت صبيا إلى عنده وآجتمع معه، فسقط الحجر على الحَدَث من الروزنة، فقتله .

وقال أيضا : أخبرتنا شهدة، قالت : أخبرنا جعفر بن أحمد، قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن عثمان بن مكىّ، قال : أخبرنى جدّى أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن أحمد، قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشا المقرى، قال : سمعت أبا عبد الله

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : خرجتُ حاجًّا إلى مكة . فلما كانت ليلةُ عرفاتَ، رأى الإمامُ الذى حَجّ بنا تلك الليلةَ منامًا . فلما صِرْنا إلى مكةَ بعد انقضاء الحج، سمعنامناديا ينادى فوق الحجر : أنصتوا يامعشر الحجيج ، فأنصتَ الخلقُ، فقال : يامعشر الحجيج، إن إمامكم رأى أن الله عز وجل قد غفر لكل من وافى البيتَ العامَ إلا رجلًا واحدا فإنه فَسَق بغلام .

* * *

وأما عقوبته فى الآخرة، فقد رُوِى عن أبى سلمة عن أبى هريرة وعبد الله ابن عباس رضى الله عنهم ، قالا : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فى خطبته : "مَن نَكَح امرأةً فى دُبُرِها أو غُلامًا أو رَجُلا، حُشِر يوم القيامةِ أنْتَنَ من الجيفة، يتأذّى به الناسُ حتّى يُدْخِلَه الله نارَ جهنم . ويُحبِطُ الله عملَه ،ولا يقبلُ منه صَرْفا ولا عَدْلا . ويُجعلُ فى تابوتٍ من نار، ويُسَمَّر عليه بمساميرَ من حديد من نار، فتشتبك تلك المسامير فى وجهه وفى جَسَده" . قال أبو هريرة : وهذا لمن لم يَتُبْ .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "سبعةٌ لاينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامة ولا يُزكّيهم ولا يجمَعُهم مع العالمين، يَدْخُلونَ النارَ أوّلَ الداخلين إلا أن يتوبُوا ؛ فمن تاب، تاب الله تعالى عليه : الناكح يَدَه، والفاعلُ والمفعولُ به، ومُدْمِنُ خمرٍ، والضاربُ أبويْهِ حتّى يستغيثا، والمؤذى جيرانَهُ حتّى يلعنوه، والناكِحُ حليلةَ جاره" .

وعن إبراهيم بن علقمة عن عبد الله، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللُّوطِيّان لو اغتَسلَا بماء البحر، لم يجْزِهما إلا أن يَتُوبَا" .

وعن أنس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ مات من أُمّتى يعمَلُ عملَ قومِ لُوط، نقلَهُ الله إليهم حتّى يُحْشَر معَهم".

قلتُ: وقد بلغنى من كثير من الناس أن رجلين مشّيا على جانب البِرْكة المعروفة بِبِرْكة قوم لوط، وهى فى غَوْر الكرك على جانبها ضِياعٌ، منها الصافية والاخية وسويمة وغيرها، وتعرف هــذه البركة أيضا بالمنتنة، ويقال إنها إحدى المدن التى خُسِف بها (من مدن قوم لوط)، فجعلا يتباسطان. فكان من جملة ما قالاه أو قاله أحدهما للآخر فلم ينكره: هــذه بِرْكة أصحابنا، فطلعت من البركة مَوجة آختطفَتْهما معــا، وألقتهما فى البركة. فكان آخرَ العهد بهما.

وهذه الحكاية يتداولها أهل تلك البلاد، لا ينكرها سامع منهم على قائل، ولا يبعُد أن يُعاقَب مَن تجاهر بمعاصى الله وآنتسب لمن كفر بالله وعصاه وكذَّب رسولَه أن يعاقبه الله بمــا عاقبهم به ويلحقه بهم. وفى بعض هذا عبرة لمن آعتبر.

ولنرجع إلى سياق ماجاء فى ذلك من الأحاديث والأخبار.

روى أبو الفرج عبــد الرحمن بن الجوزى بســنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنــه أنه قال: سمعت رسول الله صــلى الله عليه وســلم يقول: "مَنْ قَبَّل غُلامًا بشهوة، عذَّبه الله فى النار ألْف سنة، ومن جامعه لم يَجِدْ رائحةَ الجنة، وريحُها يُوجدُ من مَسيرةِ خمسمائة عام، إلا أن يَتُوبَ".

وعن خالد عن إسمعيل بن كَثير عن مجاهد، قال: لو أنــ الذى يعمل ذلك العملَ (يعنى عمل قوم لوط) آغتسل بكل قَطْرة فى السماء وكلّ قطرة فى الأرض، لم يزل نجسا.

وعن عَبَّاد بن الوليد العنبرىّ قال : سمعت إبراهيم بن شَمَّاس يقول : سمعت الفُضَيل بن عياض يقول : لوأنّ لُوطِيًّا آغتسل بكل قَطْرة من السماء،لَقِىَ الله تعالى غير طاهر .

وعن طلحة بن زيد عن بُرد بن سنان عن أبى المنيب عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : يُحشَر اللوطيون يوم القيامة فى صورة القِرَدة والخنازير . ٥

وعن أبى الصهباء عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم قال : مَن خرج من الدنيا على حالٍ ، خرج من قَبْره على تلك الحال ، حتّى إن اللوطىّ يخرج يعلق ذكره على دبر صاحبه مفتضحين على رءوس الخلائق يوم القيامة .

هذا ما أمكن إيراده فى هذا الفصل على سبيل الآختصار والإيجاز ، وإلا فالأخبار فى العشق وتوابعه ومايتولد عنه كثيرة جدّا ، ووقفنا منها على كثير ، ولا يحتمل أن ١٠ يُورد فى الكتب الشاملة لفنون مختلفة أكثرُ مما أوردناه . فلنذكر الآن نبذة مما قيل فى الغزل والنسيب .

ذكر نبذة مما قيل فى الغَزَل والنسيب

هذا الباب — أكرمك الله وعافاك ، ووقاك من فتنته وكفاك — بابٌ متسع ، قد أكثر الشعراء القول فيه ، وتنوّعوا فى أساليبه ومعانيه ؛ لو آستقصيناه لطال به ١٥ هذا التصنيف ، وآنبسط هذا التأليف ؛ وكان بمفرده كُتُبا مبسوطة وأسفارا كبيرة ، فلخصنا منه دررا نفيسة وأعلاقا خطيرة ؛ وآقتصرنا منه على ما رَقّ معناه وراق ، وحَسُن لفظه وشاق ؛ وآرتاحت إليه النفوس ، وتحلت به الطروس ؛ ولحَنه النواظر ، وآنجذب إليه الخواطر . وقد تنوّع الشعراء فى الغَزَل : فتغزّلوا فى المحبوب باسمه ،

وكَنَوْا عنه واستعاروا له ، ووصفُوا أعضاءه وشبهوها بأشياء ، فشبهوا العيون بالنَّرجس ، وأفعالَها بالخمر والسِّهام ، وشبَّهوا الحواجب بالقِسِىّ ، والجبين بالصَّباح ، والشُّعور بالليالى ، والسَّوالف بالعَوالى والصوالج والعقارب ، وشبهوا الوجه بالشمس والقمر ، وشبهوا الخدود بالورد والتُّفاح ، وشبهوا الثُّغور بالأُقْحُوان ، والمُلَى بالخَمْر ، والريق بالشَّهد ، والشِّفاهَ بالعقيق ، والأسنان باللُّؤلؤ ، وشبهوا النُّهود بالرُّمَّان ، والقَوام بالغُصون ، والأرداف بالكُثْبان . وغير ذلك . وقد تقدّم إيراد ذلك كله مستوفًى فى موضعه ، وهو فى الباب الذى قبل هذا الباب .

وتغزلوا أيضا فى أصناف الفواكه المأكولة والمشمومة ، وتغزلوا فى الرياض والأزهار .

وسنورد إن شاء الله ذلك فى موضعه ، وهو فى القسم الثانى والثالث والرابع من الفن الرابع من كتابنا هذا ، فى السفر العاشر من هذه النسخة .

فانورد الآن هاهنا من باب الغزل والنسيب خلاف ما قدّمنا ذكره مما ذكرناه وما نذكره إن شاء الله تعالى .

والذى نورده فى هذا الباب نبذة مما قيل فى المذكر ، والمؤنث ، والمُضْمَر ، والمشتَرَك ، وطَيْف الخيال ، والرّد على العَذول ، ورُجُوع العذول ، والوصل ، والعِناق ، والبَيْن ، والتوديع ، والصدّ ، والهِجْران ، وما قيل فى الزيارة وتخفيفها ، والدموع ، والمدامع ، والرضا من المحبوب باليسير ، والنُّحول ، وما قيل فى المحبوب إذا تعتَّق ، وما قيل على لسان الورقاء ، والمرجعات ، والمردوف ، والمخمس ، والموشحات .

فمما قيل فى المذكر

قال العماد الأصفهانى الكاتب :

وأحور يسبى بطرف يكل * وتخجل منه الظبا والظباء،
بخديه من حسنه والشباب * تجمع ضدان : نار وماء،
وفى مقلتيه وقد صحتا * كما صحتا سقم وانتشاء،
عففت وعفت الحيا فى هوا * ه حتى استوى صده واللقاء،
وكل حياء يذود العفا * ف عن وده، فعليه العفاء!

وقال آخر :

وكأن بهجة وجهه فى شعره * قمر بدا فى ليلة ليلاء،
وكأن عقرب صدغه فى خده * وقفت مخافة ناره والماء،
قمر رجوت من الزمان وصاله * يوما، فأخلف بالصدود رجائى!

وقال عبد الجليل بن وهبون :

وافت به غفلة الرقيب * والنجم قد مال للغروب،
نشوان قد هزت الحميا * منه قضيبا على كثيب !
يعثر فى ذيله فيحكى * عثرة عينيه فى القلوب !
والله لو نالت الثريا * ما نال من بهجة وطيب،
دنا إليها الهلال حتى * قبل فى كفها الخضيب !

وقال ابن حجاج :

ومذلل : أما القضيب تقده * شكلا وأما ردفه فكثيب!
يمشى وقد فعل الصبا بقوامه * فعل الصبا بالغصن، وهو رطيب،

مُتلوِّنٌ يُبدي ويُخفي شخصَه ... كالبدرِ يطلُع تارةً ويغيبُ.
أرمي مَقاتِلَه فتُخطئُ أسهُمي ... غرضي، ويرمي مُهجتي فيُصيبُ!
نفسي فداؤك! إنَّ نفسي لم تزَلْ ... يحلُو فداؤكَ عندها ويطيبُ!
مالي ومالَكَ لا أراكَ تزورُني ... إلا ودُونَكَ كاشحٌ ورقيبُ!

٥ وقال أبو نُوَاس:

شَبيهٌ بالقضيبِ وبالكثيبِ! ... غريبُ الحسنِ ذو دَلٍّ غريبِ!
بعيدٌ، إن نظرتَ إليه يوماً ... رجعتَ وأنتَ ذو أجلٍ قريبِ!
ترى للصَّمتِ والحركاتِ فيه ... سُواراً لا يُذادُ عن القلوبِ.
ويمتحنُ القلوبَ بمقلتيهِ ... فينكشفُ البريءُ من المُريبِ!

١٠ وقال الوأواء الدمشقي:

بدرٌ تقنَّــع بالظَّلا ... مِ على قضيبٍ في كثيبِ!
تدعو محاسنُه القلو ... بَ إلى مُشاهدةِ الذنوبِ.
فعلَتْ به ريحُ الصَّبا ... ما ليس تفعلُ بالقضيبِ.
عُقِلتْ ركائبُ حُسنِه ... بعقولنا عند المَغيبِ.
وتلطَّمتْ وجَناتُنا ... بيد الدموعِ من النَّحيبِ!

١٥ وقال الأمير تاج الملوك ابن أيوب:

سَلَبَ الفؤادَ فلا عدمتُ السالبا! ... ورنا، فكان اللحظُ سهماً صائبا!
قمرٌ مشارقُه الجيوبُ، فلا ترى ... أبداً له إلا القلوبَ مغاربا!
ملكَ الفؤادَ بمقلتينِ وحاجبٍ ... أمسى لحُسنِ الصبرِ عنِّي حاجبا.
٢٠ وحكى القضيبَ شمائلاً عبثَتْ به ... أيدي النسيمِ شمائلاً وجنائبا!

وقال أيضا :

يا أيها البدرُ الّذى * مَطْلَعُهُ طَوْقُ القَبَا !
يا جَنّةَ القلب الّذى * أضرمَ فيه لَهَبَا !
فَدَّيتُ هذا الوجهَ، ما * أَحْسَنَه وأعجبا !
لم تَرَ عينى قَبْله * صُبْحا تردّى غَيْهبا !

وقال أبو نُوَاس :

يا بِدْعةً فى مِثَالٍ * يحُوزُ حدَّ الصِّفات !
فالوجهُ بدرُ تَمامٍ * بعَيْنِ ظَبْىٍ فَلاةِ !
والقَدّ قدُّ غُلامٍ * والغَنْج غَنْج فَتاة !
مذكّر حين يبدُو، * مؤنّثُ الخَلَوات !
زَهَا عَلَىَّ بصُدْغٍ * مُزَرْفَن الحَلَقات.
مِنْ فوق خَدٍّ أسِيلٍ * يُضىءُ فى الظُّلُمات !

وقال كُشاجِم :

مُعْتَدِلٌ من كُلِّ أعطافه ! * مُسْتحسَنُ الإقبال والمُلْتَفَتْ !
لو قبستِ الدُّنيا ولَذّاتُها * بساعةٍ من وصله، ماوفَتْ !
سُلِّطت الألحاظُ منه على * قلبى، فلوأَوْدَتْ به ما آشتَفَتْ !
وآستعذَبَتْ رُوحِى هواه فما * تسلُو ولا تَصْحُو، ولو أُتلِفَتْ !

وقال فضل الرَّقاشىّ :

وشاطرٍ فاتكِ الشّمائلِ قَدْ * خالَطَ منه المجونُ تخنيثا.
تراه طَوْرا مذكّرا، فإذا * عاقَرَ راحا، رأيتَ تأنيثا.

ألثغُ إن قلت يافديتك : قُلْ « مُوسى » يقُلْ من رُطوبة : مُوثا .
ما زال حتّى الصباح معتنقي مُطارحي في الدُّجى الأحاديثا .

(١٦)

وقال كُشاجم :

بليتُ بوجْدين[1] وجْدي بظَبْي يَصُد . وما به إلا الْحَاجُ .
وعذَّبني قضيبٌ في كَثِيب تَسَاوى فيه لِينٌ وآنْدماجُ .
٥ أغارُ إذا دَنَتْ مِنْ فيه كأسٌ * على دُرٍّ يقبِّلُه زُجَاجُ .

وقال أيضا :

ياَلَقومي ! مَنْ لمُكْتَئِبٍ دمعُه في الخدّ مُنْسَفِحُ ؟
لامَهُ العُذَّال في رَشَإٍ عُذْرُه من مثلِه يَضِحُ .
١٠ وآدعوا نُصْحِي ! وأخْوَنُ ما كان عُذَّالي إذا نَصَحُوا !
خوَّفوني من فَضِيحَته . لَيْتَه وافى وأفْتَضِحُ !
كيفَ يسلُو القلبُ عن غُصُنٍ ، عَلَّه من مائِه المَرَحُ ؟
ذهبيُّ الحُسْن تحسَبُ من وجنَتَيْه النارَ تَقتدحُ !
وكأنّ الشمسَ نِيطَ لها قمرٌ يَمْناه والقَدَحُ .
١٥ صَدّ أنْ مازَحْته غَضَبا ! ما على الأحباب إنْ مَزَحُوا ؟
وهو لايدري لنَخْوتِه أننا في النَّوْمِ نَصْطَلِحُ !
ثُمَّ لا أنسى مقالَتَه : أطُفَيلِيٌّ ومقْترِحٌ ؟

(١) كذا في الأصول ، وهو محرف ورديء شعري ، والذي في ديوان كشاجم المطبوع :
بليت ولَمّا ... وجد ... ذئب ...

وقال تاج الملوك ابن أيوب :

فَديتُ وجهَ الحبيب بَدرا! * والبَدرُ يَفدى، وليس يَفدى!
سَبى فؤادى بليلِ شَعرٍ * وصُبحِ وجهٍ وغُصنِ قَدّ.
فى فَمِه عَنبرٌ مُدافٌ * فى قهوةٍ خُولِطَتْ بشَهْد.
كأنّما خَدُّه شقيقٌ، * نُقِّط مِنْ خالِه بنَدّ.
ظَبْيٌ من التُّرك ذُو دَلال * يَستَحسِنُ الجورَ والتعدّى.
كأنّه غُصنُ خيزُرانٍ، * إذا انثنى أو قَضيبُ رَنْد.
يَحُلّ فى الحُبّ عَقْد صَبْرى * إن شَدّ فى الخَصر عقد بَنْد!

وقال أبو نُوَاس :

أيا مَنْ بُحبّى علَىّ اجترى؟ * ومَنْ بلسانى علىّ افترى؟
ومَنْ بيَدى غَلّنى للهوى، * فأصبحتُ للحُبّ مستأسِرا؟
أمَا والذى جَعل المُستَهام * صَدِيقَ السُّهادِ عَدُوّ الكَرى!
لقد ذهبَتْ مُهجتِى باطلًا، * لئن متُّ منك على ما أرى!

وقال آخر :

ومُهَفهَفٍ طاوِى الحَشَا * خَنِثِ المَعَاطِف والنظَرْ!
مَلأ القلوب بصُورةٍ * تُلِيَت محاسِنُها سُوَرْ!
فإذا رَنَا وإذا شَدَا * وإذا سَقى وإذا سَفَرْ:
فَضَح الغَزالَة والحَمَـامة والمُدامةَ والقَمَرْ!

وقال آخر :

إذا أكثَرَ الواشُونَ فينا مَقَالَهُم * وليس لهمْ عِندى وعندَك من ثار،

وشَنُّوا على أسماعِنا كُلَّ غارةٍ وقَلَّتْ حُماتِي عِندَذاكَ وأنْصارِي .
لَقِيناهُمُ من مُقْلَتَيْكَ وأدمُعِي وأنفاسِنا بالسَّيفِ والسَّيْلِ والنار .

وقال آخر ، من شعراء اليتيمة :

وأغَنَّ أغيدَ حُبُّه مستأنس لِي ، وَهْو نافِرْ !
٥ إنْ قُلتُ : زُرْنِي ! قال : نَعَمْ ، فالطَّيْفُ ليس يَزُور ساهِرْ !
كيفَ السبيلُ إلى الرُّقا دِ كما رَسَمْتَ ، وأنت هاجِرْ ؟
ويقولُ لي فيما يقو لُ : نَعَمْ ! وما للقولِ آخِرْ !
حتَّى أُشاوِرَ ! قلت : لـكِنِّي هوِيتُ ولم أُشاوِرْ !

وقال تاج الملوك :

١٠ يا قمرًا أقبلَ يَسْعى على دعْصٍ من الأغصانِ مَهْزُوزْ !
وصْلك ، واويلي ! على طِيبِه أصبحَ ذا مَنْعٍ وتَعْزيزِ .
ما كانَ إلا بَيْضةَ الدِّيك لي أو مَطْرةً في شهرِ تَمُّوز .

وقال أبو نُوَاس :

عَذَّبَنِي قلبِي بمَنْ قَلْبُه للصَّبِّ مثلُ الحَجَر القاسِي .
١٥ أحْورَ فَتَّانٍ قَضُوفِ الحَشا أغْيَدَ مثلِ الغُصْنِ مَيَّاسِ .
أبِيتُ لَيْلِي ونهارِي معًا مُعَلَّقًا منه بوَسْواسِ .
إنِّي وإنْ لم يَكُ لي نائلٌ منه لأَرْجُوه على يَاسِ .

وقال سيف الدين المشدّ :

إلى قَدِّك اللَّدْنِ يُعْزى الهَيَفْ ! فما هبَّتِ الرِّيحُ إلا انعطفْ !
٢٠ قَوامٌ أرادَ قَضيبُ النَّقا يُحاكيه ، لمَّا انثنى ، فانقصَفْ !

فيارَامِيًا قد رَمانِى هَواهُ ... بنار الأَسى فى بحار الأسَف!
سِهَامُ جُفونِك قلبى غَدَا ... لها غَرَضًا، وضُلُوعى هَدَف.
وأوردتَنِى فى الهَوى مَوْرِدًا ... تجرّعتُ فيه مَرِيرَ التَّلَف.
وأعرضتَ عنِّى، ولاذَنْبَ لِى! ... فكَمْ ذا الدّلال! وكَمْ ذا الصَّلَف!
ومُخْطَفُ خَصْرٍ على رِدْفه، ... فكلُّ فُؤادٍ به مختطَف!

(٨٠)

٥

وقال أبو القاسم العطار :

وبِى غَزالٌ، إذا صادَفت غِرَّتَهُ ... جنَيْتُ من وجْنَتَيْه رَوضةً أُنُفَا!
كالبَدْر مكتَمِلا، كالظَّبْى ملتفتا، ... كالروض مُبْتَسِما، كالغُصن مُنْعطفا!

وقال تاج الملوك :

ياقمرًا فى غُصُنٍ من بانَةٍ، ... يَميلُ عُجْبا فى كَثِيبٍ من نقا!
أصبح قَلْبُ المُستهامِ مَغْرِبا ... له، وأطْواقُ القَبَاءِ مَشْرِقَا!
أغيَدُ، لا يَقْصد إلّا تلفِى! ... ولم يَزَلْ قاسِى به مُعلَّقا.
ذكَّرنِى حسنُ ٱبتسامِ ثَغْرِه الْـ ... ـواضِح لَمْعَ البَرْقِ إذ تَألَّقا.
وطالَما ذكَّرنِى رُضابُه الْـ ... ـباردُ صِرْفَ الراح إذ تَعَتَّقا.
أغنُّ، مافَوّقَ سَهْمَ لَحْظِه ... إلا أصاب القَلْبَ لَمَّا فَوّقا.
حاجبُه قوسٌ ولَحْظُ عينِه ... سهمٌ، فما يُخْطِى إذا مارَشَقا.

١٠

١٥

وقال أبو نُوَاس :

حالَ ماءُ الشّباب فى خَدّيكا، ... وتَلألَا البَهاءُ فى عارضَيكا.
ورمى طَرْفُك المُكَحَّلُ بالسِّحْـ ... ـرِ فُؤادى فصار رَهْنا لدَيْكا.

أنا مستهترٌ بحبّك صبٌّ ... لستُ أشكو هواك إلّا إليكا.

يا بديعَ الجمالِ والحسن والدّلّ، حياتي وميتتي في يديكا.

بأبي أنتَ! لو بُليتَ بوجدي ... لم يهُن مالَقيتُ منك عليكا!

أصبحتْ بالهوى سِهامُ المنايا ... قاصداتٍ إليّ من عينيكا!

وقال أيضا :

يا مَنْ جَدَاه قليلُ ... ومَنْ بَلَاه طويلُ!

ومَنْ دعاني إليه ... طَرْفٌ أحَمُّ كحيلُ.

وواضحُ النبْتِ يَحْكي ... مزاجَهُ الزّنجبيلُ.

ووَجْنَةٌ جائلٌ ما ... ؤُها وخدٌّ أسيلُ.

وغُصْنُ بانٍ تثنّى ... قدّا، وردْفٌ ثقيلُ.

ويجمعُ الحسنَ فيه ... وجْهٌ وَسيمٌ جَميلُ!

فكُلُّ ناحِيَةٍ من ... قَلْبي إليه تميلُ!

وقال الوأواء الدمشقي :

رماهُ رِيمٌ فأصا ... بَ القلْبَ منه إذ رمى.

واحتَجَّ في قَتْلتِه ... بأنّه ما عَلِما.

يا معشرَ الناسِ! أما ... يُنْصِفُني مَنْ ظَلَما؟

علّمَ سُقْمُ طَرْفِه ... جِسْمِيَ منه سَقَما.

فسُقْمُ جِسْمِي في الهوى ... من طَرْفِه تعلّما.

لو قِيلَ لي: ما تشتَهِي؟ ... مخيّرًا محكّما.

لقلتُ أنْ ألثُمَه: ... نَحْرًا ووَجْهًا وفَمًا!

وقال الوزير أبو مروان عبد الملك بن جَهْوَر :

أحْوى النواظِرِ، ألْعَسُ الشَّفتين، عذْبُ الرِّيق، ألْمَى !

لو زارَنِى طَيْـــفٌ له * عِنْد الهُجُوع ولو ألَمَّا،

لأفادَ رُوحا أو لفـــرَّجَ من هُمُوم النفس هَمَّا !

وقال آخر :

وأهيفَ، مهزوزِ القَوَام إذا انْثَنَى * وهبْتُ لعُــذْرى فيه ذَنْبَ اللَّوائم.

بثغرٍ كما يبدُو لك الصُّبْحُ باسِمٍ، * وشعرٍ كما يبدُو لك الليـلُ فاحِمٍ.

مَلِيحِ الرضا والسُّخط، تلقاه عاتبًا * بألفـاظِ مظـلومٍ وألحـاظِ ظالِمٍ.

وممـا شجَـانى أنَّنِى يومَ بَيْنِهِـمْ * شكوتُ الذى ألقى إلى غير راحِمٍ.

وحَمَّلتُ أثقالَ الجَوى غيرَ حاملٍ * وأودعتُ أسرارَ الهوى غيرَ كاتِمٍ.

وأبرحُ مالاقيتُــه أنَّ مُتلِفى * بمـا حَلَّ بِى فى حُبِّــه، غيرُ عالِمٍ.

ولو كنتُ مذ بانُوا سهِرْتُ اساهِرٍ * لهانَ، ولكِنِّى سَهِرْتُ لنـائِمٍ.

وقال أبو نُوَاس :

يا رِيمُ هات الدَّواةَ والقلَمَا * أكْتُبُ شَوْقِى إلى الَّذِى ظَلَمَا !

غَضْبانُ قد غَرَّنى رضَاه ولَوْ * يُسْئَلُ ممَّـا غضِبْتَ، ما عَلِما.

فليْسَ ينفَكُّ منــه عاشِــقُهُ * فى جَمْعِ عُذْرٍ لغَيْرِ ما اجترَمَا.

أظَـلُّ يَقظانَ فى تَذَكُّره * حتَّى إذَا نِمْتُ، كان لى حُلُمَا.

لو نَظَـــرَتْ عينُه إلى حَجَرٍ، * ولَّد فيـــه فُتُـــورُها سَقَما !

وقال سيف الدين المشدّ :

وبِى رَشِيقُ القَوامِ لَدْنٌ * لِقَـــدِّه يُنْسَب الرُّدَيْنِى !

ما نظرته العيونُ إلّا * فدته من نظرةٍ وعينِ!
قابَلَ بالكأس وجنتيه، * فقف نجمٌ بنيّرينِ.
وزيّنت كفّه الحميّا! * ما أحسنَ التبرَ في اللُّجينِ!

وقال كُشاجِم :

(٨١)

باللهِ يا مُتفرِّدًا في حُسنِه * ومقلّبًا هاروتَ بينَ مَحاجِرِه!
ومُحَكِّمًا أردافَهُ في خَصرِه، * ومُضاعِفًا خَلْخالَهُ بضفائرِه!
لا تغضبنّ على فتًى يَرضى بما * أوليتَه، ولوِ انتعلتَ بناظرِه.
ويكاتِمُ الأسرارَ حتّى إنه * ليَصونُها عن أن تمرَّ بخاطرِه.

وقال أبو تمام الطائي :

لها، وأعارني ولهَا! * وأبصرَ دِقّتي فزها!
له وجهٌ يعزّ به، * ولي خُرَقٌ أذلُّ بها!
دقيقُ محاسنٍ، وصلتْ * محاسنُ وجنتيه بها.
ألاحظُ حسنَ وجنته، * فتجرحني وأجرحها.

وقال أيضا :

نشرتُ فيك رسيسًا كنتُ أطويه! * وأظهرتْ لوعتي ما كنتُ أخفيه!
إن كان وجهك لي تترى محاسنُه، * فإنّ فعلك لي تترى مساويه!
مرتجّةٌ في تهاديه أسافلُه، * مهتزّةٌ في تثنّيه أعاليه!
تاهتْ على صوَر الأشياءِ صورتُه * حتى إذا كملتْ تاهتْ على التيه!

وقال المخزومىّ :

أىُّ مُحِبٍّ فيك لم أحكِهِ ؟ * وأىُّ لَيْـــلٍ فيك لم أبكِهِ؟
إنْ كان لا يُرْضِيك إلا دمِى، * فقَدْ أذِنَّا لك فى سَـــفْكِهِ !

وقال أبو نُوَاس :

ياقاتِلِى بمِـــــــلالِهْ * ودامِرِى بمِطَـــالِهْ!
و يامُبَـــدِّلَ لَيْـــلِى * قِصـاره بطِـــوَالِهْ !
أعوذُ مِنْـك بوَجْـــهٍ * بدْرُ الدُّجى فى مِثَالِهْ!
لكنّه مِنْــه أحْلى * لحُسنِ موضعِ خالِهْ.
هَلَّا رَحِمْتَ صَرِيعًـا * تحتَ الرّدى وطِلَالِهْ؟
مَنْ لا يُرى منه فوق الـ * ــفراش غيرُ خَيَــالِهْ.
مثلَ الخِلَال نَحِيــلًا * يَخْفَى على عُـــذَّالِهْ.
فَمَنْ بَغَى لكَ سُــوءًا، * فكان فى مِثْلِ حالِهْ !

وقال محمد بن عبد الله السلامىّ، شاعر اليتيمة :

ومُخْتَصِرِ الخَصْر، من بعْدِهِ * هَرَبْتُ فأُلْقِيتُ فى صَدِّه!
وقابَلَنِى وَجْهُــه مُقْبِـلا * بحَـــدِّ الحُسَـامِ وإفرِنْدِه.
فما زِلْتُ أعْصِرُ من خَمْرِهِ * وأقْطِفُ من مُجْتَنَى وَرْدِهِ.
وأظْما فأرْشُفُ من رِيقِهِ! * فياحَرَّ صَــدْرِىَ من بَرْدِه!

وقال أبو هلال العسكرىّ :

أقولُ لَمَّا لاحَ مِن خِدْرِه، * واللّيلُ يُرْخِى الفَضْلَ من سِتْرِهِ:
أبدْرُه أحسَنُ من وَجْهِــه، * أم وجْهُـــه أحسَنُ من بَدْرِه؟

قد مالت الرقةُ في شطره . ومالت الغلظةُ في شطره ،
فأزرُهُ غصّت بأردافه . ووشحُه جالت على خصره ،
أصبحتُ لا أدري وإن لم يكن . في الأرض شيء أنا لم أدره
أشعرُه أحسنُ من قدّه ؟ . أم قدُّه أحسنُ من شعره ؟
٥ ودرّه يؤخذ من لفظه ، . أم لفظه يؤخذ من درّه ؟
وثغرُه ينظمُ من عقده ، . أم عقدُه ينظمُ من ثغره ؟
مَنْ عذيرُ الصبِّ من صدّه ؟ ومن مجيرُ القلب من هجره ؟
ياليته يعرفُ حبّي له ! . عساه يجزيني على قدره !

وقال تاج الملوك بن أيوب :

١٠ ياهلالًا لاح في غصنٍ ، تشرق الدنيا بطلعته !
وغزالًا طالما خضع الأسد الضاري لهيبته !
ما رنا إلّا وجرّد لي صارمًا من لحظ مقلته ،
صل عليلا ، أنت أعلم من كلّ مخلوق بعلّته ،
قد أطالت مقلتاك بلا سبب تعذيب مهجته ،
١٥ كلما لجّت عواذله ، أججت نيران لوعته ،
فتئذ من طول عذلك لي ، لا عذول في محبته !
من بني الأتراك معتدل ، قد تمادى في قطيعته ،
ليس يشفي القلب من ظمأ ، غير رشفي راح ريقته !
لا ، ولا يطفي لظى كبدي غير نقبيل لوجنته !
٢٠ ليت أن الدهر مكّنني بيدي من حلّ تكّته

وقال آخر :

وَمُهَفْهَفٍ! غنَّى يَميـلُ ولم يَمِـلْ * يومًا إلىّ ، فقُلْتُ من أَلَمِ الجَـوى :
لِمَ لا تَميـلُ إلىّ ، ياغُصْنَ النَّقـا؟ * فأجابَ: كَيفَ، وأنتَ من جِهَةِ الهَوى؟

وقال ابن منير الطرابلسىّ :

مَنْ رَكَّبَ البَدْرَ فى صَدْرِ الرُّدَيْنِىِّ، * ومَوَّهَ السِّحْرَ فى حَدِّ اليَمَانِىِّ؟
وأنْزَلَ النَّيِّرَ الأعْلى إلى فَلَكٍ * مَدارُهُ فى القَباءِ الخُسْرُوانِىِّ؟
طَرْفٌ رَنَا أمْ قِرَابٌ سُلَّ صارِمُهُ؟ * وأغْيَدٌ ماسَ أم أعْطافُ خَطِّىِّ؟
وبرقُ غادِيَةٍ أم بَرْقُ مُبتَسِمٍ، * يفْتَرُّ من خِلَلِ الصُّدْغِ الدُّجُوجِىِّ؟
وَيْلاهُ، من فارِسىِّ النَّحْرِ مفتَرِسٍ * بفاتِرٍ أسَدِىِّ الفَتْكِ رِيمِىِّ!
يُكِنُّ ناظِرُه ما فى كِنَانَتِهِ! * فليس يَنْفَكُّ من إقْصادِ مَرْمِىِّ!
أذَلَّنِى بعدَ عِزٍّ ؛ والهوى أبدًا * يَسْتَعْبِدُ الليثَ للظَّبْىِ الكِنَاسِىِّ.
ماماتَ مانِىٌّ[1]، لولا ليلُ عارِضِهِ * ما شَدَّ خيلَ المنايا بالأمانِىِّ.
تَكَنَّفَ الحسنُ منه وجهَ مُشْتَمِلٍ * نِفارَ أحْورَ فى تأنِيثِ حُورِىِّ.
أمَا وذائبِ مِسْكٍ من ذوائِبِهِ * على أعالِى القَضِيبِ الخَيْزُرانِىِّ؟
لوقيل للبَدْرِ: مَنْ فى الأرضِ تحسُدُه؟ * إذا تَجَلَّى، لقال ابْنُ الفُلانِىِّ!
أربى علىّ بشَتّى من مَحَاسِنِهِ * تألَّفتْ بين مسمُوعٍ ومَرْئِىِّ.
إباءُ فارِسَ مَعْ لينِ الشَّآمِ مع الظَّرفِ العِراقىّ فى النُّطْقِ الحِجازِىِّ.
وما المُدامةُ بالألبابِ ألعَبُ من * فَصاحةِ البَدْوِ فى ألفاظِ تُرْكِىِّ!
أشبهتُه ببعادِى، ثم كان له * مَزِيَّةُ الخَلْقِ والأخْلاقِ والزِّىِّ.
من أينَ لى لَهَبٌ يجْرى على ذَهَبٍ * فى صَحْنِ أبيضَ صافِى الماءِ فِضِّىِّ؟

---

(١) الإشارة إلى مانى القائل بالثنوية أى بالنور والظلام .

وروضة لم تحكها كف سارية ... ولا شكا خدها من أثر وسمي؟

يحفها سوسن غض يغازله ... بنرجس بنطاف السحر موشيّ .

من منقذي أو مجيري من هوى رشإ ... أقنى وأفتك من عمرو بن معديّ ؟

لا يعشق الدهر إلا ذكر معركة ... أو خوض مهلكة أو ضرب هنديّ .

ولا يحدث إلا عن ربابته ... من المهار العوني والمهاريّ .

والصافنات ولبس الضافيات وشر ... ب الصافيات وإطراب الأغانيّ .

أسهى إليه من الدوح الظليل على ... لوح العليل وتغريد القماريّ .

شد الجياد لأيام الجلاد وإر ... شاد الصعاد إلى طعن الأناسيّ ؟

وحث باز على نأي وحمل قطا ... مي تكدر منه عيش كدريّ ؟

في غلمة كغصون البان يحملها ... كثبان برد على غدات بردىّ ؟

يمشون في الوشي أسرابا فتحسبهم ... روض الربيع على بيض الأداحيّ .

والساحر الفرار بينهم ... كالشمس تكسف أنوار الدراريّ .

مهفهف القد سهل الخد أغرب في الـ ... حسن من لثغة في بعض نجديّ .

بأبيه عن كتب تروى ونصرته ... الشافعي ففيه أو حنفيّ .

عوج القسي وقب الأعوجية و ... شهب الهماليج تربى في الأواريّ .

والشعر في الشعر ندجى على لهج لسـ ... نجى يلين منه قلب حوشيّ .

فلو بصرت به يصغي وننشده ... فات النواسي يشجو قلب عذريّ .

أو صائد الإنس قد ألقى حبائله ... نيلا فأوقع فيها صيد وحشيّ .

أغراه بي بعد ما جد النفار به ... شدو تعريض وأخذ أشرحيّ .

فصار أطوع في منه لمقلته ... وصرت أعرف فيه بالعزيزيّ .

وممـا قيل فى المؤنث، قال آبن الرومى :

مُخَفَّفَـــةٌ مثقَّــلةٌ ، تَرَاهـا * كأنْ لم يَعْــدُ نِصْفَيها غِذاءُ!
إذا الإغبابُ جَدّد حُسْنَ شىْءٍ * من الأشـياء، جدّدها اللّقاءُ.
لهـا رِيقٌ تَشِـفُّ له الثَّنـايَا، * ويَرْوى عنه ـ لامنه ـ الظِّماءُ.
وأنفـاسٌ كأنفاس الخُــزَامى * قُبيلَ الصُّـبح، بَلَّتْهـا السّماءُ!
تنفَّس نَشْرُها سَحَرا، فجـاءتْ * به سَحَــرِيّةَ المَسْرى رُخاءُ!

وقال أبو نُوَاس :

ماهَـــوًى إلا له سَببُ * يبتدِى منـــه وينْشَعِبُ.
فتنَتْ قَلْـــبِى مُحَجَّبـةٌ، * وجْهُهـا بالحُسن منتَقِبُ.
خُلِّيَتْ والحُسْنَ تأخُــذُه * تَنْتــقِى منـــه وتَنْتخِبُ.
فا كتسَتْ منــه طَرائفَهُ * وآستزادَتْ بعضَ ماتَهَبُ.
صار جِدًّا ما مَزَحْتُ به * رُبَّ جِدٍّ ساقــه اللَّعِبُ!

وقال أيضا :

ياقَمَرا، أبصـرْتُ فى مأْتَم * ينــدُب شَجْوا بينَ أتْرابِ!
يَبْكى فيُذْرِى الدُّرَّمن نَرْجس، * ويَلْطِـمُ الـوردَ بعُنَّـــاب.
أبرزَهُ المــأْتَمُ لى كـارِهًا، * برَغْـــم دايَاتٍ وحُجّـاب!
لاتَبْكِ مَيْتا حَلَّ فى رَمْسه، * وآبكِ قَتيـــلاً لكَ بالباب!

وقال سيف الدين المشد :

وبمهجتي! من لو بدت * للشمس من تحت النقاب،
سترت محاسن وجهها * خجلا، ولاذت بالسحاب!

وقال القاضي أبو علي التنوخي، شاعر اليتيمة :

أقول لها والحي قد فطنوا بنا * ومالي عن أيدي المنون براح:
لما ساءني أن وشحتني سيوفهم * وإنى لكم دون الوشاح وشاح.

وقال عمارة اليماني :

طرقتها، والليل وحف الجناح، * وما تلبست بثوب الجناح.
في ليلة بات يجادي بها * ذوائبا يخفقن فوق الوشاح.
والحسن قد ألف أشتاته * غصن تثنى فوق ردف رداح.
نام رقيب الصبح عن ليلتي، * وبات في كل مصون مباح!
أجمع من خد ومن مبسم * بحمرة الورد بياض الأقاح.
حصلت من ريق ومن منطق * على اقتراح ونمير قراح.
رنحت من نشوات الصبا * فبت مسرور بنشوان صاح.
وفاح من نشر الصبا عنبر * أحرقه الفجر بجمر الصباح!

وقال أبو نواس :

وذات خد مورد * قوهية المتجرد.
تأمل العين منها * محاسنا ليس تنفد.
فالحسن في كل جزء * منها معاد مردد.

فبعضُـه فى انتهـاءٍ * وبعضُـه يتـولَّدْ.
وكلَّمـا عُدْتُ فيـه * يكونُ لى العودُ أحمَدْ!

وقال علىّ بن عبد الرحمن بن المنجم :

شبّهتُها بالبـدرِ فاستضحكتْ * وقابلَتْ قـولِىَ بالنُّكْر.
وسفَّهتْ قولِى وقالتْ : متى * سُمِّجْتُ حتّى صِرتُ كالبَدْر.
البـدرُ لا يرنُو بعيْنٍ كما * أرنُو، ولا يَبْسِمُ عن ثَغْـرِ.
ولا يُميط المِرْطَ عن ناهـدٍ، * ولا يَشُـدُّ العِـقْد فى نَحْرِ.
مَنْ قاسَ بالبدر صِفاتِى، فلا * زالَ أسـيرًا فى يدَىْ هَجْرِى!

وقال العماد الأصفهانىّ :

لُثْنَ الأهلّةَ بالمَعـاجِرْ * وكَحَلْنَ بالسُّقم المحـاجِرْ.
ونظَرْن عن حَدَق تحجَّرْ * نَ بها على آرام حاجِرْ.
شَهَرتْ لِحـاظُ ظِبَـائِهِنَّ على القُلُوب ظُبًا بواتِرْ.
آرامُ خِـدْرٍ بالَّلحـا * ظ تَصيدُ آسادًا خَوادِرْ.
غِيـدٌ لسَفْك دَمِ المُحِبّ تَظَافَرتْ منهـا الظّفائِرْ.
بيضُ الترائب حُمْرُهـا * خُضْرُ اللِّى سُود الغدائِرْ.

وقال كُشاجم :

جعلتُ إليكِ الهوى * شَفِيعا فلم، تُشْفِعِى!
وناديتُ مسـتعْطِفا * رضـاكِ فلم تَسْمَعى.
أتارِكتِى مُدْنَفـا * أخا جَسَـدٍ مُوجَعِ!
ومُغْرِيَتِى والدُّمـو * عُ قد أحرقتْ مَدْمَعى.

أحينَ سبَيْتِ الفؤا . دَ بالنظـر المُطْمِعِ،
جفَوْتِ وأقصيتِنِي؟ . فهَـلّا، وقلبي معي؟

وقال ابن المعلم :

صَعْدةُ القدِّ وسيفُ الكَحَلِ ، حَكَما حُكْمَ الهوى في أجلي .
٥ يالقومي! حَمَلتْ ثِقْل دَمي ، غادةٌ يُثْقِلُها حَمْلُ الحُـلِي!
قَدُّهـا مُعتَـدِلٌ يَظْلِمُني! حَرَني من قَدِّها المعتَدِل!
خَصْرُها يَنْشَطُ، لكن رِدْفُها أبداً يقْـهَرُهُ بالكَسل .
نظرةٌ من مُقْلَتَيْ جارِيَةٍ وثَنَتْ عِطْفَ القَضيب المُمِلِ .
لستُ أدري: قمـر في كِلَّةٍ ما أرى، أم دُمْيةٌ في هَيْكَل؟
١٠ سألتْ جِسْمِيَ عن ساكنه! ومن الجَهْـل سؤالُ الطَّلَل!

وقال سيف الدين المشدّ :

وغادةٍ، أعشَقُ من أجْلِهـا بدرَ الدُّجى والظَّبيَ والخَيْزُرانْ .
لأنَّ ذا يُشْبِهُها بهجةً، وذا لَحْظاً، وهذا قَدّاً .

وقال أبو نُواس :

١٥ بِمُنْسِيَ نَسَيْتُمْ تُبْحانَهُ . . . . . . في تَعْزِيَتي!
حَلَّتْ عِجارَ الوَشْيِ عن صورةٍ بسم الله تحسيناً!
استفتنتَهُنَّ بِمِشْيتِها فهُنَّ للتكييف يَبْكِينَ .
حَقَّ لذاك الوجه أن يَزْدَهِي عن حُزْنِه مَنْ كان محزوناً .

وقال أيضا :

٢٠ أيا لَيْتَ شعري أمِنْ صَخْرَةٍ فؤادُكَ هـذا الذي لا يَلينْ!

تقولُ إذا ما آشتكيتُ الهوى، * كما يَشتكى البائسُ المُستكينْ:
أفى النَّومِ أبصَرتَ ذا كُلَّه؟ * فخيراً رأيتَ، وخـيرا يكونْ!

وقال المشوق الشامى :

أتُرَى بنـارٍ أو بدَيْنِ * عَلِقتْ محاسنُها بعينِى؟
فى خَصْرِها وقَوَامهـا * ولِحَـاظها ما فى الرُّدَيْنِى.
٥
وبوَجْهِها ماءُ الشَّـبا * ب خليطُ نار الوجنَتَيْن.

وقال السرىُّ الرفَّاء شاعر اليتيمة :

قامتْ وخُوطُ البانة الـ * ـمَيَّاسُ فى أثوابهـا.
ويَهُزُّها سُكرانِ : سُكـ * ـرُ شَرابهـا وشَبابِهـا!
تَسْعى بِصَهْبَاوَيْنِ من * ألحـاظِهـا وشَرابِهـا.
١٠
وكأنَّ كأسَ مُدامِهـا * لَمَّا ارتَدتْ بحُبـابِهـا:
توريدُ وَجْنتِهـا إذا * ما لاح تحتَ نِقابِهـا.

وقال ابن الرومىّ :

مِنْ بناتِ الرُّوم، لا يَكْذِبُنا * لونُها المُشرِقُ عن مَنصِبها.
قامةُ الغُصْنِ ـ إذا ما آعتدلَتْ، * قامةُ الغُصْنُ ـ إلى مَنْكِبهـا.
١٥
شهِدَ الشاهدُ من أحسـنها، * فحكى الغائبَ من أطيبِها.
تَشْفَعُ الحسنَ بإحسانٍ لهـا * يَجْلُب الأفـراحَ من مَجْلَبِهـا.
تَشْرَعِ الألحاظُ فى وَجْنتِهـا * فتُـلاقِى الرِّىَّ فى مَشْرَبِهـا.
وجَنَـةٌ للغنج فيها عَقْربٌ * وبَلاءُ الصبِّ من عَقْرَبِها.

وإذا قامَتْ إلى مَلْعَبِهـا * كَمَهَاةِ الرَّمْـلِ في مَلْعَبِهـا،
سألت أردافُهـا أعطافَهَا: * هَلْ رأتْ أوطأ من مَرْكَبِهـا؟

وقال أبو الحسين بن فارس :

مرَّتْ بنا هَيْفاءُ مَقْـدُودةٌ * تُرْكِيَّةٌ تُنْـمى لِـتُرْكِيّ .
ترنُو بطَـرْفٍ فاترٍ فاتِـنٍ * أضعَفَ من حُجَّةِ نَحْوِيّ .

* * *

وممـا قيل في المُطْلَق والمشترك، قال الطغرائي :

فِيمَ التعَجُّبُ من قَلْبِي وصَـبْوتهِ * كأنَّكُم لم تَرَوْا من قَبْلِهِ عَجَبا!
ذوقُوا الهَوى ثم لُومُوا مابَدَا لكُمُ، * أولا، فخَلُّوا مَلامِي وارْبَحوا التَّعَبا!

وقال ايضا :

وكُنْتُ أُرانِي مُفْلِتاً شَرَكَ الهَوى، * وقد صادنِي سِحرُ العُيونِ النَّوافِثِ،
وأسْمَعَـنِي داعِي الغَـرامِ نِداءَهُ، * فقمتُ إليـه مُسْرِعا غيرَ لابِثِ،
وأعطيْتُ إخْوانَ البَطالةِ صَفْقتِي، * وبعتُ قدِيما من غَرامِي بحادِثِ،
فما صَفْقَتِي في البيعِ صَفْقةُ خاسِرٍ، * ولا بَيْعتِي لِلْحُبِّ بيعـةُ ناكِثِ.
فلا تعذِلُوني في غرامِيَ بعـدَ ما * توَلَّى الصِّبا، فالعَذْلُ أقْوَى باعِثِ!
ولا تبحَثُو عن سِرِّ قلبِيَ إنَّهُ * صَفا، ليس يَمْضِي فيه معْوَلُ باحِثِ،
أرى صَبَواتِ الحُبِّ قدجَدَّجِدُّها، * وقد كان بدءُ الحُبِّ مَزْحةَ عابِثِ!

وقال الأرَّجانيّ :

قِفَـا مَعِي في هـذه المَعاهِدِ! * لا بُدَّ للصَّبِّ من مُسـاعِدِ!
لا تَعْجَـلا يا صاحِبَيَّ واسْمَحا * بوقفـةٍ على مُعَـنَّى الوَجْدِ،

فى منْزِلٍ عَهِدْتُ فى عِرَاصِه، * لو ردّ معهودا بكاءُ عاهِد،
كواعبًا من الدُّمى لواعِبا * مُشْبِهَةَ الثُّغور لا القلائِدِ.
يمشِين من فرط النّعيم والصِّبا * كالقُضُب المَوائل المَوائد.
فيهنّ ظَبْيٌ عَلِقَ القلبُ به * من الظِّباء النُّفُرِ الشوارد.
إذا تَبدّى مرضٌ بطَرْفِه، * لم يخلُ من أفئدة عوائِدِ.
رميتُه، فصادنِى . فمن رأى * صيْدًا يمرّ بفؤاد الصائدِ؟
قطعتُ من قلبى رجائى فى الهوى ! * والقَطْعُ طِبُّ كلِّ عُضو فاسدِ!

وقال أبو القاسم عبد الله الدينورىّ، شاعر اليتيمة :

يا لِعَصْر الخَلاعةِ المودود * ولِظلّ الشَّبيبة الممدُود!
وآرتشافِى الرُّضابَ من بَرَد الثّغر ولَثْمى عليه وردَ الخُدُود!
وبُكُورى إلى مجالس عِلْم * ورَواحى إلى كواعبَ غيد!
فى قميصٍ من السُّرور مُذَال * ورداء من الشَّباب جَديد!

وقال تاج الملوك بن أيوب :



ألّا رحِمْتُمْ متيما دنفا * مازالَ من جَوْرِكم بكُمْ عائذْ!
صَبًّا قضى الله أن يَهيم بكُمْ * ولا مردّ لحكمِه النافذْ!
يلوذُ حُبًّا دُونَ الأنام بكم * وحَسْبُه أنه بكُمْ لائذْ!

وقال فخر الدين الوركانى، شاعر الخريدة :

أأحبابَنَا أمّا حياتِى بَعْدكُم * فموتٌ، وأما مَشْرِبِى فمَنَغَّصُ.
وأسعَدُ شىء فىّ قلبى لأنّه * لدَيْكم، وجسْمى بالبِعاد مخصَّصُ!

وقال العماد الأصفهاني :

بذلتُ لهم ـ أبغي رضاهم ـ مودّتي * وقلبي وصبري والرُّقادَ، فما رَضُوا.

وهبنيَ عن كلٍّ تعوّضتُ بعدهم * فقل لي : بماذا عنهمُ أتعوّض؟

وما كان ظنّي أنّ عيشيَ ينقضي - ونجمَ الصبا ينقضُّ والعهدُ يُنقَضُ.

وقال الطغرائي :

إن الألى أرضاك قولُهُمُ - بالأمس، تحتَ رضاهمُ سُخْطُ !

لمّا صفا ذاك الجمالُ لهم، تاهوا على العشّاق واشتطّوا.

همّوا ببيني فاستطارَ له - قلبي، فكيفَ يكون إن شطّوا؟

وقال الطغرائي أيضا :

في القلب من حرّ الفراق شواظُ، والدمعُ قد شرقتْ به الألحاظ.

ولقد حفظتُ عهودكم، وغدرتم، - شتّانَ غدرٌ في الهوى وحفاظُ !

لله أيُّ مواقفٍ رقّتْ لنا فيها الوسائلُ، والقلوبُ غلاظُ !

وقال أيضا :

وسائلٍ عن جوى قلبي، فقلتُ له : ما أنتَ عندي على سرٍّ بمتّهمِ !

طابَ الجوى في الهوى حتّى أنستُ به، فهو المسرّة يحلو طعمُه بفمي !

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

أتقتلني ظلما وتجحدني قتلي، وقد قام من عينيك لي شاهدا عدلِ !

أطلّابَ ذحلي، ليس لي غيرُ شادنٍ بعينيه سحرٌ فاطلبوا عنده ذحلي !

أغارَ على قلبي، فلمّا أتيتُه أطالبُه فيه، أغارَ على عقلي !

بنفسي التي ضنّتْ بردّ سلامها ! ولو سألتْ قتلي، وهبتُ لها قتلي !

إذا جئتها صَدَّتْ حَياءً بوجهِها، ٭ فتَهْجُرُنى هَجْرا ألَذَّ من الوصْـلِ.
وإن حَكَمتْ جارتْ عَلَىَّ بحُكْمِها؛ ٭ ولكنَّ ذالكَ الجورَ أشهى من العَدْلِ.
كتمتُ الهوى جَهْدى، فجَرّده الأسى ٭ بمـاء البُكا، هذا يَخُطُّ وذا يُمْلِى!
وأحبَبْتُ فيها العَذْلَ حُبًّا لذِكْرها، ٭ فلاشىءَ أحلى فى فُؤادى من العَذْلِ!
أقولُ لقلبِى كُلَّمـا ضامـه الأسى: ٭ إذا ماأبيتَ العِزَّ، فاصبِرْ على الذُّلِّ!
برأيِكَ لا رأيى تعـرَّضْتَ للهوى، ٭ وأمرِكَ لا أمرِى وفعلِك لا فِعْلِى.
وجدْتَ الهوى نصلا من الموت مُغْمَدا ٭ فجـرّدتَهُ ثم آتكأْتَ على النصل!
فإن كنتَ مقْتُولًا على غيرِ رِيبةٍ ٭ فأنتَ الذى عَرَّضتَ نفسَكَ للقتْلِ!

وهذه الأبيات معارضة لصريع الغوانى فى قوله:

أدِيرَا علَىَّ الكأس، لا تَشْرَبَا قَبْلِى ٭ ولا تطْلُبَا من عنـد قاتلتِى ذَحْلِى!
فمـا حَزَنى أنّى أموتُ صَـبابةً؛ ٭ ولكنْ على مَنْ لا يَحِلُّ لهـا قَتْلِى!
فَدَيْتُ التى صَدّتْ وقالت لِتربِها: ٭ دَعُوه، الثُّرَيّا منه أقربُ من وَصْلِى!

وقال آبن عبد ربه:

صَحا القلْبُ، إلا خَطرةً تبعثُ الأسى ٭ لهـا زَفْرَةٌ موصـولةٌ بحَنِينِ.
بلى، رُبَّمـا حاتْ عُرَى عَزَماتِهِ ٭ سـوالِفُ آرام وأعيُنُ عِينِ.
لواحظ حَبّـات القلوب إذا رنَتْ ٭ بسِـحْرِ عيُونٍ وآنكسارِ جُفُونِ.
ورَيْط من المَوْشِىِّ أينَـعَ تحتَـهُ ٭ ثِمـارُ صُدورٍ، لا ثِمـارُ غُصُونِ.
بُرُودٌ كأنوارِ الربيـع لبِسْـنَها ٭ ثيابَ تَصابٍ لا ثيـابَ مُجُونِ.
فَرَيْنَ أديمَ الليـلِ عن نُورِ أوجُهٍ ٭ تُجَنُّ بها الألبابُ كلَّ جُنونِ.
وجوهٌ جرى فيهـا النعيمُ فكُلِّلَتْ ٭ بوَرْد خـدودٍ يُجْتَـنى بعيُونِ.

سألبَسُ للأيّام دِرعًا من العَـزَاء * وإن لم يكُن عند اللّقـا بحَصينِ.
وكيفَ، ولي قَلْبٌ إذا هَبّت الصَّبا * أهابَ بِشَوْقٍ في الضُّلوع دَفينٍ؟

وقال آخر :



هَزُّوا القُدودَ وجَرّدوا الأجْفانا! فاطلُبْ لنفسك، إنْ قدَرْتَ أمانا.
وٱلقَ السِّلاحَ إذا ٱنثَنَوْا وإذا رَنَوْا، * وكُنِ الجَبانَ وإن مَلَكْتَ جَنانا.
وٱحذَرْ ضِرامًا بالعُيون، وسَلْ به . مِثْلِي، وجانِب بالقُدُود طعَـانا.
فلقد رأيْتُ الأُسْـدَ وهي كواسرٌ تَخْشى بمعتَرَكِ الهوى الغزْلانا.
لا تعبَثَنَّ بذابِـلٍ وببـاتِرٍ! . وخَفِ المُهفْهَفَ وٱحذرِ الوَسْنانا!
لولا تشابُهُ مقـلةٍ أو قامـةٍ، . ما خِفْتُ يوما صَعْدةً و سِنانا.
وأنا الّذى حَضَرَ الوقائِعَ في الهوى . وأقامَ في أَسْـرِ الغَرامِ زَمانا.
ولكَمْ رأيتُ به الشّـدائدَ مُرّةً ! . ولـكَمْ رأيتُ به المَمـاتَ عِيانا!
وثبتُّ بينَ مَعاطِفٍ ولواحِظٍ في مَوْقِفٍ يَذَرُ الشُّجاعَ جَبانا!
مُسْتَسْلِمًا للعِشق : لا مُسْتَصْرِخا صَبْرًا، ولا مستَنْجِدًا سُـلْوانا.
أرجُو الشهادةَ إن قُتِلْتُ به. وما ولَّيتُ فيـه ولا ثَنَيتُ عِنـانا.
ياوَيْحَ قلبٍ ما خَلا من شُـغْلِهِ بصَبابةٍ ومَحَبّـةٍ مذ كانا!
لو فَتّشُوه لمـا تَقُوا ليسوى لهوى فيــه ولا غيرٍ لغـيرهِ مكانا.

وقال التلعفريّ :

هـذا العَذولُ عليكُمُ، مالي ولَه؟ أنا قد رَضِيتُ بذُلِّ لغَرامِ وذُلّه!
شَـرْطُ المحبّـةِ أنّ كلَّ متيّمٍ صَبٍّ يُطيعُ هَواه، يَعْصي عُذَّلَه.
وأخذتُمونِى حينَ سار بحبِّكُم مَثَلِي. ومِثْلِي سِرّه لن يَبْـذُلَه!

ما أعربَتْ ولله عن وَجْدى بكُمْ ، وصبابَتِى إلّا دُمُوعى المُهْمَلَهْ .
جُزْتم مَدَاكم فى قطيعتِكُمْ ، فلا عطفٌ لعائدِكُمْ يُرامُ ، ولا صلَهْ .
أألومُكُمْ فى هَجْرِكم وصُدُودِكُم ، ما هذه فى الحُبِّ منكم أوّلَهْ !
قسمًا بكم ، قد حِرْتُ مما أشتكى ! حَسْبِى الدُّجى ، فعَدِمته ما أطْوَلَهْ !
لَيْلِى كيومِ الحَشْر معنًى إن يكن لا ليلَ ذالكَ له ، فذا لاصُبْحَ لَهْ .
ياسائلى منْ بعدِهم عنْ حالتِى ! تركُ الجوابِ جوابُ هذى المسألَهْ !
حالِى إذا حدَّثتُ لا أُمَعًّا ولا جُمَلا لإيضاحى لها من تكمِلَهْ[(١)] .
عِنْدى جَوًى يَذَر الفصيحَ مبلَّدًا : فاتْرُكْ مفَصَّله ! ودُونَك مجملَهْ[(٢)] !
القلبُ ليس من الصِّحاحِ فيُرتجى إصلاحُه ، والعينُ سُحْبُ مُثْقَلَهْ[(٣)] .
يانازِحينَ ، وفى أكِلَّةِ عِيسِهِمْ رَشَأٌ عليه حَشَا المُحِبِّ مقلْقَلَهْ !
قمرٌ له فى الطَّرْف بل فى القَلْب بل فى النَّثْرة الحَصْداء أشرفُ منْزِلَهْ[(٤)] .
الصُّدْغ منه عَقْربٌ ، ولِحاظُه أَسَدٌ ، وخلفَ الظَّهر منه سُنْبُلَهْ[(٥)] .
ما أجورَ الألحاظَ منه إذا رَنَا ! وإذا انثنى ، فقَوامُه ما أعْدَلَهْ !
لو لم يُصِبْ صُدْغَيْهِ عارضُ خدِّه ، ما أصبحَتْ فى عارِضَيْه مُسلْسَلَهْ .
لله منه مهفْهَفٌ أجنيتُهُ عَسَلَ الهوى فجَنَيْتُ منه حَنْظَلَهْ !
لو كنتُ فيه قَبِلْتُ نُصْحَ عَوَاذلى ، ما أدبَرتْ أيامُ حظِّى المُقْبِلَهْ !

---

(١) إشارة إلى الكتب النحوية : اللمع ، الجمل ، الإيضاح ، التكملة . وكلها فى علم العربية .

(٢) يشير إلى "الفصيح" لثعلب ، و"المفصل" للزمخشرى ، و"المجمل" لابن فارس . وكلها كتب فى اللغة .

(٣) الاشارة إلى "الصحاح" للجوهرى ، و"العين" للخليل بن أحمد . وهما من كتب اللغة .

(٤) يشير إلى بعض منازل القمر ، وهى : الطرفة ، والقلب ، والنثرة .

(٥) يشير إلى بعض البروج ، وهى : العقرب ، والاسد ، والسنبلة .

وقال الطغرائيّ :

رُوَيدَكُمُ! لا تَسْبِقُوا بقَطِيعتي ضروفَ الليالى، إنَّ فى الدّهر كافيَا.
ويا قلبُ، عاوِدْ ماألِفتَ من الجوَى! معاذَ الهوى أن تُصبح اليومَ ساليًا!
ويا كبِدي، ذُوبى! ويامقلتى، اسْهَرى! ويانفسِ لا تُبْقِى من الوجْد باقيَا!
فلا تَطْمَعُوا فى بُرْءِ مابِى، فإنّه هو الداءُ قد أعيا الطبيب المُداوِيَا!

* * *

ومما قيل فى طَيْف الخيال. قال قيس بن الخطيم :

إنى سَرَبْتُ، وكنتُ غيرَ سَرُوب! * وتُقرِّبُ الأحلامُ غيرَ قريب.
ماتمنعِى يَقْظَى، فقد تُؤْتِينَهُ فى النوم غيرَ مُكدَّر محسُوب.
كان المُنَى تِلقاءَها، فلقيتُها - ولَهَوْتُ من لَهْوِ امرئٍ مكذوب!

وقال عمرو بن قَمِيئَة :

نَأَتْكَ أُمامَةُ، إلا سُؤالا وإلا خيالاً يوافى خيالا.
خيالاً يُخيِّل لى نيلَها ولو قَدَرتْ لم تُخيِّل نوالا!

قال أبو هلال العسكرى : ومن هاهنا أخذ المحدثون أكثرَ معانيهم فى الخيال .

وقال البَعيث :

أزارتكَ ليلى، والرِّكابُ خواضعٌ؟ - وقد بَهَر الليلَ النجومُ الطوالعُ!
وأعطتكَ غاياتِ المُنى غيرَ أنَّها كواذبُ إن حصَّلتَها، وخوادعُ.

وقال أبو تمام :

اِستَزَارتْه فِكْرتِي في المَنَامِ، * فأتاها في خِفيـةٍ واكْتِتَامِ.
يا لهـا لَيْـلةً تزاوَرتِ الأرْ * واحُ فيها سِرًّا عنِ الأجْسامِ!
مجلِسٌ لم يكن لنا فيه عَيْبٌ * غيرَ أنَّا في دَعْوةِ الأحْلامِ!

وقال الحمدونيّ :

٥

لم أنَلْه، فنِلْتُــه بالأمَانِي * في مَنَامِي سرًّا من الهِجْرانِ!
واصل الحُلْمُ بيننا بعْدَ هَجْرٍ، * فاجتمَعْنا ونحنُ مُفْتَرِقانِ.
وكأنَّ الأرواحَ خافتْ رَقِيبًا، * فطَوَتْ سِرَّها عن الأبْدان.
مَنْظَرٌ كان نُزهةَ العَيـْنِ إلَّا * أنه مَنْظَرٌ بغَــير عِيَـان.

وقال ابن الروميّ :

١٠

طَـــرقَتْنــا، فأنالَتْ نائـــلًا * شُكْرُه ـــ لو كان في النُّبْه ـــ الجُحُودُ.
ثم قالتْ، وأحَسَّـــتْ عَجَبِي * من سُرَاها حيثُ لا تَسْرِي الأسُودُ.
لا تَعَجَّبْ من سُرَانا، فالسُّرى * عادةُ الأقمــار والناس هُجُـــودُ.

أخذ العسكريّ المعنى، فقال :

رقَبتْ غَفْلَةَ الرَّقِيبِ، فزارَتْ * تحتَ لَيْـل مُطَرَّز بنَهـارِ.
فتعجَّبْتُ من سُراها، فقالتْ : * غَيْرُ مستَطْرَفٍ سُرى الأقمار!
ثم مالَتْ بكأسهَا فسَــقَتْني * جُلَّنــاريَّةً على جُلِّ ناري!

١٥

وقال آخر :

فيا لَيْتَ طَيْفًا، خيَّلَتْه ليَ المُنى، * وإنْ زادني شــوقًا إليك، يعُودُ!
أُكلِّفُ نفسي عنك صَبْرًا وسَلْوةً، * وتَكْليفُ ما لا يُسـتطاعُ شديدُ!

٢٠

وقال العسكريّ :

طَرَق الخَيالُ، فزارَ منه خَيالا، فسرى يُغازِل في الرُّقاد غزالا،
يا كَشْفةً للكَرب، إلّا أنّهُ وَلّى على دُبُرِ الظّلامِ فزالا،
قَعَد المتيّمُ، وهو أكثرُ صَبوةً، وأشَدُّ بِلبالًا وأكسَفُ بالًا!

٥ وقال العماد الأصفهانيّ :

ظَبيٌ طَرِبتُ لِطَيفِه المتأوّبِ طَرَبَ العليلِ لرُؤيةِ المتَطبِّبِ،
لم أدرِ زَورَتَهُ، أكانت خَطفةً من بارقٍ أم لمعةً من كَوكبِ،
زار الكَرى متهيّبا رُقَباءَه، أهلًا به من زائرٍ متهيّبِ!
لمّا رأى وَجْدي، تأوّهَ رحمةً، للهِ مِن مُتأوِّهٍ متأوِّبِ!
١٠ وأتى ليقرُبَ من وِسادِ متيَّمٍ، لمّا أحسَّ بنارِه، لم يَقرُبِ،

وقال محمد بن بختيار :

لو أنّ طَيفَ الخيالِ يَسرِي، بَلَّ سُراهُ عليلَ صَدرِي،
ولو أرادَ الحبيبُ أن لا يَضيمَني، ما استطابَ هَجْرِي،
يلومُني في هَواه مَن لا يعلَمُ أنّ الملامَ يُغرِي،
١٥ كم ليلةٍ زار في دُجاها، فكان تحتَ الظلامِ بَدْرِي،
يُتحِفُني باحمرارِ خَدٍّ مُورَّدٍ وابيضاضِ ثَغرِ،
يجمَعُ لِي بين سُكرِ لَحظٍ وسُكرِ رِيقٍ وسُكرِ خَمرِ،
ودُرِّ لَفظٍ ودُرِّ ثَغرٍ ودُرِّ كأسٍ ودُرِّ نَحرِ،

وقال آخر:

قلتُ للمُعرِض الّذى صدّ عنّى : * إنّ طيفَ الخيالِ لى عنكَ يُغْنِي.
قال : لا تَحْمَد الخَيالَ فما زا * رَكَ إلّا عن آختيارِى وإذْنِى.
كِدتَ تَقْضِى أسًى، فقلتُ لطَيْفِى: * أَحْيِ لى روحَه بِزُورِ التَّمنّى!
ليس شُحًّا بأن تموتَ، ولكنْ * خِفْتُ أن تستَرِيحَ بالموتِ مِنّى!

وقال آخر:

فإنْ يحجُبُوها بالنهار، فَمَا لَهُمْ * بأن يَحْجُبوا بالليل عَنِّى خَيَالَهَا!

وقال المجنون:

وإنّى لأستَغْشِى، ومابى نَعْسةٌ، * لعلّ لِقاهَا فى المَنامِ يكُونُ!
تُخَبِّرُنِى الأحلامُ أنّى أراكُمُ، * ألَا ليْتَ أحلامَ المَنامِ يَقِينُ!

وقال المؤمل:

أتانِى الكَرى لَيْلًا بشَخْصِ أُحِبُّه، * أضاءت له الآفاقُ، والليلُ مُظْلِمُ.
فكلّمَنِى فى النّومِ غيرَ مُغاضِبٍ، * وعَهْدِى به يَقْظانَ لا يتكلّمُ!

وذكر العباس بن الأحنف العلّةَ فى طُروق الخيال، فقال:

خَيَالُكَ حِينَ أرْقُدُ نُصْبَ عينِى * إلى وقتِ آنْتِباهِى لا يَزُول.
وليس يَزُورُنِى صِلةً، ولكنْ * حديثُ النفْس عنكَ به الوُصولُ.

وتبعه الطائىّ فقال:

زار الخيالُ لها، لا بل أزارَكَهُ * فِكْرٌ، إذا نامَ فِكْرُ الخَلْوِ لم يَنَمِ.
ظَبْيٌ تقنّصتُه لَمّا نَصَبْتُ له * فى آخرِ الليلِ أشْراكًا من الحُلُمِ.

*
* *

ومما قيل في الردّ على العذول، قال أبو نُوَاس :

ماحطَّك الواشونَ من رُتْبةٍ * عِندي، ولا ضرَّك مُغتابُ.

كأنَّما أثنَوا — ولم يَشعُروا — * عليكَ عِندي بالذي عابُوا.

وقال تاج الملوك :

مَهْ ياعَذُولُ عن الحبِّ، فإنَّما * عَذْلُ المحبِّ يَزِيدُ في بِلْبالِهِ!

لا تَعذُلَنّ على الصَّبابةِ مُغرَمًا * حتَّى تَبِيتَ من الزَّمان بحالِهِ!

وقال أيضا من قصيدة :

ولقد قُلتُ للذي لامَني فيـ * ـك، ومازال حالُه مِثلَ حالي:

ياعَذُولِي في حُبِّه، كُفَّ عَذْلِي. * أنا ما للعَذُول فيه وما لِي !

كُلما زِدتَ في مَلامِي وعَذْلِي، * زِدتُ في لَوْعَتِي وفي بَلْبالِي!

وقال الأرَّجاني :

وَجْدِي بلَومكَ، ياعَذُولُ يَزِيدُ! * فاستَبْقِ سَهمَكَ، فالرمىُ بَعِيدُ!

بَلَغ الهوى من سِرِّ قلبِي مَوْقِعًا : * لا العَذْلُ يَبلُغه ولا التفنيدُ!

وتُنِمُّ بالشَّجوِ المُكتَّمِ عَبْرَتِي، * ومن الدموعِ على الغَرامِ شُهودُ!

وقال سيف الدين المشدّ :

ياعاذِلي، خَلِّ عَنِّي! * أسمعتَ غيرَ سَميعِ!

لا تَرْجُ مِنِّي سُلُوًّا! * فما فُؤادِي مُطِيعِي!

وكيفَ أكتُمُ ما بِي * من لَوْعةٍ ووُلُوعٍ،

والذَّارِياتُ جُفُونِي. * والمُرْسَلاتُ دُموعِي![1]

---

(١) إشارة إلى اسم السورتين الكريمتين : الذاريات والمرسلات .

وقال آبن الحيمى :

وتأمرنى العذّال بالصبر عنكم ، * ومن ذا الذى يرضى عن الحلو بالصبر؟
ومن أعجب الأشياء أنّ عواذلى * يطيلون لومى فى الهوى ، والهوى عذرى !

* * *

ومما قيل فى رجوع العذول ، قال آبن وكيع :

أقبل والعذّال يلحوننى ، * فكلّهم قال : من البدر؟
فقلت : ذا من طال فى حبّه * منكم لىَ التعنيف والزّجر!
قالوا : جهلنا ، فاغتفر جهلنا * فليس عن ذا لامرئ صبر!
عذرك فى الحبّ له واضح ، * وما لنا فى لومنا عذر!

وقال أيضا :

أبصره عاذلى عليه ، * ولم يكن قبل ذا رآه .
فقال لى : لو عشقت هذا ، * ما لامك الناس فى هواه!
قل لى : إلى من عدلت عنه * فليس أهل الهوى سواه؟
وظلّ من حيث ليس يدرى ، * يأمر بالحبّ من نهاه!

* * *

ومما قيل فى الوصال ، قال آبن الرومىّ :

ولقد يؤلّفنا اللّقاء بليلة * جعلت لنا حتّى الصباح نظاما .
نجزى العيون جزاءهنّ عن البكا * وعن السّهاد ولا نصيب أثاما .
فنبيحهنّ مرادهنّ ، يردنه * فيما آدّعين ، ملاحة ووساما .

ونُكافِئُ الآذانَ ، وهي حَقيقة ... إذ لا تزالُ تُكابِدُ اللُّوَّاما.
فُتثيبهُنَّ من الحديث مَثُوبةً ... تَشفِي الغليلَ وتَكشِفُ الأسقامَا.
ونُكافِئُ الأفواهَ عن كِتمانها ، ... إذْ لا يَزالُ لها الصُّماتُ لِجاما.
فنبيحهُنَّ مَلاثمًا ومَراشفًا ، ... ماضَرَّها أنْ لاتكُونَ مُدَاما!
نَجْزِي الثلاثة أنصباءَ ثلاثةً ... مقسومةً آناؤُها أقساما.

⁂

ومما قيل فى الفراق والبين ، قال بعض الكُتّاب : فى الفراق مصافحةُ التسليم ، ورجاءُ الأَوْبةِ ، والسلامةُ من المَلَال ، وعمارةُ القلب بالشوق ، والدلالةُ على فضل المواصلة واللقاء .

قال شاعر :

جَزى الله يومَ البيْنِ خيرًا ، فإنّه ... أرانَا على عِـلّاتِهِ أمَّ ثابت!

وقال ابن الرومىّ :

فإذا كان فى الفِراقِ اعتِناقٌ ، ... جعَلَ اللهُ كلَّ يومٍ فِراقَا!

وقال أبو حفص الشطرنجىّ :

مَنْ يكُنْ يكرَهُ الفِراقَ ، فإنّى ... أشتَهِيهِ لموضِعِ التّسليمِ!
إنَّ فيه اعتناقَةً لِفراقٍ ... وانتظارَ اعتنَاقةٍ لِقُدوم.

وقال سيف الدولة بن حَمْدان :

راقبَتْنِي العُيونُ فِيكَ ، فأشفقـ ... ـتُ ، ولم أخْلُ قطُّ من إشفاقِ.
ورأيتُ العَدُوَّ يحسُدنِي فيـ ... ـكَ مُجِدًّا بأنْفَسِ الأَعلاقِ.

فتمنّيتُ أنْ تكونَ بعيدًا ، * والذى بيننا من الودّ باق!
رُبَّ هَجْرٍ يكونُ من خوفِ هَجْرٍ * وفراقٍ يكونُ خوفَ فِراقِ!

وأرى هذا كلّه على سبيل التعلل ليس إلا ، وإنما الفراقُ لا شكَّ فى إيلامه للقلوب.

قال بعض الشعراء :

فلِمْ لا تُسبَلُ العَبَراتُ منّى ، * ولستُ على اليقينِ من التّلاقِى؟
فلا وأبيكَ ، ما أبصرْتُ شيئًا * أمَرَّ على النُّفُوس من الفِراقِ!

وقال آخر :

يارَبِّ ، باعِدْ بيْنَ جَفْنِى والكَرى * مادام مَنْ أهواهُ فى هِجْرانِى!
إنّى لأخْشى أنْ أنامَ فالْتقِى * بخيالهِ ، خَوْفَ الفراقِ الثانِى!

وقال آخر :

فارقتُه وبُودّى لو تُفارِقُنِى * رُوحُ الحياة ، وأنّى لا أُفارقُهُ!

وقال أبو تمام :

الموتُ عنْدِى والفِرا * قُ : كِلاهُما مالا يُطاقُ!
يتَعاونَانِ على النفُو * سِ : فذا الحِمامُ وذا السِّياقُ!
لو لم يكُنْ هذا كذا ، * ما قيل : مَوْتٌ أو فِراقُ!

وقال غريبُ بن سعيد شاعر "اليتيمة" :

ألآنَ يومُ الفراق قَسْوَتُهُ * حتَّى جَرى دَمْعُه وما شَعَرا.
خِلْتُ ما سالَ مِن مَدامِعِه * دُرًّا على وجْنَتَيْهِ مُنْتَثِرا.
لم يَبْكِ شَوْقا ، لكِنْ بكى جَزَعًا * لهَوْلِ يومِ الفِراقِ إذْ حَضَرا.

فى مَشْهَدٍ لو أطاقَ شاهِدُه * فيه آستِتارًا لوجهه، سَتَرا .
أبَى أَساهُ وفيضُ أدْمُعِــه * إلا آشْتِهارًا فى الحُبِّ، فآشْتَهرا .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

هَيَّجَ البينُ دواعِى سَقَمِى، * وكَسَــا جِسْمِىَ ثوبَ الألَمِ!
أيُّهــا البَــيْنُ، أقِلْنِى مَرَّةً * فإذا عُدْتَ، فقد حَلَّ دَمِى .
ياخَلِيَّ الرَّوعِ، نَمْ فى غِبْطةٍ! * إنَّ مَنْ فارَقْتَــه لم يَنَمِ .
ولقَــدْ هاجَ لقَلْـبِى سَـقَمًا * ذِكْرُ مَنْ لو شاء، داوَى سَقَمِى .

وقال آخر:

بكَتْ وبكَيْتُ لوَشْكِ الفِراقِ؛ * فقِفْ، تَرَ من مَدْمَعَيْنا العَجَبْ!
فذا فِضَّــةٌ فى عَقيقٍ جرَى، * وهــذا عقيقٌ جرى فى ذَهَبْ!

وقال آخر:

قلتُ له والرَّقِيبُ يُزْعِجُــه * مستَعْجِلًا للفِراق : أيْنَ أنا؟
فمَــدَّ كَفًّا إلى ترائِبِــه * وقال : كُنْ آمنًا، فأنتَ هُنا!

وقال آخر:

قد قلتُ إذ سارَ السَّفِينُ به، * والشَّوقُ ينْهَبُ مُهْجتِى نَهَبــا :
لو كانَ لِى مُلْكٌ أصُــولُ به، * "لأخَذْتُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبَا"

وقال كُشاجِم :

مُزِجَتْ دُموعُ العين مِــنِّى يومَ بانُــوا بالدِّما .
فكأنَّمــا مَزَجَتْ بخــدَّى مُقْلتِى خَمْــرا بمــا!

وقال آخر:

لم أنْسَ يومَ الفِراقِ مَوْقِفَها * وطَرْفُها فى دُمُوعِها غَرِق،
وقولَها، والرِّكابُ سائرةٌ : * تتركُنا هكذا، وتَنْطَلِقُ؟

ومنه ماقيل فى مفارقة الأصحاب :

لَمَّا رأيتُ مُصاحِبى ومعاشِرى * بحَديد وُدِّى بالقطيعةِ مَزَّقا،
فارقْتُه وسلَلْتُ من يَده يَدى، * وقرأتُ لى وله: "وإنْ يتفرّقا".

وقال آخر:

قالوا: قَطعْتَ صديقَكَ البَرَّ الذى * منه آستفَدْتَ مَكارمَ الأخْلاقِ.
فأجبتُهم: بعضُ المَفَاصل رُبّما * فسَدَتْ، فتُقْطَع فى صَلاحِ الباقى!

وقال آخر:

ولقد شَكَرْتُ مُفارِقِى * إذْ ساءَ فى أخْلاقِهِ.
لوكان أحْسنَ عِشرتِى، * لهلَكْتُ يومَ فراقِه.

ومثله قول الآخر:

علَّمتْنِى بهَجْرِها الصَّبْرَعنها، * فهى مَشْكُورةٌ على التَّقْبِيحِ!
وأرادَتْ بذا قَبِيحَ فَعَالٍ * صنَعَتْه، فكان عينَ المَلِيحِ!

* * *

ومما قيل فى التوديع، قال البحترىّ :

أقولُ له عِنْد تَوْدِيعِهِ، * وكُلٌّ بعَبرتِه مُبْلِسُ:
لئن قعَدَتْ عنكَ أجسامُنَا، * لقد سافَرَتْ معك الأنفُسُ!

وقال أبو الطيب المتنبي :

يا راحلاً ، كلّ مَنْ يودّعهُ * مُودِّعٌ دِينَهُ ودُنْياه.

إنْ كان فيما نراهُ مِنْ كَرَمٍ * فيكَ مَزِيدٌ ، فزادَكَ اللهُ!

وقال البحتريّ :

٥ ألم ترَني يومَ فارقْتُهُ * أودِّعُه ، والهوى يَسْتَزِيدْ

أُوَلّي إذا أنا ودَّعْتُهُ ، * فيغلِبُني الشوقُ حتّى أعودْ.

وقال أبو تمام :

نأْيٌ وَشيكٌ وانطلاقُ ، * وغَليلُ شَوْقٍ واحْتِراقُ.

بأَبِي فتًى وَدَّعتُه * تاهتْ بصُحْبتِه الرِّفاقُ!

١٠ بدرٌ يُضيء لعاشقيه فما يُطِيفُ به المَحَاقُ!

وقال ابن زيدون :

وَدَّعَ الصبرَ مُحِبٌّ ودَّعَكْ ، * حافظٌ من سِرِّه ما استودَعَكْ!

يقْرَعُ السِّنَّ على أنْ لم يكُنْ * زاد في تِلْكَ الخُطَا ، إذ شَيَّعَكْ!

يا أخا البَدْرِ سَنَاءً وسَنًا ، * حفِظَ اللهُ زماناً أطْلَعَكْ!

١٥ إن يَطُلْ بَعْدَكَ ليلي ، فلَكَمْ * بِتُّ أشكو قِصَرَ الليلِ مَعَكْ!

وقال أبو عبد الرحمن شاعر "اليتيمة":

إذا دَهَاكَ الوداعُ فاصبر * ولا يهولَنَّك البعادُ!

وانتظرِ العودَ عن قريب ، * فإنَّ قلبَ الوَداعِ عادُوا.

وقال آخر :

وَدَّعتُه حيثُ لا تُودِّعُهُ * رُوحى، ولكنّها تسير معَهْ

ثم تَوَلَّى وفى القُلُوب له * ضيقُ مجالٍ وفى الدموع سَعَهْ

وقال الإمام الصولى :

لو كُنْتَ يوم الوَدَاع حاضِرَنا * وهُنَّ يَشْكُونَ عِلّةَ الوجد،

لم تَرَ إلا الدُّموعَ جاريةً * تَسْقُطُ من مُقْلةٍ على خَدِّ.

كأنَّ تِلكَ الدُّموعَ قَطْرُ ندًى، * يَقْطُر من نَرْجِسٍ على وَرْدِ!

وقال أبو منصور أحمد بن محمد اللخمىّ :

وقَفْتُ يومَ النوى منهم على بَعَدٍ * ولم أُوَدِّعْهُمُ وَجْدا وإشْفاقَا.

إنّى خَشِيتُ على الأظعان من نَفَسِى * ومن دُموعِىَ : إحراقًا وإغْراقا.

وقال ٱبن نُبَاتة :

ولَمَّا ٱستقلَّتْ للرواحِ حُمُولُهُمْ * ولم يَبْقَ إلا شامِتٌ وغَيُورُ،

وَقَفْنا : فمِن باكٍ يُكَفْكِفُ دَمْعَه، * ومُلْتزِمٍ قلبًا يَكادُ يَطِيرُ!

وقال آخر :

ولَمَّا وَقَفْنا للوَدَاع، وقلبُها * وقَلْبِى يَبُثّان الصَّبابةَ والوَجْدا،

بكَتْ لُؤلؤًا رَطْبًا ففاضَتْ مَدَامِعِى * عقيقًا فصارَ الكُلُّ فى نَحْرِها عِقْدا.

وقال آخر :

وَدَّعتُها ولَهِيبُ الشّوقِ فى كَبِدى * والبَيْنُ يُبعِدُ بينَ الرُّوح والجَسَد،

وَدَاعَ صَبَّيْنِ لم يُمكِنْ وَدَاعُهما * إلا بلَحْظة عَيْنٍ أو بَنَانِ يَد.

وحاذرتْ أعينَ الواشينَ فانصرفَتْ * تَعَضُّ من خَوفِها العُنّابَ بالبَرَدِ.
وكان أوّلُ عَهْدِ العينِ يوم نأَتْ * بالدّمعِ آخِرَ عهدِ القَلْبِ بالجَلَدِ.

وقال الهيثم الكلاعى، من شعراء "اليتيمة" :

ولم أنسَها يومَ الوَداعِ، ومَسْحَها * بوادرَ دَمْعِ العَيْنِ. والعَيْنُ تَذْرِفُ.
أفانِينُ تَجرِى من دُموعٍ ومن دَمٍ * على الخدِّ منها تَسْتَهِلُّ وتَرْعُفُ.
وتكرارَنا نَجوى الهوى ذاتَ بَيْنِنا، * وكلٌّ إلى كلٍّ يلِينُ ويَعْطف.
جعلْنا هُناكَ الهَجْرَ مِنّا بجانِبٍ، * وللبَيْنِ داعٍ بالتَّرحُّلِ يَهْتِفُ.
ولولا النوى، لم نَشْكُ ضَعْفاً عن الأسى! * ومَنْ يَحمِلُ الأشجانَ بالبَيْنِ يَضْعُفُ!
فقلتُ : كِلانا مُثقَلٌ من صَبابةٍ؛ * ولكنّنى عن حَمْلِها منْكِ أضْعَفُ.

وقال الظاهر البصرى :

نَفسِى الفِداءُ لمن جاءَتْ تُوَدِّعُنِى * يومَ الفِراقِ بقَلْبٍ خائفٍ وجِلِ!
قد كنتُ فارقتُ رُوحِى يومَ فُرقَتِها؛ * لكن حَيِيتُ بطيبِ الضَّمِّ والقُبَلِ!

وقال يزيد بن معاوية :

جاءتْ بوجْهٍ كأنّ البدرَ بَرْقعَهُ * حُسْناً على مِثلِ غُصْنِ البانةِ الثَّمِلِ.
إحْدى يَدَيْها تُعاطِيني مُعتّقَةً * كخدّها عَصْفَرَتْه حُمْرةُ الخَجَلِ.
ثُمّ آستبدّتْ وقالت وهْىَ عالِمَةٌ * بما تقول وشمسُ الكأس لم تَفِلِ:
لا ترحَلَنّ، فما أبقيْتَ لى جَلَداً * مما أُطيق به تَوْديعَ مُرْتَحِلِ!
ولا مِنَ الصبْرِ ما ألقى الفِراقَ بِهِ * ولا من الدّمعِ ما أبْكِى على طَلَلِ!

ومن الناس من كره الوداع . وفى ذلك يقول البحترى :

اللهُ جارُكَ فى آنطلاقِـكْ * تِلقاءَ شامِـكَ أو عِراقِكْ!

لا تَعْذُلَنِّى فى مَسِيرى يومَ سرت ولم أُلاقِكْ! * إنِّى خَشِيتُ مَواقِفًا للبَيْنِ تَسْفَحُ غَرْبَ ماقِكْ!
وعلمتُ أنّ بُكاءنا حسبُ آشتياقِ وآشتياقِكْ! * وذكرتُ مايَجِدُ المودِّعُ عند ضَمِّكَ وآعتناقِكْ،
فتركتُ ذاكَ تعمُّدًا * وخرجتُ أهْرُبُ من فراقِكْ!

وقال آخر:

الله يعلَمُ ماتَركْت وَدَاعَهُ، * ولقد جَزِعْت لبُعْدِه وفراقِه،
إلا مخافةَ أنْ يُذيبَ فؤادَهُ * مافى فؤادِى منه عند عِناقِه!

وقال آخر:

إنّ تَركِى فَضِيلةَ التشييع * لاجتنابى مَشَقَّةَ التوديع.
مايَفِى أُنْسُ ذا بوَحْشة هذا، * فرأيتُ الصّوابَ تَرْكَ الجميع!

وقال آخر:

ما تركتُ الوَداعَ يوم آفترقْنا * عن مَلَالٍ ولا لوجهٍ قبيحِ.
أنتَ رُوحِى على الحقيقة ما زِلْتَ، وما آخترْتُ أن أُودِّعَ رُوحِى!

* * *

ومما قيل فى الصدّ والهِجْران، قال أبو عُبادة البحترىّ:

هَجَر الحبيبُ، فمتُّ من شَغَفٍ * لَمَّا حُرِمْتُ عَزِيمةَ الصَّبْرِ!
فإذا قضَيْتُ، فنادِ: ياحَزَنِى، * هذا قَتِيلُ الصَّدّ والهَجْرِ!
والبدرُ فى حِلٍّ وفى سَعَةٍ * من سَفْكه دمَ عَبْدِه الحُرِّ!

وقال ابن ميّادة :

كانوا بعيدًا، فكنتُ آملُهم * حتّى إذا ما تقاربوا، هجروا.
فالبُعدُ منهم على رجائهمُ * أنفعُ من قربهم إذا هجروا!

(٩٢) وقال أبو الحسن أحمد بن عمر النهروانيّ :

على قلبي الاحبّةُ بالتمادي في الهوى غَلَبُوا.
وبالهجرانِ من عينيَّ طيبَ النومِ قد سَلَبُوا.
وما طلبوا سوى قتلي، * فهانَ عليَّ ما طلبوا!

ولما سمع الشيخ العالم صدر الدين محمد بن الوكيل هذه الأبيات، عارضها، وأنشدني لنفسه في صَفَر الأغر الميمون سنة ثلاث عشرة وسبعمائة .

لئن غَلَبوا على عقلي، * لقد سلبوا لمَنْ غلبوا!
وإنْ أبكي تبسّمهمْ، * فخُلَّبَ برقهم خَلَبوا!
وإن ترجُ العيونُ، فقدْ إليها السُّهدَ قد جَلَبوا!
وإنْ عطفوا برقّتهم، * فقدْ رمد معي حَلَبوا.

⁂

ومما قيل في الزيارة، قول الوزير أبو عبد الله بن الحداد :

إذا جاءني زائرًا حُسْنُهُ * أقامَ عليه رقيبٌ عَتيدَ .
إذا ما بدا، سرّبلته العيون وخرّتْ وجوهٌ إليه سُجودَ .
هو البدرُ والغُصن: خدًّا وقدًّا، * كما أنهُ الظبيُ: لحظٌ وجيدَ .
أتى زائرًا وفؤادي خَليّ، * فمرَّ به مُستهامًا عَميدَ .
وغادرني بعدَه في غرامٍ * تضرّم بين ضلوعي وقودَ !

وقال نصير الخُبْزأَرُزّى، شاعر "اليتيمة" عفا الله عنه :

خَلِيلَىَّ ! هَلْ أبصرتُما أو سَمِعْتُما * بأكْرَمَ من مَوْلًى تَمَشَّى إلى عَبْد!
أتى زائِرًا من غَيْرِ وَعْدٍ وقال لى: * أُصُونُك عن تعليق قَلْبِك بالوَعْدِ!

وقال الوأواء الدمشقى :

زارَ بليلٍ على صَــبَاحٍ * على قَضِيبٍ على كَثِيبِ!
حتَّى أتت ألْسُنُ الليالِى * مُعْتذِراتٍ من الذُّنُوبِ.
فيالَهَا زَوْرةً أخَــذْنا * بهــا أمانًا من الخُطُوب!

وقال أبو عبد الله الحدّاد :

يازائرًا، مَــلأَ النَّــواظِرَ نُورا * والنَّفْسَ لَهْــوًا والفُؤادَ سُرورا!
لوأسْتَطِيعُ، فرشْتُ كلَّ مَسَالِكى * حَدَقًا وبِيضَ سَوالِفٍ ونُحورًا.

وقال آخر :

أهْــلًا وسَهْلًا بطارِقٍ طَرَقا، * أحبَبْتُ فيــه السهاد والأرَقا!
زارَ على غَفْــلةِ الرقيب ويُمْــناه تُدارِى وِشَاحَــه القَلِقَــا.
فبِتُّ منــه مُعانِقًا صَــنَمًا * يَنْفَحُ مِسْكًا وعَنْــبرًا عَبِقَــا.
لو شِئْتُ، أنشأْتُ من ذَوَائِبه * لَيْــلا، ومن نُورِ وجْهِه فَلَقَا!

وقال أبو عبد الله الحامدى من شعراء "اليتيمة" :

مُشتاقةٌ طَرَقَتْ فى الليل مُشْتاقَا! * أهلًا بمَنْ لم يَخُنْ فى العَهْــدِ ميثاقَا!
أهْلًا بمن ساقَ لِى طَيْفَ الأحِبَّةِ فى * ليــلِ الدُّجُنَّةِ، بل أهْلًا بمــا ساقَا!
يازائرًا زارَ من قُرْبٍ على بَعَدٍ، * آنسْتَ مستوحِشًا! لا ذُقْتَ ماذاقَا!

اللهُ يعلَمُ لو أنى آستطعتُ، لقد * فرشتُ ممشاكَ آماقاً وأحداقا!
يا لَيلُ، عرِّج على إلفَينِ قد جعلا * عقدَ السواعدِ للأعناقِ أطواقا!

وقال مؤيد الدين الطغرائى :

وزائرةٍ وافتْ، فأجللتُ خدَّها * وقبّلتُ إكراما لموردها الأرضا!
فيا زورةً جاءتْ على غيرِ موعدٍ، * فقرّتْ عيونٌ وآشتفتْ أنفسٌ مَرضى!
فلمْ أرَ إلّا ما ألذُّ وأشتهى، * ولم أرَ إلّا ما أودّ وما أرضى!
على أنها ولّتْ ولم أقضِ سُنّةً * من الوطرِ المطُولِ دهْرا ولا فرضا!
وما سوّغَتْنا ليلةَ الوصلِ قرضَها * إلى أنْ بدا الإصباحُ يسْترجع القرْضا.

وقال آبن سُكّرة، من شعراء "اليتيمة" :

أهلا وسهلا بمَنْ زارتْ بلا عِدَةٍ * تحت الظلامِ ولم تحذرْ من الحرَسِ!
تستّرتْ بالدُّجى عمْدا، فما آستترتْ * وباتَ إشراقُها ليلًا على قبَسِ!
ولو طوَاها الدُّجى عنّا، لأظهرَها * بَرقُ الثّناتِ وعطْرُ النّحرِ والنَّفَسِ!

***

ومما قيل فى تخفيف الزيارة وموانعها. قال شاعر الحماسة :

ولمّا رأيتُ الكاشحينَ تتبّعوا * هوانا وأبدوْا دوننا نظرا شَزْرا،
جعلتُ وما بي من جفاءٍ ولا قِلًى * أزوركمُ يوماً وأهجركمْ شهْرا!

وقال مسلم بن الوليد :

أقلِلْ زيارتَكَ الصَّديقَ، يراكَ كالثوبِ آستجدّهْ!
إنَّ الصديقَ يُمِلُّه * أنْ لا يزالَ يراكَ عندَهْ.
إلّا الكرامَ ذوى النُّهى، * إنَّ الكريمَ يديمُ عهدَهْ!

وقال آخر:

إذا ما كَثرتَ على صاحبٍ * وقد كان يُذْنِبك من نَفْسِـهِ،
فلا بُدّ من مَالٍ واقِـعٍ، * يُغَـيِّر ما كان منْ أُنْسِـه!

وقال آخر:

لئِنْ تأخّرتُ عن مَفْروض خِدْمَتِكمْ * تَجَشُّما، فضَـميرِى غيرُ مُتَّهَـمِ!
سَـعى وِدادِى إليـكُمْ بالوفاءِ لكم، * والسَّعْىُ بالقَلْب فوقَ السعْىِ بالقَدَمِ!

وقال ابن المعلم:

لم أَطْوِ بَحْرَ نَداكَ ـ مع قُرْبِـه ـ قِلّى * إلا مَخافةَ مَوْجِهِ المُتراكب.
وعَلِمْتُ أنّى إن أتَيْتُـك زائرًا، * ثَقَّلتُ، والتثقيلُ ليس بواجب.

وقال المعوّج:

ثلاثةٌ منَعتْهـا من زيارَتِنـا، * وقد طوى الليلُ جَفْنَ الكاشِح الحَنِق:
نُورُ الجَبِين، وَ وَسْواسُ الحُلِىّ، وما * يَمسّ أردانَها من عَنْـبرٍ عَبِقِ.
هَب الجَبِينَ بفَضْلِ الثوبِ تَسْتُره، * والحَلْىَ تَنْزِعه، ما الشأْنُ فى العَرَق؟

وقال أبو فراس الحمدانىّ:

لقـد نافَسَنِى الدّهْرُ * بتأْخِيرى عن الحَضْرَهْ.
فَمَـا أَلْقَى من العِلّةِ ما أَلْقَى من الحَسْرَهْ!

ومنها التأخر عن عيادة المرضى، قال ابن زُرَيق الكوفىّ الكاتب:

يا مَرِيضًـا لِسُقْمِهِ، * مَرِضَ العِلْمُ والوَفا!
لم يَكُنْ تَرْكِىَ العيا * دةَ هَجْـرًا ولا جَفَا.

لم أطِقْ أنْ أراكَ يا ... أكرمَ الناس مُدْنفا !
طالَ خَوْفي عليك ، والـ ... حمدُ لله إذ كَفى !

وقال آخر :

منَعَتْنِي عليــكَ رِقَّةُ قَلْبِي ... من دُخُولِي عليكَ في العُوَّادِ
لو بأُذْنِي سمعتُ منكَ أنيناً ، ... لتَفَرَّى على الأنينِ فُؤادي

وقال آخر :

فوالله ! ليْسَ انْقطاعِي جَفًا ... وفي كَبِدِي منك نارٌ تشبُّ !
ولكنّني قَطُّ لا أشْتَهِي ... أرى مَنْ أحبُّ كما لا أحبُّ !

* * *

ومما قيل في المدامع . قال العسكري : أبلغُ ما قيل في امتلاء العين من الدمع قولُ بعض الأعراب :

فَظَلْتُ كأنّي من وَراءِ زُجاجةٍ ... إلى الدّارِ من فَرْطِ الصَّبابةِ أنظُرُ

وقال البحتري :

ويحسُنُ دَلُّها والموتُ فيـه ، ... وقد يُسْتَحْسَنُ السيفُ الصَّقيلُ !
وَقَفْنا والعيونُ مُثَقَّـلاتٌ ... يُعجِّجُ دَمعَها طَـرْفٌ كَليـلُ !
نَهَتْهُ رِقْبَـةُ الواشينَ حتّى ... تعَلَّقَ : لا يَغيضُ ولا يَسيـلُ !

وقال السريّ :

بنفسِيَ مَنْ رَدَّ التحيـةَ ضاحكاً ، ... فجدَّدَ بعد اليأسِ في الوَصْلِ مَطْمَعِي !
إذا ما بَدا ، أبدى الغَـرامُ سرائِري ... وأظهَرَ للعُذّالِ ما بين أضْلُعِي .
وحالَتْ دُموعُ العينِ بيْنِي وبَيْنَه ، ... كأنَّ دُموعَ العينِ تَعْشَقُه مَعِي .

وقال الصولىّ :

قد كانَ فى طُولِ البُكا لِى راحةٌ، * وعَنَانُ سِرّى فى يَدِ الكِتْمانِ.
حتّى إذا الإعْلانُ نَبّهَ واشِيًا، * رقأَتْ دُموعى خَشْيةَ الإعْلانِ!

وقال بشّار :

ماءُ الصّبابةِ، نارُ الشّوقِ تَحْدِرُه * فهل سَمِعتُم بماءٍ فاضَ من نارِ؟

وقال أبو هلال العسكرىّ :

أشكُو الهوى بدُموعٍ قادها قَلَقُ * حتّى عَلِقْنَ بجَفْنٍ ردَّها الفَرَقُ.
ففى الفُؤادِ سَبِيلٌ للأسى جَدَدٌ، * وفى الجُفُونِ مَقِيلٌ للكَرى قَلِقُ.
لَهِيبُ قلبِى أفاضَ الدّمْعَ من بَصَرى، * والعُودُ يَقْطُر ماءً وهو يَحْتَرِقُ!

وقال الصولىّ : أنشد أبو الحسن بن رجاء المبرّد يوما بيتَ ذى الرّمّة :

"لعَلَّ انْحِدارَ الدمعِ يُعْقِب راحةً * من الوَجْدِ أو يَشْفِى شَجِىَّ البَلابِلِ!"

وقال : من قال فى مثله، فقد ملح .

وقال الحسن بن وهب :

اِبْكِ! فما أكْثَرَ نَفْعَ البُكا! * والحُبُّ إشفاقٌ وتَعْليلُ!
اِفْزَعْ إليه فى ازْدِحامِ الجوى * ففيه مَسْلاةٌ وتَسْهيلُ.
وهو إذا انت تأمّلْتَه * حُزْنٌ على الخدّيْنِ محْلُولُ!

وقال العباس بن أحمد بن الأحنف :

(٩٤) إنّى لأجْحَدُ حُبَّكم وأُسِرُّه * والدمعُ مُعْتَرِفٌ به لم يَجْحَدِ.
والدمعُ يشهدُ أنّنى لكِ عاشِقٌ * والناسُ قد علمُوا وإن لم يَشْهَدِ!

وقال آخر :

فلا تُنْكِرَنْ لَوْنَ الدموع فإنَّما * يُبَيِّضها تصعيدُها من دَمِ القَلْب!

وقال العسكريّ :

آفةُ السِّر من دُمُو * ع دَوامٍ دوامِـع!

كيفَ يخفى مع الدُّمُو * ع الهوامي الهوامع؟

ما رأينا أخَا هَوًى * سِرُّه غيرُ ذائع!

إنّ نيرانَ حُبّه * باديات الطلائع!

وقال خالد الكاتب :

بكَيْتُ دمًا حتّى بقيتُ بلا دَمٍ، * بُكاءَ فتًى فردٍ على شَجَنٍ فَرْدِ!

أأَبكِي الذى فارقْتُ بالدَّمع وحدَه؟ . لقد جَلَّ قدرُ الدمع فيه إذًا عندى!

وقال آخر :

غدَتْ بأحبتى كُومُ المَطَايَا، . فبانَ النومُ وآمتنَع القَـرارُ،

وكان الدّمعُ لى ذُخرًا مُعَدًّا، . فأنفقْتُ الذخيرةَ يومَ ساروا!

وقال آخر :

طالَ عَهْدِى بها فلمّا رأتنى، . نظَمَتْ لُـؤلؤًا على تفّـاحِ!

وقال آخر :

إذ لا جَوابَ لمُفْحَم متحيّرٍ .. إلا الدموعُ تُصانُ بالأطْرَف.

وقال آخر :

تقول غَداةَ البيْنِ عِنـد وَدَاعها : . إلى الكَبِدِ الحَرَّى: فَسِرْ، ولك الصّبر!

وقد سـبقَتْها عَبْرةٌ: فدمُوعُهـا . على خدّها بيضٌ، وفى نحرها حُمْرُ!

معناه : أن الدّموع إذا انحدرت إلى نحرها احمرّت من الطِّيب .

قالوا : وأحسن ماقيل فى صفة الدّموع إذا امتزجت بالدماء، قول أبى الشِّيص :

لَهَوْنَ عن الإخوانِ إذ سَفَرَ الضُّحى * وفى كَبِـدِى من حَرِّهنّ حَرِيقُ.
مزجتُ دَمًا بالدّمع حتّى كأنما * يُذابُ بعينى لؤلؤٌ وعَقِيقُ.

وقول أبى تمـام :

نَثَرَتْ فَرِيدَ مَدامِعٍ لم تُنْظَمِ، * والدمعُ يَحْمِلُ بعضَ ثِقْلِ المُغْرَمِ!
وَصَلَتْ نجيعا بالدُّموع، نخدُّها * فى مثل حاشِيَةِ الرِّداءِ المعلم!

ومن أجود ماقيل فى بياض الدمع على حمرة الخدّ قول الصولىّ :

كأنّ تلكَ الدُّموعَ قَطْرُ ندًى * يَقْطُر من نَرْجِس على وَرْد!

وهى أبيات تقدّمت فى التوديع .

ونحوه قول ابن الرومىّ :

لَمَّا دنَا البينُ وزاح الدَّلُّ، * ودّعتُهـا ودمعُها منهَلُّ.
وخدُّها من قَطْره مخضَلُّ * كأنه وَرْدٌ عليـه طَلُّ!

وقال آخر :

كأنّ الدُّموعَ على خَدّها * بَقِيَّـةُ طَلٍّ على جُلَّنَار.

⁂

ومما قيل فى الرضا من المحبوب باليسير، فن ذلك قول حُمَيد بن ثور :

أُقَلِّب طَرْفِى فى السماء لعَـلَّه * يُوافقُ طَرْفِى طَرْفَها حين تَنْظُر!

ومثله قول ابن المَعْلُوط :

أليس اللّيـلُ يجمع أمّ عمرو * وإيَّانا؟ فذاكَ لنـا تَدانِى!
بلى، وأرى السماء كما تَرَاها، * ويَعْـلُوها النهارُ كما عَلَانِى!

وقال جميـــل :

وإنى لأرضى منك، يابثن، بالذى * لو استيقن الواشى لقرّت بلابله !

بلا، وبأن لا أستطيع، وبالمنى * وبالأمل المكذوب قد خاب آمله !

وبالنظرة العجلى، وبالحول ينقضى، * أواخـــره لا تلتـــقى وأوائـــله !

وقريب منه قول الآخر :

يودّ بأن يُمسى سقيما لعلّها * إذا سمعت منه بشكوى تُراسله !

ويهتزّ للمعروف فى طلب العُـلا * لتُحمَد يوماً عند سلمى شمائله !

أخذ العسكرى المعنى فقال :

وقلتُ : عساها إن مرضتُ تعودُنى * فأحببتُ لو أنّى غدوتُ مريضا !

وزدتُ اتّسـاعا فى المكارم والعُلا * ليُصبح جاهى عنـدهنّ عريضا !

وقال أبو الفضل بن عبد العزيز :

يامَنْ هجرتْ فلا تُبالي! * هل ترجع دولةُ الوصالِ؟

هل أطمعُ ياعذابَ قلبى * أن ينعم فى هـواك بالى؟

الطّرف كما عهـدتِ باكٍ .. والجســمُ كما ترينَ بالى!

ماضرّكِ أن تعلّليـنى .. فى الوصل بموعد مُحالِ!

أهواكِ وأنت حظُّ غيرى، .. ياقاتلتى، فما احتيالى؟

* * *

ومـا قيل فى النحول، فمن ذلك قول المتنبى :

أبلى الهوى أسفًا يومَ النوى بدنى، وفرّق الهجرُ بين الجفن والوسنِ!

روحٌ تردّدُ فى مثـل الخلال إذا أطارت الريحُ عنه الثوبَ لم يبِنِ.

كفى بجسمى نحـولا أننى رجلٌ * لولا مخاطبتى إيّاكَ — لم ترَنى!

وقال آخر :

أسرّ إذا بليتُ ، وذاب جسمى * لعـلّ الريحَ تحملُـنى إليـهِ!

وقال ابن المعتزّ :

ماذا ترى فى مُدْنَف * يشكوك طُولَ سُقْمِه؟
أضـنيْتَه فـا يطيـ*ـق ضَعفُه حملَ اسْمِه،
ولا يـراك عائدًا * إلا بعيْنِ وَهْمِهِ!

وقال كُشاجم :

وما زال يَبرِى أعظُمَ الجسم حُبُّها * وينقُصها حتَّى لطُفْنَ عن النَّقص.
فقد ذُبْتُ حتَّى صرتُ لو أنا زُرتُها، * أمنتُ عليها أنْ يَرى أهلُها شخصى.

ومن أبلغ ماقيل فى ذلك، قول ديك الجنّ :

أنحلَ الوجدُ جسمَهُ والحنينُ، * وبَرَاه الهوى فـا يستبِينُ!
لم يَعِشْ أنّه جليـدٌ، ولكن * دَقَّ جدًّا، فـا تراه المَنُونُ!

وقال نصير بن أحمد :

أنحلَنِي الحُبُّ فلو زُجَّ بِى * فى مُقْلةِ النائِمِ ، لم ينْتَبِـهْ!
وكانَ لِى فيما مَضى خاتمٌ * واليومَ لو شئتُ، تمنطقتُ بِهْ!

وقال الحسن بن وهب :

أبليْتَ جسْمِى من بعدِ جدَّتِهِ، * فـا تكادُ العيونُ تُبصِرُه.
كأنه رَسْـمُ مَـنزِلٍ خَلَقٍ * تعرِفُه العينُ ، ثُمَّ تُنكِرُهُ!

* * *

ومما قيل في المحبوب إذا اعتلّ، قال العباس بن الأحنف :

زعموا لي أنها صارت تُحَمّ! . ابتلى الله بهذا مَنْ زَعَمْ!
اشتكت أكملَ ما كانت، كما . يُكسَفُ البدرُ إذا ماقيل تمّ!

٥ وقال أحمد بن إسحاق الطالقاني :

لقد حلّت الحُمّى بساحةِ خدِّهِ . فأبدلتِ التفاح بالسّوسنِ الغضّ!

قال أبو هلال العسكري : والأصل في ذلك قول عبد بني الحسحاس . ونقل في كتابه ديوان المعاني بسند رفعه قال : كتب عبد الله بن عامر إلى عثمانَ بنِ عفّان رضي الله عنه : إني اشتريت لك عبدا حبشيا شاعرا . فكتب إليه عثمان : لاحاجة ١٠ لي فيه ، فإن قُصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويتسبب بكريمتهم . فشتره بنو الحَسْحاس ، فرئي يوما وهو ينشد :

ماذا يُريدُ السّقامُ من قمرٍ . كلُّ جمالٍ لوجهِهِ تبعُ؟
ما يبتغي خابَ من محاسنه؟ أما لَهُ في القِباح مُتّسعُ؟
غيّر من لونِه وصفّرَها ورُدّ منه الجمالُ والبِدَعُ.
١٥ لو كان يبغي الفداءَ، قيل له : ها : دُونَ الحبيبِ وَجَعُ!

ثم يقول لنفسه : أحسنتَ والله ! برِئ حسَنتَ . وكان العبد كما حدّس عثمانُ . فما زال يهجو مواليَه ويشبّب بنسائهم ، حتّى قتلوه . فضحكتْ منه امرأة وقد ذهبوا به ليقتلوه ، فقال :

فإنْ تضحكي منّي ، فيا رُبَّ ليلة جعلتُكِ فيها كالقَباءِ المفرَّجِ!

وقال لهم :

فلقد تحدّر من جَبينِ فتاتِكم * عَرَقٌ على ظَهْر الفراش وطيبُ !

وهو الذى مدح نفسه بقوله :

إن كنتُ عبدًا ، فنفسى حُرَّةٌ كَرَما ؛ * أو أسودَ اللونِ، إنى أبيضُ الخُلُقِ !

ولم أورد هذه الواقعة هنا لأنه موضعها من كل وجه، وإنما الشىء بالشىء يذكر. ٥

وقال شاعر :

لو لم تَكُنْ حُمّاه مشغُوفةً * تَعْشَقُه طَورًا وتَهْواه،

ماعانقَتْ إذ أقبلتْ جِسْمَه * وقَبَّلتْ إذْ فارقَتْ فاهُ !

وقال آخر :

لو كانَ كُلُّ مَرِيض * يزدادُ مثلَكَ حُسْنًا، ١٠

لكانَ كُلُّ صَحيح * يَوَدُّ لو كان مُضْنى!

وقال محمد بن العباس الخوارزمى ، من شعراء "اليتيمة" :

ولِى من أُمِّ مِلْدَمَ كُلَّ يومٍ * ضَجيعٌ لا يَلَذُّ له مَنامُ!

مُقبِّلةٌ وليس لها ثَنايَا، * معانِقةٌ وليْس لها ٱلْتِزامُ!

كأنَّ لها ضَرائرَ من غِذَائى، * فَيُبْغِضُها شَرَابِى والطَّعامُ. ١٥

إذا ما صافَحَتْ صَفَحاتِ جِسْمِى، * غَدَا أَلِفًا وأمسى وهو لامُ.

(٩٦)

*
* *

ومما يناسب هذا الفصل ما قيل فى شرب الدواء، فمن ذلك قول أبى تمام:

أَعْقبكَ اللهُ صِحَّةَ البَدَنِ، * ما هَتَفَ الهاتِفاتُ فى الغُصُن.

كيفَ وجَدْتَ الدَّواءَ؟ أوجَدَكَ اللهُ شِفاءً به مَدى الزَّمَنِ ! ٢٠

وقال ابن حجاج :

يا مَنْ به تَتَباهى * مَجالِسُ الخُلَفاءِ!
ومَنْ تُقصِّرُ عنه * مَدائِحُ الشُّعَراءِ!
ياسيِّدى كيفَ أصبحْتَ بعدَ شُرْبِ الدَّواءِ؟
خرجْتَ منه تُضاهى * فى الحُسْنِ بَدْرَ السَّماءِ!
٥ فى ثوبِ صِحَّةِ جِسْمٍ * مُطَرَّزٍ بالشِّفاءِ.

* * *

ومما قيل على لسان الورقاء — وكل مطوقة عند العرب حمامة : كالدُّبْسِىّ والقُمْرِىّ والوَرَشانِ وما أشبه ذلك . وجمعها حَمَامٌ . يقال للذكر والأنثى منه حمامة .
١٠ والحمامة تَبْكِى، وتُغَنِّى، وتَنُوح، وتُغَرِّد، وتَسْجَع، وتُقَرْقِر، وتَتَرنَّم .
وإنما لها صوت سجيع لا يُفْهم : فجعله الحزينُ بكاءً، والطَّرِبُ غِناءً .

قال حميد بن ثور :

مطوَّقةٌ خَطْباءُ تَسْجَع كُلَّما * دنَا الصيفُ وانْزاح الربيعُ فأَنْجَما.
تغنَّتْ على غُصْنٍ عِشاءً فلم تَدَعْ * لنائحةٍ فى نَوْحِها متلوَّمَا.
١٥ فلم أرَ مِثْلِى شاقَهُ صوتُ مِثْلِها . * ولا عَرَبِيّاً شاقَهُ صوتُ أعْجَمَا!

وقال مجنون بنى عامر :

ألَا ياحمامات اللِّوى عُدْنَ عَوْدةً * فإنِّى إلى أصواتِكُنَّ حَزِينُ!
فعُدْنَ، فلمَّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَنِى * وكِدتُ بأسْرارٍ لهُنّ أُبِينُ!
فلم تَرَ عَيْنِى مثلَهُنّ حمائمًا * بكَيْنَ . ولم تَدْمَعْ لهنّ عُيونُ!

وقال أبو الأسود الدؤلى :

وساجعٍ فى فُروعِ الأَيْكِ هيَّجنى! * لَمْ أَدْرِ لِمْ ناحَ ممَّا بِى ولِمْ سَجَعا؟
أباكيًا إِلْفَه من بعدِ فُرْقتِه، * أمْ جازعًا للنَّوى من قَبْلِ أن يقَعا؟
يَدْعُو حمامَتَه، والطيْرُ هاجعةٌ: * فما هَجَعْتُ له لَيْلِى وما هَجَعا!
شَكَا النَّوى فبكى خَوْفَ الأَسى فرمى * بيْنَ الجَوانِحِ من أوجاعِه وَجَعا! ٥
كأنَّه راهبٌ فى رأسِ صَوْمعةٍ * يتلُو الزَّبُورَ، ونجمُ الصُّبْحِ قد طَلَعا!

وقال جَحْدَر العُكْلىّ :

وقِدْمًا هاجَنى فازددْتُ شَوْقا * بُكاءُ حمامتَيْنِ تجَاوَبان.
تجاوَبَتا بلَحْنٍ أعجَمىٍّ * على عُودَيْنِ من غَرْبٍ وبانِ.
فكان البانُ أن بانَتْ سُلَيْمى * وفى الغَرْبِ ٱغْتِرابٌ غيرُ دانِى! ١٠

وقال عوف بن مُحَلِّم :

ألَا ياحَمامَ الأَيْكِ إِلْفُك حاضِرٌ * وغُصْنُكَ مَيَّادٌ! ففِيمَ تَنُوحُ ؟

وقال ابن عبد ربه من ابيات :

وكَيْفَ، وَلِى قَلْبٌ اذا هَبَّتِ الصَّبَا * أهابَ بشَوْقٍ فى الضُّلُوعِ دَفِينِ ؟
ويهتاجُ منه كُلّ ما كان ساكِنًا * دعاءُ حمامٍ لم تَبِتْ بوُكُون . ١٥
وإنَّ ٱرتياحِى من بُكاءِ حمامَةٍ * كذى شَجَنٍ داوَيْتَهُ بشُجُونِ .
كأنَّ حَمَام الأَيْكِ لَمَّا تجاوَبَتْ * حَزِينٌ بَكى من رَحْمةٍ لحَزِين !

وقال ٱبن قلاقس :

غنَاءُ حَمَامٍ فى مَعَاطِفِ بانٍ * إلى مَذْهَبِ الحُبِّ القَديم ثَنانِى .

تغنّى فأعطافُ الغصونِ رواقصٌ * وأحداقُ أزهارِ الرِّياضِ رَوَانِي.
فذَكّرني شَرْخَ الزمانِ فمدْمعى * سَفُوحٌ وقلبى دائمُ الخفقانِ.

وقال أعرابىّ :

وقَبلِى أبكى كُلَّ مَنْ كان ذا هوًى * هُتُوفُ البَواكى والدِّيارُ البَلاقِعُ.
وهُنّ على الأغصانِ من كُلِّ جانبٍ * نَوائحُ، ما تَخْضلُّ منها المَدامِعُ!

وقال فتح الدين بن عبد الظاهر :

نَسب النـاسُ للحَمامـةِ حُزْنًا، * وأراها فى الحُزْنِ ليستْ هُنالكْ!
خَضبَتْ كَفّها وطَوَّقت الجيـ ـدَ وغَنَّتْ، وما الحَـزينُ كذلكْ!

وقال ابن الرومىّ :

أشجَتْكَ داعيـةٌ مع الإشراقِ، * هتفَتْ بساقٍ من ذُؤابةِ ساقِ؟
أبكيَّـةٌ تدعُـو، ولم أرَ باكيًا * رَيْبَ الزمانِ قَرِينَها لِفراقِ.
تبدُو أواميتُ[1] الشَّجَى فى صَوتِها * وتُرى عليهـا أنّة الإطـراقِ.
لو تَستطيعُ، تسلّبتْ من طَوْقِها * لو كان مُنْتحلًا من الأطْواقِ.

⁂

ومما قيل فى المراجعات. فمن ذلك قول وضَّاح يمن :

قالَتْ : ألَا لا تَلِجَنْ دارَنَا، * إنَّ أبانَا رجُـلٌ غـائِرُ!
أمَا رأيتَ البابَ من دُونِنا ؟ * قلتُ : فإنّى واثبٌ طـافِـرُ!
قالت : فإنّ القَصْرَ من دُونِنا! .. * قلتُ : فإنّى فوقَه ظـاهِـرُ!

---

(١) يطلق الأمت فى اللغة على الضعف والوهن ويجمع على إمت وأموت وهو ترجمة سى أو ميت.

قالتْ : فإنَّ الليثَ عالٍ به * قلت : فسيفِي مُرْهَفٌ باتِرُ!
قالت : فهذا البحرُ ما بيننا * قلت : فإنِّي سابِحٌ ماهِرُ!
قالت : أليس اللهُ من فوقنا؟ * قلت : بلى! وهو لنا غافِرُ.
قالت : فإمّا كُنْتَ أعيَيْتَنا ، * فأْتِ إذا ما هَجَع السّامِرُ!
وٱسقُطْ علينا كسُقُوطِ النَّدى ، * ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجِرُ!

وقال المؤمل بن أميل :

وطارقاتٍ طَرَقْننى رُسُلا ، * والليلُ كالطَّيلسانِ مُعْتكِرُ.
فقُلْنَ : جِئْنا إليكَ عن ثِقةٍ * من عند خَوْدٍ كأنّها قَمَرُ!
هَلْ لكَ فى غادةٍ مُنَعَّمَةٍ * يَحارُ فيها من حُسْنِها النَّظَرُ؟
فى الجِيدِ منها طُولٌ إذا ٱلتفتَتْ * وفى خُطاها إذا خطَتْ قِصَرُ.
فقُمتُ أسْعى إلى مُحَجَّبَةٍ * تُضيءُ منها البُيوتُ والحُجَرُ.
فقلتُ لَمّا بدا تَخَفُّرُها : * جُودى ، ولا يمنعنَّكِ الخَفَرُ.
قالت : تَوقَّرْ ، ودَعْ مقالَكَ ذا ، * أنتَ ٱمرُؤٌ بالقَبِيحِ مشتَهِرُ!
واللهِ لا نِلْتَ ما تُحاوِلُ أو * يَنْبُتَ فى بطنِ راحتى شَعَرُ!
لا أنتَ لى قَيِّمٌ فتَجْبُرَنِى * ولا أميرٌ علىَّ مُؤْتَمَرُ.
قلتُ : ولكِنْ ضَيفٌ أتاكِ به * تحتَ الظلامِ القضاءُ والقَدَرُ.
فاحتَسِبى الأجْرَ فى إنالَتِه ، * ويا سِرى قد تطاوَلَ العسرُ!
قالتْ : فقد جئتَ تبتغِى عَمَلا * تكادُ منه السماءُ تَنفَطِرُ.
فقلتُ : لَمّا رأيتُها حَرِجَتْ * وغَشِيَتْها الهمومُ والفِكَرُ :
لا عاقَبَ اللهُ فى الصِّبا أبدًا * أنثى ولكنْ يُعاقَبُ الذَّكَرُ!

قالت : لقد جئتنا بمبتدع ، * وقد أتتنا بغيره النذر .
قد بيّن الله فى الكتاب فلا * وازرةٌ غيرَ وزرها تزر .
قلتُ : دعى سورةً لهجتِ بها ، * لا تحرمنّا لذاتها السور .
وجهُك وجهٌ تمّتْ محاسنُه ، * لا وأبى لا تمسّه سقر .

وقال آخر :

خطرتْ فقلتُ لها مقالةَ مُغرمٍ : * ماذا عليكِ من السلامِ فسلّمى .
قالتْ : بمَنْ تعنى فحبُّك بيّنٌ * فى سُقمِ جِسمِك؟ قلت : بالمتكلّمِ .
فتبسّمتْ ، فبكيتُ ، قالت : لاترُعْ * فلعلَّ مثلَ هواكَ بالمتبسّمِ .
قلتُ : اتّفقنا فى الهوى ، فزيارةً * أو موعدًا قبلَ الزيارةِ قدّمى .
فتضاحكتْ عجبًا ، وقالتْ : يافتى * لو لم أدعْكَ تنام ، بى لم تحلُمِ .

وقال آخر :

ولمّا نزلنا على زمزمٍ ، * ونحن نريد طوافَ الإفاضَهْ ،
بكيتُ ، فقالت : علامَ البكا؟ * فقلتُ : على الودِّ أخشى انتقاضَهْ .
فقالت : ثكلتُكَ من عاشقٍ * تُشمِّر ذيلَكَ قبل المخاضَهْ .
فقلتُ : صدقتِ ، ولكنّنى * أُعلّمُ نفسى طريقَ الرياضَهْ .

⁂

ومما قيل فى المردوف : قال بعض الشعراء :

عيناكَ على سفك دمى أسرفتا * والجسم نحيلْ .
أطلقْ برضاك فى الهوى أسرَ فتًى * حيرانَ ذليلْ .

في ريقــكَ خمرتان قد حُرِّمتا ... من غير دليــلْ .
والعاشـق ظمآنُ فيا حرًّا! متى ... تسـقيه قليــلْ ؟

وقال آخر :

في خدّكَ وردتان قـد رُكِّبتا ... من فوق قضيبْ .
في قلبيَ جمـرتان قـد أُضرِمتا : ... نارٌ ولهيــبْ .
حلّفتـكَ بالإله ياخيرَ فـتى ... رفقًا بكئيبْ .
حيرانَ يهـيم بين حتى ومتى ... والأمر عجيبْ .

وقال آخر :

يابدرُ ! عصَيتُ في الهوى عذّالى ... طوعا لهـواكْ .
وانقــدتُ لأمرك الكبير العالى ... ماقلّ وفاكْ ! .
إن كان رِضاكَ سقمَ جسمى البالى ... صـبرا لرضاكْ .
عذّبْ جسـدى بسائر الأحوالِ ... إلا بجفــاكْ .

وقال آخر :

يامرتحِـلا إلى الحِمَى مَصرِفُه ... بالله عليـكْ ... خذ معك كتابْ، فيه خبرى .
لى ثَمّ رشًا عساك تسـتعطفُه ... إن هان عليكْ ... في رد جـوابْ، للمنتظـرِ .
إنْ عرّضَ بى، فقل : نعم أعرفُه ... يشـتاق اليكْ ... قـد رقّ وذابْ، بين البشرِ .
ما يتركه هـواكَ أو نتلفَـه ... والأمر اليـكْ ... ما الهجر صوابْ، من مقتدرِ .

* * *

وممـا قيل في الجناس، قال ابو الفضل الميكالى :

مواعيده بالوصل أحلام نائم ... أشـبّهها بالقـفر أو بسَرابِه
فمن لى بوجه لو تحيّر في الدجى ... أخو سفرٍ في جُنح ليل سَرَى بِه

وقال أيضا :

صِلْ محبًّا، أعياه وصفُ هواه ٭ فضناه ينوب عن ترجُمانِهْ
كلّما راقه سواك، تصدّت ٭ مقلتاه بدمعه ترجُمانِهْ

وقال آخر :

٥ ماضرّ مَن قد أباح قتلي ٭ في حبّه لو أباح رِيقَهْ
أبَى فؤادى السلوّ عنه ٭ لكنه ما أبَى حريقَهْ

وقال آخر :

أقول والليل مرخىّ غياهبه ٭ والدَّيْر يُسمعني حِسّ النواقيس :
يانفسُ كم بين مسرورٍ بلذّته ٭ وبين مُبْلًى بتشتيت النوى قيسى

١٠ وقال آخر :

يامن تنكّدت الدنيا لغيبته ٭ أساخطٌ أنت عنى اليومَ أم راضى؟
أمرضتَ بالهجر قلبَ المستهام فما ٭ عليك، بالوصل لو داويتَ أمراضى؟

وقال آخر :

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده ٭ ووكّل أجفانى برعيِ كواكبِهْ
١٥ فيا عَبْرتى سُحّى دمًا لفراقه ٭ ويا كبدى صبرًا على ما كوتْ بِهْ!

وقال آخر :

قلت له : ما ذا السواد الذى ٭ فيك تبدّى؟ قال : ذا غاليهْ
فقلت : قبِّلنى بذا قُبلة ٭ فقال : خذها قُبلةً غاليهْ
فقلت : ما تغدو على عاشق ٭ في حبكم، ذى كبدٍ غاليهْ

وقال آخر :

شافَــهَ كفّى رشأٌ * بقُبلةٍ ما شَفَتِ ،
فقلت إذ قبّلهـا : * ياليت كفّى شفتى !

وقال آخر :

لم يكفكم أخذُ قلبه سلَبًا * حتى أخذتم عن طرفه وسَنَهْ ،
كم ليلةٍ بات للغرام وكم * يومٍ وشهرٍ ما نامه وسَنَهْ ،

وقال آخر :

يا من لحظاته أسودٌ وَثَبَتْ * قد صحّ هواك فى فؤادى وثبتْ ،
جرّدتُ لها سيوفَ صبرى فنبت * يامن غرس الهوى بقلبى فنبتْ ،

١٠

وقال آخر :

يامن بحشاشتى إذا غاب سكنْ * هيّجتَ من الغرام ما كان سكنْ ،
يا من شَرَع الصدودَ فى الحبّ وسَنّ * من بعدك مهجورُك ماذاق وسَنْ .

وقال آخر :

أهوى قمرا سفكُ دمى حلَّ لهُ * فى أىّ شريعةٍ ومَن حلّلَهُ ،
ما بلّلَ شَعرَه وما حلّلَهُ * إلا سمحَ البخيلُ وآنحلّ لهُ .

١٥

وقال آخر :

مَن بلّلَ صُدْغَ قاتلى مَن سَلْسَلْ؟ * مَن أودع ثغرَه رحيقا سَلْسَلْ؟
مَن علّلنى فى حبّه؟ مَن سَلْسَلْ؟ * يا عاذل إن جهلتَ مابى سَلْ سَلْ .

وقال آخر :

يا بانـةً لحبّها * فى القلب أصلٌ قد نبتْ .

٢٠

سيوف صبرى عن سيو * ف مقلتيك قد نَبَتْ.
تلك لحاظُ أعين * أم أُسْدُ غيلٍ وثبت؟
(۱)
... ...
لواحظٌ لو برزتْ . فى يوم حربٍ، لَسَبَتْ.
وعقربُ الصُّدغ التى . لكلّ قلب لَسَبَتْ.
أَسْنَاؤُكم تاقت لها النفوس يوما وصَبَتْ.
لاسيّما إن حَملتْ . نشْرَك ريح وصبتْ.
نخيلهم دون بلو . غ السُّول فينا قد كَبَتْ.
أفدى حبيبا زارنى . فكم عدوٌّ قد كَبَتْ.
رعى حقوق فى الهوى . عليه لمّا وَجبتْ.
وسكّن الأحشاء بالتوصال لمّا وَجَبَتْ.

وقال أيضا :

من لفتى، جار عليه طرفه فيما قضَى؟
صبٌّ إذا الدهر قضى * عليه بالبين، قضَى.
يبكى على دهر تولى بالتدانى أو مضى.
تمطر عيناه إذا البرق الشآمى أومضا.

وقال آخر :

رمى حرّ قلبى بهجرانه * رشًا ما درى قدرَ ما قد رمى.
وقد كان قدّم إحسانه ،، ولكنه قدَّ ما قدّما.
فتسليم أمرى به للقضا ذَخرتُ به أجرَ ما أجرما.

(۱) لعل هنا بيتا سقط من الأصل ولم نعثر عليه .

*
* *

ومما قيل في الموشحات، فمن ذلك ما قاله بعض الأندلسيين :

يد الإصباح، قدحتْ زناد الأنوار * في مجامـر الزّهـرِ.
دهرٍ جذلان، وٱعتدال ريْعان * فما الإظعان؟ عن طلّا وغزلانْ.
راق الزمان، وشدتْ على البان * ذاتُ الجناح، وٱنثنت قدودُ الأشجارْ.
* في الغلائل الخُضرِ *
لنا أجساد، للسرور تنجذبُ * كما تنقاد، لربيعها العربُ.
حتى الجماد، لا يفوته الطربُ * طافت بالراح، سحبٌ فسكر النوّارْ.
* من سُلافة القَطرِ *
إن ٱنخلاعي، مع رشًا وصهباء * لدى بقاعٍ، حكت وشيَ صنعاء.
وللشعاعِ، لهبٌ على الماء * وللرياحِ، في متون تلك الأنهارْ.
* شَبَكٌ من التِّبرِ *
وريم المنى، بات بيدَه صدرى * كبدر تمًّا، وسط غُرّة الشهر.
شدوتُ لمّا، راعني سنا الفجر * قل للصباحِ: إن تدنُ بطرد الأقمارْ.
* فمع الدجى نسرى *
وغصن مائلْ، الهلال أعلاه * له من نابلْ، في النفوس قتلاه.
سيف الحمائل، غمده عذاراه * طوع الجماحِ، إن يكن كثيرَ النّفارْ.
* فهي عادة العُـفْرِ *

وقال ٱبن بقى :

مابى شَمول، إلا شجون * مزاجها في الكأس، دمع هتون.

لله ما بذّرْ، من الدموع * صبّ قد آستعبرْ، من الوَلُوع.
أودى به جؤذَرْ، يوم البقيع * فهو قتيلُ، لابل طعينُ.
. بين الرجا والياس، له منونُ *

[خرجْتُ للحيْنِ، كفّى بكفّى . وحيل ما بينى، وبين إلفى.
٥ لا شك بالبينِ، يكون حتفى . حان الرحيلُ، ولى ديونُ.
.. إن ردها العباسْ، فهو الأمين[1] .]

أما ترى البدرا؟ بدرَ السعودِ . قد آكتسى خُضرًا. من البرود.
إذا آنثنى نَضرًا، من القدودِ * أضحى يقولُ: : مت ياحزينُ.
* قد آكتسى بالياسْ، الياسَمينُ *

١٠ قلت وقد شرّد، النومَ عنّى . ويَبّس العود. السقم منّى:
صدّ فلما صدّ، قرعتُ سنّى . جسمى نحيلُ. لايستبينُ.
. يطلبه الخُلاسْ، حيث الأنينُ ..

تجاوز الحدّا، قلبى آشتياقا * وكلّف السهد، مَن لا أطاقْ.
قتُ وقد مدّا، ليلى رُوَقْ . ليلى طويلُ. ولا مُعينُ:
١٥ يا قدبَ بعضِ الياسْ، منينْ؟ .

وقال سراج الدين عمر الكتّانى الحلبىّ. يمدح الملك منصور صاحب حماه:

جسمى ذوى، بالكمدِ. والسهرِ، والوصبِ، من جانى
ذى شنبِ، كالبَردِ. كالدّرِ. كالحَبَبِ، جمّنى.

---

(١) الزيادة من مح طيب.

لى غصن بانٍ نَضِرُ * يسبيك منــه الهَيَفُ.

يرتــع فيــه النظــرُ * فزهــره يُقتطــفُ.

والخــدّ منــه قمــرُ * والجســم منــه ترفُ.

قــد جاءنا يعتــذرُ * عِــذاره المنعطِــفُ.

ثم ٱلتوى، كالزردِ، مُعَبقَرِى، مُعقرَبى، رَيحانى ٥

فى مُذهَبِ، مورّدِ، مدنّرِ، مكتّبِ، سَوسانى .

ظــبىٌ له مرتَشَفُ * كالســلسبيل الباردِ.

غصــنُ نقًا ينعطفُ * من لينٍ قدّ مائدِ.

بدرٌ عَــلاه سَــدَفُ * من ليل شَــعرٍ واردِ.

مُقَــرطَقٌ مشــنَّفُ * يختــال فى القــلائد. ١٠

بين اللّوَى، وثَهْمَدِ، بجُؤْذَرِ، فى رَبْرَبِ، غِزْلانى

ذى ضَرَبِ، ذى غَيدِ، ذى حَوَرِ، ذى هُدُبِ، وَسْنَانِى.

أَمَا وَحلْىِ جيــده! * ورنّةِ الخــلاخلِ!

والضمّ من بروده * قَــدَّ قضيبٍ مائلِ.

والوردِ من خدوده، * إذْ نَمّ فى الغــلائلِ. ١٥

لا كنتُ من صدودِه * متصــلا بعــاذلِ!

نارَ الجَوَى، لاتخْمُدِى، وٱستَعِرى، وكذّبِى، سُلْوانِى

وأَسْبِلِى، وٱطّرِدِى، وٱنْهَمِرِى كالسُّحُبِ، أجفانِى.

مولايَ جفني ساهرُ * مـــؤرّق كما ترى ..

فــلا خيــالٌ زائرٌ * يطرُقني ولا كَرَى .

إنّي عليــلٌ صـابرٌ . فما جزَا من صبرَا؟

إنْ سَحَّ دمعي الهامرُ * فلا تلُمْه إنْ جرَى .

٥ جَالَ الهوى، في جَلَدي، ومُضْمَري، أضرَّ بي، كتمانِي

مؤنّبي ، اتّئِد ، لا تَفتَرِ . وجَنّبْ، عن عَانِي .

إنْ صَالَ بالهجر وصَــدْ * رحتُ بصبري مرتدِي .

عنـــه وإن طال الأمدْ . إلى ذُرَى محمـــدِ .

وكيف يخشى مَن قَصَدْ . مَلْــكا كريمَ المحتِــدِ .

١٠ الملِكَ المنصــورَ قــد * سَمَا سَمَاءَ السُّــؤدَدِ .

ثم آستَوى، بأجْرَدِ، مضمَّرِ، ومِقْضَبِ، يمَانِي

ذي شُطَبِ، مهنَّدِ، وسَمْهَرِي، مضطَرِبٍ، مُرّانِي .

مَلْـــكا علت هِمَّاتُه من فوقِ هامِ المشتري .

وبَخّلَـــتْ راحاتُه سُحْبَ سَحابٍ ممطرِ .

١٥ وعُـــوِّذَتْ راياتُه بمحكماتِ السُّــوَرِ .

بدرٌ بدتْ هـــالاتُه من الصباحِ المُسْــفِرِ .

تحت لِوَى، منعقدِ، بالظَّفَرِ، في موكبٍ، فرسَانِي

كالأَشْهُبِ، في الأَسْعُدِ، كالأَنْجُمِ، في سُحُبٍ، سَيْحَانِي .

يامليكاً دون الورى * تخطبــه الممالك،
ومالكا إذا سرى * تحجبـه الملائك،
بعض عطاك هل ترى * جادت به البرامك،
فاستجلها من عمرا * ثغر مناها ضاحك،

لا يحتوى: كالشهد، كالسكر، كالضرب، معانى ٥
كالسحب، كالعسجد، كالجوهر، من حلب، تمانى.

انتهى ما أوردناه من الغزل والنسيب فى هذا الموضع؛ وقد آن أن نأخذ فى ذكر الأنساب وبالله التوفيق .

الباب الرابع

من القسم الأول من الفن الثانى فى الأنساب ١٠

(١٠٠) قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ . ومعرفة أنساب الأمم مما افتخرت به العرب على العجم، لأنها احترزت على معرفة نسبها، وتمسكت بمتين حسبها؛ وعرفت جماهير قومها وشعوبها، وأفصح عن قبائلها لسان شاعرها وخطيبها؛ واتحدت برهطها وفصائلها وعشائرها، ومالت إلى أفخاذها وبطونها وعمائرها؛ ونفت الدعىّ فيها، ونطقت بملء فيها . ١٥

وسأورد منها إن شاء الله تعالى ما يكتفى به، ويتمسك بأسبابه .

وقد وقفت على المقدّمة التى وضعها الشريف "أبو البركات الجوّانى" فرفعت له علما، ونصبت له إلى المعالى سلما : لأنه أتقن أصولها، وحرّر فصولها؛ وأورد

فيها من الأنساب ماينتفع به اللبيب، ويستغنى بوجوده الكاتب الأريب . فوجدته بدأ فيها بذكر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بآبائه ، وشرح جملة من نسبه الطاهر وأبنائه . فرأيت أن أسرد النسب من أصله ، وأبدأ بآدم عليه السلام، ثم بنسله؛ وأجعل العمدة على سرد عمود النسب المتصل بسيد البشر . وأذكر من ذلك ما آشتهر عند أهل الأنساب وآنتشر، إلى أن أنتهى إلى آسمه الشريف فأجعله خاتمة النسب ، وأتمسك من شريعته ومحبته بأوثق سبب . وأرجو ببركته بلوغ مآربى، ونجح مطالبى؛ وستر عيوبى، ومغفرة ذنوبى؛ وتزكية عملى ، وسد خللى ، والتجاوز عن سيئاتى ، والمسامحة بفلتاتى ولفتاتى ؛ والخيرة فى حركاتى وسكناتى .

هذا والله رجائى من كرم ربى، وإن قل عملى وكثر ذنبى ؛ وعلى الشريف العمدة فيما أوردته، والعهدة فيما نقلته؛ فمن تأليفه نقلت، وعلى مقالته آعتمدت .

قال السيد الشريف نقيب النقباء أبو البركات بن أسعد بن على بن معمر الحسينى الجوانى، النسابة رحمه الله: إن جميع ما بنت عليه العرب فى نسبها أركانه، وأسست عليه بنيانها، عشر طبقات .

الطبقة الأولى الجذم

وهو الأصل إما إلى عدنان وإما إلى قحطان. والجذم القطع. يقال: جذمه وجذمه؛ وذلك لما كثر الاختلاف فى عدد الآباء وأسمائهم فيما فوق ذلك. وشق على العرب تشعب المناهج فيه وتصعب المسالك، قطع الخوض فيما فوق قحطان ومعد وعدنان. وآقتصر على ذكر ما دونهما، لاجتماعهم على صحته . ومنه قول سيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم لما انتسب إلى معدّ بن عدنان : «كذب النسابون فيما فوق ذلك» لتطاول العهد. فمن كان من ولد قحطان، قيل يمنيّ. ومن كان من ولد معدّ بن عدنان، قيل خِنْدفى، أو قَيْسى، أو نزارى، وإن كان الجميع داخلا فى نِزار، أعنى معدّ بن عدنان؛ وإنما كان بعد نِزار جَمَاجِم استُغنى بالنسبة إليها عن نزار بن معدّ بن عدنان؛ ولأن جمهور العلماء طبقوا النسب على ما قدّمناه أربع طبقات : خندفيّ، وقيسيّ، ونزاريّ، ويمنيّ. فقولهم: خندفى أى كل من يرجع إلى الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان؛ وهو جمّاع خندف، فتوسعت العرب فى ذلك إلى أن قالوا: إلياس هو خِنْدف، لأن ولده وهم مُدْرِكَة، وطَابِخَةُ، وقَمَعَةُ، أمهم خندف، وهى ليلى بنت حُلْوان بن عِمْران، بن إلْحَافِ بن قُضَاعة، خندفت فى طلب ولدها أى أسرعت، فقال لها إلياس : مالك تخندفين ؟ أى تهرولين فسميت خندف، فرجع إلى خندف أبطن عدّة: كمُزَيْنَة، والرِّبَاب، وضَبّة، وصُوفَة، والشُّعَيْرا، وتَميم، وهُذَيل، وأَسَد، والقَارَة، وكِنَانَة، وقُرَيْش، فقيل لولد إلياس "خندف" ثم قيل لإلياس نفسه خندف إذ كان أبا لمن أمه خندف لاغير ولا ولد له إلا من خندف.
ولذلك نظائر وأشباه فى العرب، كما قيل لمالك بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر: "عائدة" لأن أم ولده عائدة بنت الخُمْس بن قُحَافة الخَثْعَمِيّة .

وكما قيل لعَوْف بن وَائِل بن قَيْس بن عَوْف بن عبد مَنَاة بن أُدّ بن طَابِخَةَ بن إلياس بن مضر: "عُكْل" لأن أمةً يقال لها عُكْل حضنت ولده .

وكما قيل لعمرو بن أُدّ بن طابخة بن إلياس : "مزينة" لأن أم ولده مُزَيْنَة بنت كَلْب بن وَبَرَةَ القُضَاعية .

وكما قيل لعمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار "جَدِيلَةُ قَيْس" لأن أم ولده جَدِيلة بنت مُرّ، أخت تميم بن مر، بن أُدّ، بن طابخة .

وكما قيل للحارث بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرّةَ بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عُرَيْب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَإ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان "عاملة" لأن

٥ أم ولده عاملة بنت مالك بن وديعة القضاعية .

وكما قيل لأَشْرَس بن السكون بن أَشْرَس بن كِنْدَة "تُجِيبُ" لأن أم ولده تُجِيبُ بنت ثَوْبَان المَذْحِجِيَّة، وغير ذلك مما يطول الكلام باستقصائه والله أعلم .

(١٠٠) وأما قولهم قيسيّ، فالمراد به من ولد قَيْس بن عَيْلَان بن مُضَر بن نِزَار بن معدّ بن عَدْنَان، ويكون عيلان هاهنا أخا إلياس بن مضر، وكان آسم إلياس عيلان[1] .

١٠ وقال الوزير آبن المغربي : هو الناسّ بتشديد السين فيكون مضر أعقب إلياس والناس . ومن العلماء من قال : إن عيلان كان حاضنا، حَضَن قيسا وليس بأب فيقول قيس عيلان بن مضر، مضاف إليه بغير ذكر البنوّة، كما قيل في فخذ من قضاعة سَعْد هُذَيْم، وهُذَيْمٌ حاضن، وغير ذلك في العرب كثير والأوّل أصح . وهذا قيس بن عيلان بن مضر هو الذي قيل لقيس به قيس والله أعلم .

١٥ وذهب قوم إلى أن ولد معدّ بن عدنان كلهم يقال لهم : قيس وهو خطأ . وإنما هم يجوّزون ذلك على وجه بعيد ليميزوا بالعزوة إلى ذلك بين يمن وغيرها : فيقولون : قيس ويمن، فيظن السامع أنهما أخوان، وأين قيس من قحطان جدّ يمن : لأن قحطان أبا اليمن هو أخو الجدّ العشرين لقيس : وهو فالَغ بن عابَر، وقحطان بن عابَر . وسيرد ذلك في سرد النسب بعون الله ومشيئته .

٢٠ (١) لعله أو كان آسم إلياس الخ ليستقيم الكلام .

وبيانه هاهنا أن قيس بن عيلان، بن مضر، بن نزار، بن معدّ، بن عدنان، ابن أُدّ، بن أُدَد، بن اسماعيل الذبيح، بن إبراهيم الخليل، بن تارَحَ : وهو آزر بن ناحُور، بن سَاروغ، بن أرْغُو، بن فالَغ، بن عَابَر. ففالغ أخو قحطان، وقحطان هو الجد الذى ترجع إليه يمن كلها؛ وهو أحد جِذْمَى النسب كما تقدّم.

فقد بان أن قول من يقول قيس : ويمن قبيلة ليس بشىء، وإنما قال ذلك لولد معدّ بن عدنان إشارة لإعلام السائل إذا سأل المعدىّ من أىّ نسب هو، فكأنه يقول له من البطن التى منها قيس . وهذا بعيد وشاذ .

ومما يؤكد بعده أنا إذا جوزنا ذلك لمن ينتسب إلى جمجمة فوق قيس كربيعة ابن نِزار بن معدّ بن عدنان، وإيَاد بن نزار وغير ذلك وان كان بعيدا فكيف يجوز أن يطلق ذلك على قريش . فنقول : هم قيس، وإنما قريش بنو فهر بن مالك بن النّضْر بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وإلياس هو عم قيس فيكون قريش دون قيس بهذه العدّة، فلا يجوز أن يقال : إن قريشا من قيس، وقيس إنما هو ابن عم الأب السادس من قريش : وهو مدركة؛ ولو كان عمًّا له، لكان ربما يجوز على وجه التعارف عند العرب بأن العم أب كما أخبر الله تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام فقال تعالى : ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾، والذى ذهب إلى أن العم أب قال : أنا أطلق على ولد معدّ بن عدنان قيسا لأن قيسا منهم، فأقول : قريش من قيس . وهذا بعيد من وجه أن قيسًا ليس

(١) هكذا بالأصل . وفى كتاب الجوانى المنقول منه هذا الفصل والموجود منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية، ناقصة الآخر («ابن أُدّ بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قَيذار بن إسماعيل الذبيح الخ») .

بهم لقريش، وإنما هو آبن عم، ولا ترجع العُزْوة فى الأنتساب إلى ذيل الأعقاب، إنما يعزى لأعلى النسب، لا لأسفل العقب؛ ولو صح ذلك، لعُزِى الإنسان لآبن آبن عمه وهذا لا يصح .

فقد وضح أن العزوة إلى قيس لاتصح إلا لمن يرجع إليه بالولادة منه: لأن ربيعة
٥ وإيادا آبنى نزار أعلى منه، فلا يصح أن يُعْزَوا إليه؛ وقريش وكنانة أسفل منه فلا يصح أن يعزوا إليه .

وبالجملة فإنه آبن عم لهما، أعنى قريشا وكنانة، وأخ لهما أعنى ربيعة وإياد؛ ولا يجوز أن يعزى الأب إلى آبنه إذ كانت النسبة فى ذلك لا ترجع إلى الآبن إنما ترجع إلى الأب . ولو آعتمد ذلك فى الأنساب لآختلطت العزوة إلى كل أب
١٠ بالأب الآخر فلم يتميز، ولم يقف عند حدّ دون الآخر. وهذا يؤول إلى الجهالة بالأبطن والأفخاذ والعشائر .

وأمّا شهرة العزوة إلى قيس، فلما فيها من الجماجم والرءوس والقبائل والأرحاء وهى عند النسابين أكبر من تميم ومن بكر آبنى مُرّ بن أد بن طابخة؛ إذ كان فى قيس بنو عَبْس، وذُبْيان. وغَطفَان، وأَعْصُر، وهَوازِن. وعُدْوان، وفَهْم : وهم جَدِيلة
١٥ قيس، وسُلَيم، وثَقِيف، وعامِر. وجُشَم. ونَصْر. وبَكْر. وسَعْد، وسَلُول. وربِيعة، وكِلاب، وقُشَير، وحَبِيب. وعُقَيل، وحَرِيش. وخَفَاجة. وطَهْفَة. وغير ذلك من الأفخاذ والعشائر التى تشرح فى مواضعها بمشيئة الله وعونه .

وأما نزار بن معدّ بن عدنان. ففيها من الأبطن والأفخاذ والعشائر : كبنى رَبِيعَة الفَرَس، وضُبَيْعة أَضْجَم، وأُكْلُب، وأَسْلم، ويقدم، وأجلان. وهميم. وعبد القَيْس.
٢٠ ودُهْن، والنَّمِر، وتَغْلِب، ووَائِل، وبَكْر، وصعب، وعلى. وحبيب. وعَنَزة، وعَنْز،

ورُفَيْدة، وإراشة، ويَشْكر، وعُكَابَة، وعِجْل، وجُحَيْم، وحَنِيفَة، وزِمّان، والدول[1]،
وشَيْبَان، وذُهْل، ومَازِن، وسَدُوس، وبَلِيّ، وعَوْف، وبَدْر، ومَعْن، ودُعْمِيّ،
وزُهْرَة، وحُذَافة .

فأما أَنْمَار بن نِزَار، فانقلب فى يمن كما انقلبت قضاعة فى غير ذلك من الأفخاذ والعشائر
مما نبين فى موضعه إن شاء الله تعالى والحمد لله . ٥

وأما يمن، فهم أولاد قحطان، بن عابر، بن شالخ، بن أَرْفَخْشَذ، بن سَام، بن نوح
عليه السلام.

وفيها عدّة جماجم وقبائل وأبطن وأفخاذ وعشائر : كَسَبَإ، وطَيِّئ، والأَشْعر،
وحِمْيَر، وقُضَاعة، وغَسَّان، وأَوْس، والخَزْرَج، والأَزْد، ولَخْم، وجُذَام، وعَامِلَة،
وخَوْلان، وغَافِق، ومَذْحِج، وحَرْب، وسَعْد العَشِيرة، ومَعَافر، وهَمْدان، وكِنْدة، ١٠
وكَلْب، ومَهْرَة، وصِنْهَاج[2]، وبَارِق، وبَجِيلَة، وثَعْلَبة، ودَرْما، وزُرَيْق، وعَنَز،
وعَتّاب، وبُحْتُر، وجَرْم، ومُرَاد، وعَبْس، وجُعْفِيّ، وسَلْمَان، وتُجِيب، وصدا،
والنَّخَع، والصَّدِف، وحَضْرَمَوت وغير ذلك .

وكل ما ذكرناه فهو أبطن وأفخاذ وعشائر مختلطة ، وما قصدنا فيها الترتيب، على
طبقات النسب والتعقيب، وإنما جئنا من كل عُزْوة ببعض مشاهيرها التى تنسب ١٥
إليها : ليتبين بعضها من بعض ويعلم غرضنا فى تحرير ما قدمناه والله أعلم .

(١) بضم الدال وإسكان الواو وهو غير الدؤل الذى ينسب اليه أبو الأسود الدؤلى .

(٢) الذى فى القاموس : وصنهاجة قوم بالمغرب من ولد صنهاجة الحميرى وفى تاج العروس : "قال ابن دريد
بضم الصاد ولا يجوز غيره . قال شيخنا والمعروف عندنا الفتح خاصة فى القبيلة بحيث لا يكادون
يعرفون غيره" . ٢٠

* * *

وأما عِزْوة العرب إلى يمن : وهم ولد قحطان، فلكونهم نزلوا اليمن؛ وكان منهم ملوك الحِيَرة وأصحاب سدّ مأرب فتيامنوا، فنسبوا إلى اليمن .

وقيل : إنما قيل لهم : يمن بأَيْمَن بن هَمَيْسَع بن حِمْيَر، وهو جدّ الملوك التبابعة؛ والأوّل أولى .

وأكثر العزوة لمن ينقلب عن نسبه إلى اليمن، لأجل أن الملوك كانت في اليمن : مثل آل النُّعمان بن المُنْذِر من لَخْم، وآل سَلِيح من قُضَاعة، وآل مُحَرِّق، وآل العَرَنْجَج وهو حمير الأكبر بن سبإ كالتبابعة والأذواء وغيرهم .

والعرب يطلبون العزّ ولو كان في شامخات الشواهق [وبطون الأمالق البوالق فينتسبون الى الأعز لحماية الحمية وإباءة الدنية وسكون النفوس في نفيس الكثرة والعصبية بطريق دقيق في النظر لا على الظن المشتهر](١) : كما جرى لقضاعة بن معدّ ابن عدنان [لما خلف على أمه الجرهمية بعدُ](١) مالك بن مرة بن عمرو بن زيد بن مالك ابن حمير أباه معد بن عدنان؛ فجاءت بقضاعة على فراش مالك بن مرة فنسبه العرب إلى زوج أمه [مالك بن مرة، عادة للعرب فيمن يولد على فراش زوج أمه](١) . وقيل إن اسم الجرهمية : قضاعة، فلما جاءت بولدها سمته باسمها . وقيل بل كان اسمه عمير فلما تقضع عن قومه أي بعد سمي قضاعة . والعادة عند العرب أن تنسب الرجل إلى زوج أمه؛ ألا ترى أنها قالت في عبد مناة بن كنانة : بنو علي وهو علي بن مسعود الأزدي وكان حضن بني أخيه لأمه وهم بكر وعامر ومرة أولاد عبد مناة بن كنانة . فغلب

---

(١) زيادات وجدت في نسخة الجزائري المخطوطة ولا توجد في الأصل « فوتوغرافي » .

آسمه عليهم لمـا تزوّج أمّهم هند آبنة بكر بن وائل وخلف عليها بعد أخيه ، فضم إليه بنى أخيه المذكورين مع أمّهم هـذه ، وهم صغار فربوا فى حجره فنسبهم العرب إلى على . وسيأتى من هذا الباب أمثال له فى مواضعها إن شاء الله تعالى .

*
* *

والطبقة الثانية الجماهير ، والتجمهر : الآجتماع والكثرة ؛ ومنه قولهم : جماهير العرب أى جماعتهم ، ومنه ترجمة مجموع لغـة العرب " الجمهرة " الكتاب الذى ألفه أبو بكر بن دريد وجمهرة "الأنساب" أى مجموعها والله أعلم .

*
* *

والطبقة الثالثة الشعوب ، واحدها شِعْب ؛ ويقال شَعْب ؛ ويقال فى القبيلة بالفتح وفى الجبل بالكسر : وهو الذى يجمع القبائل وتتشعب منه ، ويشـبه بالرأس من الجسد ؛ قال الله تعالى : ﴿ يٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ الآية .

*
* *

والطبقة الرابعة القبيلة ، وهى التى دون الشعب تجمع العمائر ، وإنما سميت قبيلة لتقابل بعضها ببعض وآستوائها فى العدد ؛ وهى بمنزلة الصدر من الجسد .

*
* *

والطبقة الخامسـة العمائر ، واحدها عِمارة : وهى التى دون القبائل . وتجمع البطون ؛ وهى بمنزلة اليدين .

*
* *

والطبقة السادسة البطون ، واحدها بطن : وهى التى تجمع الأفخاذ .

*
* *

والطبقة السابعة الأفخاذ، واحدها فَخِذ وفَخْذ، مثل كبد وكبد : وهى أصغر من البطن . والفخذ تجمع العشائر .

*
* *

٥ والطبقة الثامنة العشائر، واحدها عشيرة: وهم الذين يتعاقلون إلى أربعة آباء. وسميت بذلك لمعاشرة الرجل إياهم؛ قال الله تعالى : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم علياء قريش إلى أن اقتصر على بنى عبد مناف؛ وهم يجتمعون معه فى الجدّ الرابع. فمن هاهنا جرت السنة بالمعاقلة إلى أربعة آباء؛ وهم بمنزلة الساقين من الجسد اللتين يعتمد عليهما دون الأفخاذ .

١٠

*
* *

والطبقة التاسعة الفصائل، واحدها فصيلة: وهم أهل بيت الرجل وخاصته؛ قال الله تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ وهى بمنزلة القدم .

*
* *

١٥ والطبقة العاشرة الرهط، وهم رهط الرجل وأسرته : بمنزلة أصابع القدم . والرهط دون العشرة. والأسرة أكثر من ذلك. قال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ . قال السيد أبو طالب فى قصيدته المشهورة التى يمدح فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأحضرتُ عند البيتِ رهطى وأسرتى وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل

ورهطه بنو عبد المطلب وكانوا دون العشرة . وأسرته من بنى عبد مناف الذين عاضدوه فى نصرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تمثيل التفصيل — عدنان جذم، قبائل معد جمهور، نزار بن معد شعب، مضر قبيـلة، خندف عمارة : وهم ولد إلياس بن مضر، كنانة بطن، قريش فخذ، قصى عشيرة، عبد مناف فصيلة، بنو هاشم رهط . ٥

وحيث انتهى القول فى ذكر الطبقات فلنأخذ الآن فى بسط النسب وسرده فنقول وبالله التوفيق .

أصــــل النسب

(أبو البشر آدم عليه الســـلام)

وآدم هو الجدّ المحسون لسـيدنا رسول الله صلى الله عليه وسـلم وعمود النسب ١٠ الطاهر المحمدىّ من آدم عليه السلام فى ابنه شيث بن آدم عليهما السلام : وهو هبة الله، وأمّه حواء أمة الله .

ولما قتل قابيـل بن آدم أخاه هابيل، ولد شيث؛ وقال آدم عليه الســلام : هذا هبة من الله وخلف صالح . وهو الذى بنى الكعبة — شرفها الله تعالى — بالطين والحجارة على موضع الخيمة التى كان الله تعالى وضعها لآدم من الجنة . ١٥

وقال وهب : إن الله تعالى أنزل على شيث خمسـين صحيفة ، ورزق عدّة من البنين والبنات .

والعقب منه فى ابنه أنوش بن شيث وأمّه لبود ابنة آدم عليه الســلام . وهو الذى غرس النخلة وزرع الحبة، ونطق بالحكمة؛ وتدعى أمّه محوايلة البيضاء .

والعقب منه فى آبنه قينان بن أنوش ، وله ولد آسمه أروى (أخى لأنوش) ، أعقب وآنقرض عقبه .

والعقب من قينان فى آبنـه مهلائيل بن قينان ولم يرزق غيره .

والعقب منه فى ولده يارد بن مهلائيل . وكان ليارد اخوة .

٥ والعقب من يارد فى آبنـه أخنوخ بن يارد، وهو إدريس النبىّ عليه السلام، وأمّه تدعى بره. قيل سمى إدريس لدرسه الصحف الثلاثين التى أنزلها الله تعالى عليه؛ وهو أوّل من خطّ بالقلم، وكان له إخوة آنقرضوا .

والعقب منه فى آبنه متوشلخ بن أخنوخ، وأمّه بروخا .

وعقبه فى آبنه لمك بن متوشلخ، وآسمه لامخ .

١٠ والعقب منه فى آبنـه نوح النبىّ عليه السلام، وأمّه قينوش آبنـة بركائل بن محوايل، وهو عليه السلام آدم الثانى : لأنه لا عقب لآدم عليه السلام إلا من نوح وولده . وإخوة نوح عليه السلام جماعة : منهم صخ بن لمك ، وسقطان، ومان، وترسيس، وصدقا؛ وكان لهم أولاد آنقرضوا كلهم والعقب من نوح لا غير؛ ورزق لمك ولد نوح عليه السلام نوحا، وله من العمر مائة وثمانون وثمانون سنة؛ وتوفى وقد مضى من عمر نوح خمسمائة سنة .

١٥ وآختلف فى عمر نوح : فقيل عاش ألف سنة إلا خمسين عاما : ستمائة قبل الطوفان وثلثمائة وخمسين سنة بعده . وقيل بل لبث قبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاما، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى قصته فى التاريخ . وعمود النسب من نوح فى آبنه سام بن نوح عليه السـلام؛ وسام هو الجدّ الأربعون لسيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم، وأمّه عمردة . وإخوة سام حام، ويافث، وبوناطل، وسالوم وهو الذى غرق فى الطوفان .

وأما سام بن نوح، فإن الله تعالى جعل فى ذرّيته الكتاب والنبوّة والملك والجمال والبياض ، ونزلوا ما بين ساقيد إلى البحر ، وما بين البحر إلى الشام : وهو وسـط الأرض ، والحـرم وما حوله ، والحرم إلى حضرموت ، وإلى عمـان ، وإلى عالج والدهنـاء .

والعقب من يافث بن نوح طرسوس، وهمذان، والجبال ، والجزر ، وفرنجة ، والصقالبة الذين على تخوم القسطنطينية ، واشكار ، والترك، وقبرس ، ويأجوج، ومأجوج ، وكومر، والمصيصة، وأدنه، وروادنيم ، وماسج ، وخراسان ، وباوال ، ويونان ، وبرجام ، وكرد بن مرد بن يافث .

قال : وهذه رواية العلماء بالنسب، وسنذكر خبر كرد بعد هذا فى موضعه .

ومن ولد يونان بن يافث الروم واليونانيون ؛ كان منهـم الفلاسفة وأهل الحكمة كالإسكندر وغيره .

وولد بوناطل بن نوح : وهو الذى عقد الألوية للناس حين تفرقوا : الأرغار ، والبعاس ، والدكايك ، والدمشق ؛ وهم أمم لا يحصون خلف صين الصين .

والعقب من حام بن نوح، الهند والسند والنوب، والزنج ، والحبشة، والقبط، والبربر، ومصرايم أو آسمه مصر بن حام .

(١٠٤) وذكر صـاحب الشجرة : أن مصرايم أعقب من آبنه لوديم، وأن لوديم أعقب قبط مصر بالصعيد، والبيهيم، والتفوحيم، والبرنسيم ، والكشلوجيم ، والقابدقابين ، ومودشايا ، وكوشابا ، وهبورشابا

قال : وهؤلاء بأجمعهم ولد قوط بن حام ، وأندلش ، وكوشان . فولد قوط بن حام مصر، فولد مصر بن قوط قبط : وهم قبط مصر؛ وبهم سمّيت مصر مصرَ . قال : هذا قول شيوخنا . وذكر أهل التاريخ : أن مصر سُمّيت بمصر بن بيصر بن حام؛ كل ذلك قد قيل وهو الأكثر عن العلماء .

٥ وقال أبو المنذر النسابة فى روايته : إن السند والهند وما بينهما من البلاد قتلهم يوشع ابن نون إلا بقيّة منهم يسيرة لحقوا بأطراف بلاد السودان : وهم الذين ما بين مصر إلى بلاد السودان، ومنهم البربر والبجة .

وذكر صاحب الشجرة: أن كوش أبو الحبش، وأنه كوش بن حام، وأنه أعقب من نمرود أبى ملوك بابل، ومن أحويلا وهو الواحات، ومن سُفنا وهو أبو زغاوة،

١٠ ومن سبإ، ومن سفخا : وهو أبو الدمدم، ومن رعما وهو أبو البقاقو من السودان، والعقب من رعما هذا من سبإ أبى الهند ومن دادان أبى السند .

وذكر أبو المنذر النسابة أن كنعان بن حام أعقب من حماة، وحمص، و رواودوى وطرابلس، وصيدون، وهى صيداء، وحاث، ونفوسة، وهورة، ومزنة، ومور، وكركاسى، ومزانة من البربر .

١٥ قال الخوّانىّ : وهذ كلّه بيّن الخلاف بين النسابين . ومن النسابين من يلحق لواتة وهم ولد برّ بالبربر هذا بن كنعان بن حام . ومن اللواتيين من يقول فيهم : إنهم قيس . ويعبرون أنهم من ولد جابر بن بغيض . بن ريث، بن غطفان . وأن جابر جدّهم عمّ فزارة . ومن لواتة ومزاتة من يزعم أنهم قوم ناقلة صاروا فى بلد البربر . وأن البربر إنما هم هوّارة، وصنهاجة، وأن أباهم تزوّج امرأة منهم يقال لها : تصوين . فنسبوا

٢٠ إلى أمهم . وهوّارة تزعم أنهم قوم ناقلة من يمن جهلوا نسبهم .

وولد لَوَاتة بن بَرّ : وهو لَوَاتة أربعة أفخاذ : وهم زُنَّارة ومَصّانا ونَيْطا وتَطُوفا؛ ولكلّ فخذ من هـذه الأفخاذ عدّة عشائر، حصل الإضراب عن ذكرها رغبة فى الاختصار . فلنرجع إلى عمود النسب فنقول :

إن عمود النسب الشريف من سام بن نوح فى ابنه أَرْفَخْشَذ بن سام؛ وأمه من بنات الملوك .

وكان لسام من الأولاد غير أرْفَخْشَذ : إرم ولاوَذ وأَشْوَذ وغُلَيم وماش (والموصل ولد وأبو الأرمن وخُوزِستان أولاد سام)[1] . وفيهم خلاف عند النسابين .

والعقب من إرم بن سام من عَوص وجاثَر وماش وأهلُوا وإيران أولاد إرم .

فالعقب من أهلوا بن إرم بن سام : قادسان .

والعقب من أكراد[2] جدّ القبيلة المعروفة بالأكراد، فى قول أكثر النسّابين . ومن عشيرة القبيلة من يذكر أنهم من بنى عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العبسيّ كما نذكره فى بنى هوازن .

وفى الأكراد عدّة بطون : كالحَلالِيّة والمروانيّة وغيرهما .

وقد ذكر بعض النسابين أن كُرد بن مُرد بن يافث بن نوح . وفى ذلك خلاف .

والعقب من عَوص بن إرم بن سام : عاد، وبه سمّيت عاد إرم .

والعقب من ماش بن إرم بن سام من نَبِيط : وهو نَبَط سواد العراق .

---

(١) هكذا فى الأصل محرفه وجاء فى "العبر" أن بنى أشوذ هم أهل الموصل وبنى غليم أهل خوزستان، ولعله الصواب .

(٢) لعله والعقب من إيران فى كرد الخ، انظر "العبر" .

والعقب من جاثر بن إرم : ثمود وجديس . فالعقب من ثمود بن جاثر : فالج وهيلع وينوق وأرام ، من ولده صالح النبي عليه السلام ابن أسف بن كاشج بن أرام بن ثمود .

والعقب من لاوذ بن سام : عمليق وهو أبو العمالقة والفراعنة والجبابرة بمصر والشام ، وطسم بن لاوذ وأميم بن لاوذ . وفرعون موسى : هو الوليد بن مصعب ابن أشمير بن الهون بن عمليق بن لاوذ بن سام .

وولد الفرس أشوذ[1] بن سام : تيرش وهم الفرس ، وبهم سميت فارس ، ومنهم الأكاسرة .

وولد غليم بن سام : خوزان وهم الخوز الذين مساكنهم بلاد الأهواز مما يلي بحر الصين .

فلنرجع إلى سرد عمود النسب فنقول : إن عمود النسب منه فى شالخ[2] بن أرفخشذ وكان له من الأولاد غير شالخ مالك وقينان ابنا أرفخشذ . قال : وزعموا أن قينان أول من نظر فى علم النجوم بعد الطوفان واستنبط ذلك من تنور صفر كان فيه علمه قبل الطوفان ، ودفن فى الأرض فاستخرجه وعلم ما فيه .

والعقب من شالخ فى ابنه عابر بن شالخ ، وعابر : هو هود النبي عليه السلام ، وأمه مرجانة وهو جماع النسب . وله من الأولاد : فالغ ، وفيه عمود النسب ، وهو أبو قريش وقحطان ويقطن . فولد يقطن بن عابر : جرهم بن يقطن ، كانوا ولاة البيت الحرام فمكثوا ما شاء الله ، ثم استحلوا المحارم ، وكثرت فيهم المآثم ، فأخرجهم الله تعالى من جوار بيته ، ورماهم بالفناء فلم يبق منهم أحد . وفيهم يقول القائل :

وبادوا كما بادت بقية جرهم

---

(١) هكذا بالأصل وفى "الطبرى" : [illegible] بن [illegible] بن سام بن نوح . وفى ابن الأثير : [illegible] بنو فارس بن تيرش بن ماسور بن سام .

(٢) وردت هكذا فى كل المصادر [illegible] (شالخ) بالخاء المعجمة .

وقحطان بن عابر هو أبو اليمن كلها، وجِذْم نسبها .

وولد قحطان هم العرب المتعرّبة ؛ إذ العرب ثلاث فرق : عاربة ومتعرّبة ومستعربة .

فأما العاربة فهم تسع قبائل من ولد إرم بن سام بن نوح : وهم عاد ، ثم ثمود ، ثم أُمَيم ، ثم عَبِيل ، ثم طَسْم ، ثم جَدِيس ، ثم عِمْليق ، ثم جُرْهُم ، ثم وَبَارِ . فعاد وعبيل ٥ (١٠٥) آبنا عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وطسم وعمليق وأميم : بنو لاوذ بن سام ؛ وثمود وجديس آبنا جاثر بن إرم بن سام ؛ ووبار وجرهم آبنا فالغ بن عابر : فهذه العرب العاربة .

وأما المتعربة فهم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة وسكنوا ديارهم . ١٠

وأما المستعربة فهم بنو إسماعيل بن إبراهيم : وهم بنو عدنان بن أُدّ .

قال الشريف الجوّانى : وهذا مختصر من نسب اليمن . قال : إن العقب من قحطان آبن عابر من يَعْرُب بن قحطان : وهو الذى زعمت يمن أن العرب إنما سميت عربا به وأنه أوّل من تكلم بالعربية ونزل أرض اليمن فهو أبو اليمن كلّها .

وذكر بعض النسّابين أن حضرموت بن قحطان ، وإليه يُنسب كلّ حضرمىّ . ١٥ وقيل : حضرموت من ولد حمير ، وإنه حضرموت بن عمرو بن قيس بن معاوية آبن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قُطْن بن عَرِيب بن زُهَير بن أَيْمن آبن الهَمَيْسع بن حِمْير . قال : وعلى ذلك آعتماد شيوخنا فى النسب .

وقال آخرون : هو حضرموت بن يقطان بن عابر .

فولد يَعْرُب بن قحطان : يَشْجُب ، فولد يشجب بن يعرب : سبأ وآسمه عبد شمس ، وإنما سُمى بسبإ لأنه أول من سَبَى من العرب ، فولد سبأ بن يشجب : حِمْير وكَهْلان .

وقالت طائفة من النسّابين : ومِرّاء بن سبإ . فولد مرّاء بن سبإ : شعبان قبيلة وصَريحان قبيلة ، ولهم عدد ومدد .

وولَد حمير بن سبإ بن يشجب : مالكا وعامرا وعوفا وسعدا ووائلة وعمرا وهميسعا .

فأما عمرو بن حمير فهم آل ذى رُعَين ملوك اليمن : وهم بنو الحارث بن عمرو آبن حمير .

ومن النسّابين من ينسب ذا رُعَين الى أنه ولد زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قُطْن بن عَريب بن زهير بن أيمن بن الهَمَيْسع بن حِمْير : وهم عشيرة ذى أصبح وعشيرة سيف بن ذى يزن .

قال : وشيوخنا فى النسب ينسبون التبابعة الملوك إلى أيمن بن هميسع بن حمير ولا خلاف عندهم فيه وأنهم يرجعون إلى أيمن .

وأما عامر بن حمير، فمنه قبائل يَحْصُب كلّها، وهو يحصب بن دُهمان بن عامر بن حمير . قال : ومن شيوخ النسب من قال : يحصب بن ذى يزن بن ذى أصبح بن زيد بن الغَوْث بن سعد بن عوف بن مالك بن زيد بن سَدَد بن زُرعة ، وهو حمير الأصغر .

وأما هَمَيْسَع بن حمير فمن ولده : صَنْهَاجة : القبيلة المشهورة المعقبة بالمغرب وفى ذلك خلاف ، وهى من بنى زُهَير بن أيْمن بن هَمَيْسَع بن حِمْير . وصَنْهَاجة آسم جدّ للقبيلة كلها : وهو صَنْهَاجة بن المثنّى بن المِسْور بن يَحْصب بن ذى يَزَن بن ذى أَصْبَح بن

زيد بن الغَوْث بن سعد بن عَوْف بن عَدِىّ بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، وهم حِمْير الاصغر بن سَبَإ الأصغر بن كَعْب بن كَهْف الظلم، بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قُطْن بن عَرِيب بن زُهَير بن أيمن بن هَمَيْسَع المذكور .

قال: وإلى ذى أَصْبَح هذا يرجع الإمام مالك بن أنس الأَصْبَحىّ . وقيل: ذو يزن ٥
آبن أسلم بن زيد، وذو أصبح بن مالك بن زيد .

قال : ومن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس هذا الذى فى عمود النسب ثلاث بطون غير سهل بن عمرو : وهم شَعْبان بن عمرو وحَيْران بن عمرو وحضرموت بن عمرو ؛ وحضرموت هذا هى القبيلة التى يُنْسَب إليها كلّ حضرمىّ وقد تقدّم ذكره . ١٠

وأما سعد بن حمير، فمنه السَّلَف البطن المشهورة، وأَسْلم بطن : وهما آبنا ربيعة آبن سعد بن حمير .

وأما وائلة بن حمير، فمنهم السَّكاسِك : وهم بنو زيد بن وائلة بن حمير، وهى غير سكاسك كندة .

وأما مالك بن حِمْير فمن ولده قُضاعة : وهم قضاعة بن مالك بن مُرَّة بن عمرو بن ١٥
زيد بن مالك بن حمير البطن المشهورة على ما نذكره . وقيل : إنها من ولد مَعَدّ بن عَدْنان وفى ذلك يقول القائل :

أبوكم مَعَدّ كان يُكنَى ببكره * قُضاعةَ ما كنّى به من تجمجما

ومن قضاعة ثلاث بطون : وهم عِمران بن الحاف بن قضاعة وعمرو بن الحاف وأَسلم بن الحاف بن قضاعة . ٢٠

فأما البطن الأولى من قضاعة : وهم ولد عمران ، فأعقب حُلْوان بن عِمران بن الحافِ بن قضاعة من خمس قبائل : وهم تَغْلِب الغَلْباء، ويقال : تغلَبيّ قُضَاعيّ أو يمنيّ، يراد به هذا الأب؛ وتغلَبيّ مَعَدّيّ أو نِزاريّ، فيراد به تَغلِب بن وائل بن قاسِط الذي في أَسَد بن رَبيعة بن نِزار؛ وعَمْم بن حلوان، وزَبّان بن حلوان، وعمرو بن حلوان وهو سَابِح وتَزِيد بن حُلوان (بالتاء باثنتين من فوق وفتحها) .

والعقب من تَغلِب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة : وَبَرَة بن تَغلِب .

والعقب من وَبَرة بن تَغلِب من خمس أفخاذ : كَلْب بن وَبَرَة، وإليه يُنسب كلّ كَلْبيّ، وفيهم عدة أفخاذ وعشائر : كبني عَوف وبني ضَمْضَم وبني غُنَيم وبني زهير وبني كِنَانة، والجميع عشائر يرجعون إلى عُذْرة بن زيد الله بن رُفَيدة بن ثور بن كلب . وعُرَيْنة بن ثور بن كلب بن وبرة، وإليه يرجع كل عُرَنيّ . وأَسَد بن وَبَرة، والنَّمِر ابن وَبَرة، والنَّمِر بن وَبَرة، والتغلب بن وبرة . وفهد، وضبع ، ودبّ، وسِيد، وسرحان ، وذئب أولاد وَبَرة بن تَغلِب الغَلْباء .

فمن أسد بن وَبَرة : بنو القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد ، وتَنُوخ : وهو مالك بن زهير بن عمرو بن فَهْم بن تَيْم الله بن أَسَد ، وإلى تَنُوخ هذا يُنسب كلّ تَنُوخيّ ، وإليه يرجع أبو العلاء المعرّى الشاعر .

وأعقب نَمِر بن وَبَرة بن تَغلِب في ثلاث أفخاذ : خُشَيْن ، وإليه يرجع كلّ خُشَنيّ وهو نُمَير ، منهم أبو ثَعْلَبة الخُشَنيّ الصحابيّ رضى الله عنه ، ومَشْجَعة بن تَيْم بن النَّمِر بن وَبَرة ، وإليه يرجع كلّ مَشْجَعيّ ، وغَاضِرة بن النَّمِر وعاتية بن نمر ، إلا أنهم دخيلان في سُلَيم . قالوا : عاتية وغاضرة ابنا سليم بن منصور .

وأما زَبّانَ بن حُلْوان فأعقب من جَرْم بن زَبّانَ، واليه يرجع كلّ جَرْمىّ . وفى جَرْم عدة بطون : منها مَلَكان بن جَرْم بفتح الميم واللام ؛ بطن .

وأما عمرو بن الحاف بن قضاعة فأعقب من ثلاث أفخاذ : بَلِيّ بن عمرو، وبَهْرَاء آبن عمرو، وحَيْدان، وقيل : حُدّان بن عمرو؛ والى بَلِيّ هذا يُنسب كلّ بَلَوِىّ ككعب آبن عُجْرة البَلَوىّ، وبنو العَجلان، وبنو أُنَيف، وبنو عصية (١) : وهم كلّهم حلفاء الأنصار : بنى عمرو بن عوف من الأوس وهى قبائل من بَلِيّ فى الأنصار، منهم : المُجَذَّر آبن ذِياد وطلحة بن البرّاق، وأبو بُرْدة بن نيار الصحابىّ بَلَوِىّ حليف الأنصار وآسمه هانئ .

وأما بَهْرَاء بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة، فإليه يُنسب كلّ بَهْرَانِىّ كالمِقْداد بن الأَسْوَد الكندىّ ولم يكن كندياً ولكن كان بَهْرَانياً قُضاعياً : لأنه المِقْداد بن عمرو بن ثَعلبة بن مالك بن رَبيعة بن ثُمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن لؤَىّ ابن ثعلبة آبن مالك بن الشَّريد بن أبى أهون بن قيس بن دُرَيم بن القين بن أَهْود بهراء . وإنما قيل المِقْداد بن الأَسْود لأن الأَسْود بن عبد يَغُوث بن وهْب بن عَبْد مَنَاف آبن زهرة تبنّاه لحلف كان بينهم فنُسب اليه ، وكان أبوه عمرو حليفا فى كندة . وفى بَهْراء بطون .

وأما حَيْدان، ويقال : حُدّان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، فمن بطونه خمس : عَريب بن حيدان، وعُرَيْد بن حيدان، وتزيد بن حيدان، واليه تُنسب الثياب التَّزِيدية، ومَهْرة بن حَيْدان . وإلى مَهْرة هذا يُنسب كلّ مَهْرِىّ ، وفى مَهْرة أفخاذ، وحَيَادة بن حَيْدان .

---

(١) هكذا فى الأصل، وفى الجوّانى : "غُصَيْنَة" .

وأما أَسْلَمُ بن الحاف بن قضاعة، فأعقب من فخذين: حَوْتكة وسُود، فأما سُود ابن أسلم بن الحاف، فأعقب من زيد وليث ابنى سود، وأعقب زيد بن سود من أربع بطون: جُهَيْنة، واليه يرجع كل جُهَنِيّ، ونَهْد: رهط أبي عثمان النَّهدىّ، واليه يرجع كل نَهْـدىّ، وسَعْد هُذَيْم، وعُذْرة، واليه يرجع كل عُذْرىّ أولاد زيد بن سود بن أَسلَمُ بن الحاف بن قضاعة .

وقال ابن الكلبيّ: عُذْرة بن زيد اللّات بن رُفَيْدة بن كلب بن وَبَرَة .

فأما جُهَيْنة بن زيد، فرهط عُقْبة بن عامر الجُهَنِيّ الصحابىّ . وفى جُهَيْنَة الحُرُقَة وهم بنو أَحْمَس بن عامر بن مُودَعَة بن جُهَيْنة .

وفى نَهْد بن سُود المقدّم ذكره: بنو حُرْقَة بن خُزَيْمة بن نَهْد .

وفى عُذْرة بن زيد بن سُود بن أسلم: بنو ضِنَّة بطون بن عَبْد بن كبير بن عُذْرَة بن زَيْد ابن سُود بن أَسْلَمُ بن الحَاف بن قُضَاعَة .

ومن ولد لَيْث بن سُود بن أَسْلم: بنو عِلّة بكسر العين مشدّدة اللام بن غَنْم بن سَـعْد ابن زَيْد بن لَيْث بن سُود . وفى سَـعْد هُذَيْم بن زيد بن سُود: بنو عِلّة بن غَنْم ابن ضِنَّة بن سَعْد هُذَيْم بن زَيْد بن سُود بن أَسْلَمُ .

قال: فهذا نهاية الاختصار فى نسب حِمْير . وهذا ولد كَهْلان أخيه .

قال: وولد كَهْـلَانُ بن سَبَإِ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان بن عابر عليه السلام: زيداً . فولد زَيْد بن كَهْلَان بن سَبَإ بن يَشْجُب بن قَحْطَان: مَالِكًا وعَرِيبًا وهما فخذان .

فالعقب من عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان من يَشْجُب .

والعقب من يَشْجُب بن عرِيب بن زيد بن كَهْلَان من زيد بن يَشْجُب .
والعقب من زيد هذا : أُدَد بن زيد بن يَشْجب .

والعقب من أُدَد فى طَيِّئ بن أُدَد ، وآسمه جُلْهُمة ؛ وهو البطن العليا ، واليه ينسب كل طائىّ ، والأَشْعرَ بن أُدَد ، واليـه يرجع كل أَشْعَرى ، وآسم الأَشـعَر نَبْت ، وإنما قيل له الأَشْعَر: لأنه وُلد أَشْعَر الجسد ، ومَالِك بن أُدَد وهو مَذْحِج ، واليه يرجع كلّ مَذْحِجىّ . وقيل : إن مَذْحِج أمُّ مالك بن أُدد فنُسب اليها ولدها . وقيل : بل هى أكمة حمراء وُلد عليها مالِك ، فعُرِف بها ولدُه . وقيل : بل آجتمعوا على الأكمة باليمن ، والأكمة تسمى مَذْحِج ، فقالوا : تعالوا نجعل مذحِجا أمًّا .

وذكر آبن عبـد البرّ فى روايته : أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أكثر القبائل فى الجنة مَذْحِج" : ومَذْحِج إحدى الجماجم التسع من جماجم العرب ، سُمُّوا جماجم لأن ميلادها آسـتوى بميلاد قبائل بإزائها من أفناء العرب ، ثم تفرّعت منها قبائل آجترأت بأسمائها والآنتساب إليها فبعدت عنها وآكتفت بانتسابها إليها . ومُرّة بن أُدَد : أربع أبطن لأدد .

والعقب من طيِّئ بن أُدَد بن زَيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان من فخذين : فُطْرَة والغَوْث آبنى طيِّئ .

(١٠٧) والعقب من فُطْرة بن طَيِّئ بن أُدَد من سَـعْد بن فُطْرة . ومنـه فى خَارِجَةَ بن سَعْد ومنه فى جُنْدَب ، ومنه فى رُومَان بن جُنْدَب .

والعقب من رُومَان بن جُنْـدَب بن خَارجَةَ بن سَعْد بن فُطْرَة من بطنين : ذُهْل وثَعْلَبة ، وهما الثَّعْلَبَتَان وجماعة صغار .

والعقب من الغَوْث بن طَيِّئ من عَمْرو بن الغَوْث .

والعقب من عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ من ثُعَل : بطن ، ونَبْهانَ : بطن ، وهِنَاء ابن عَمْرو : بطن ، وثَعْلَبَةَ بن عَمْرو : بطن ، ومَزْرُوعَةَ بن عَمْرو : بطن ، وحَسَّانَ بن عَمْرو : بطن ، وزَيْد بن عَمْرو : بطن ، وخُشَين بن عَمْرو : بطن ، وإلى نَبْهانَ هذ ٥ ينسَبُ كل نبهانيّ .

والعقب من نَبْهانَ بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ من ابنيه : سَعْد ونَابِل . ومن بنى سَعْد بن نبهان : بنو اليُسْر بن ثَعْلَبَةَ بن نَصر بن سَعْد بن نَبْهان : نَخِذٌ . وإلى هِنَاء ابن عمرو هذا يُنسب كلّ هنائيّ .

والعقب من ثُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث(١) . فأما سَلَامَانُ فالعقب منه من عُنَيْز وثَعلبة ١٠ وسل(٢) أولاد سلامان لصلبه . وعُنَيْزهذا جدّ القبيلة المشهورة . وثعلبةُ هذ جدّ ثَعلبة طائفةِ من العربان المجاورين للدّارُوم من الشام [وهم] بطنان : دِرْما وزُرَيق . فالعقب من عُنَيْز بن سَلَامَانَ بن ثُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ من نخذين : قُرَيْر بن عُنَيْز . له عدد ، وعَتُود بن عُنَيْز .

والعقب من عَتُود . مِن مَعْن وبُحْتُر ابنيه . وإليهما يرجع كلّ مَعْنيّ وبُحْتُرىّ . ١٥ والشاعر البُحْتُرىّ منهم .

والعقب من مَعْن بن عَتُود من ثلاث : ثُوَب ، ووُدّ ، ومَانِث : بنى مَعْن بن عتود .

(١) سقط من [illegible] الخبر وهو "من سلامان [illegible]" [illegible] في [illegible] .

(٢) كذا بالأصل . ولعله محرفة عن "[illegible]" [illegible] في معرفة [illegible] في الكلام على بنى ثابر .

والعقب من ثُوَب بن مَعْن : غَنْم له عدد، وأبو حَارِثَة فأعقب من غَنْم بن ثُوَب بن مَعْن بن سِلْسِلَةَ الفخذَ التى يرجع إليها كلّ بنى سِلْسِلَة المَعْنِيّون .

وأما بُحْتُر بن عُتُود بن عُنَيْز بن سَلَامَانَ فالعقب منه فى تَدُول بن بُحْتُر .

والعقب من تَدُول من ستة أفخاذ : وهم جُدَىّ، وسَنَام، وأَيْمَن، وخَيْثَم، وأَعْور، وسَالِم أولاد تدول .

وأما ثَعْلَبَةُ بن سَلَامَانَ بن ثُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ فأعقب من عوف ابن ثَعْلَبة ، وأعقب عَوْفٌ من فخذين : دِرْمَا وزُرَيْق ؛ ودِرْما هو عَمْرو بن عَوْف ودِرْما أمّه . فأعقب دِرْما بن عَوْف بن ثَعْلَبة بن سَلَامَانَ من خمس أفخاذ : سَلَامَة والأَحمر وعَمْرو وقَصِير والأَوْس : أولاد دِرْما . وأعقب زُرَيْق بن عَوْف بن ثَعْلَبة من فخذين : لُبْنَى والأشعث ولدى زُرَيْق .

وأما جَرْوَلُ بن ثُعَلَ بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ ، فأعقب من ٱبنيه : مُعَاوِيَة ورَبِيعَة؛ فأعقب مُعَاوِيَةُ بن جَرْوَل من سِنْبِس(١): القبيلة المشهورة، وعَدِىّ ولَوْذَان: أولاد مُعَاوِيَة .

والعقب من سِنْبِس بن مُعَاوية بن جَرْوَل من ثلاث أفخاذ : عَمْرو ، ولَبِيد ، وعَدِىّ . فأما لَبِيد بن سِنْبِس، فأعقب من حِرْمِز . فأعقب حِرْمِز من يَحْصب وجَرْم؛ وعُقْدَةُ أولاد لَبِيد نخذان . وإلى لبيد هذا تُنسب العرب السَّنَابِسَةُ الذين بالبحيرة من أعمال مصر؛ وهم من نخذ يقال لها : قُنَّةُ بن خَلَّاد .

وأما عَدِىّ بن سِنْبِس بن مُعَاوِيَة، فأعقب من أَبَان بن عدِىّ، وهو نخذ .

(١) ضبط فى الأصل بضم السين والباء وكذا فى صبح الأعشى : وضبطه السويدىّ فى سبائك الذهب بفتح السين . وذكر فى القاموس أنه بالكسر وكذا هو فى الصحاح واللسان وكتاب المعارف لابن قتيبة .

والعقب من رَبيعة بن جَرْوَل بن أبي أَخْزم: هَزومة، وأعقب هَزومة من أَخْزم، وأعقب أَخْزَم من عَبشَمْس مكسور الباء متصلا .

وأما مَذْحِج : وهو مالك بن أُدَدَ بن زَيْد فأعقب من أفخاذ أربعة : سَعْد العَشيرة، ومُرَاد : هو يُحَابِر، وعَنْس، ولُمَيس. وجَلْد أولاد مالك وهو مَذْحِج . وإلى مُرَاد هذا يُنسب كلّ مُرَادىّ، وسُمّى مُرَادا لتمرّده، وإلى عَنْس يُنْسب كلّ عنسىّ، منهم عَمّار بن يَاسِر الصحابىّ والأسود العنسىّ الكذّاب .

والعقب من سَعْد العشيرة بن مالك من ثلاث عشرة فخذا : وهم زَيْد اللات، وعَابِد اللات، وعَبْد اللات، وجا[1]، وجُعْفِىّ، وجَرْد، وحَكَم، وأَوْس اللات، ونَمِرة، وأَنَس اللات، وسَعْد اللات، وعَمْرو، وصَعْب : أولاد سعد العشيرة لصلبه. فإلى جعفىّ هذا يُنسب الجعفيّون، وإلى نمرة يُنسب النمريّون، وفى نمرة فخذان : جَدَا، على وزن ندا، وسِلْهِم ابنا نمرة .

وأما جُعْفِىّ فالعقب منه فى فخذين : مَرّان، وحَرِيم ابنى جعفىّ بن سعد العشيرة. يرجع بنو سِلْهِم بن حكم فخذ بكسر السين واحد[2] .

وأما صَعْب بن سعد العشيرة، فالعقب منه فى زُبَيد، واسمه مُنَبّه. وإليه يرجع كل زبيدىّ، وفيهم عدّة أفخاذ منهم بنو حرب وغيرهم . وقيل للفخذ زُبَيْد وهم بنو منبّه الأكبر لأن مُنَبّها الأصغر بن صَعْب بن سعد العشيرة بن مالك بن أُدَد قال : من يَزْبُدُنى رِفْدَه؟ فأجابه إلى ذلك أعمامه كلّهم بنو مُنَبّه الأكبر، فقيل لهم جميعا زُبَيْد . ومن بنى زُبَيد مَازِن بن منبّه .

(١) كذا بالأصل وصوابه " حرحة " .

(٢) كذا بالأصل والكلام مبتور .

والعقب من مُرَاد بن مَذْحِج من فخذين : نَاجِية وزاهر ابنى مُرَاد بن مَذْحِج .

والعقب من ناجية : جَمَلُ بن كِنَانة بن نَاجِية بن مُراد: رهط هند بن عمرو الجَمَلِىّ الذى قتله ابن يَثْرِبِى فى يوم الجمل؛ وجمل هذه رهط سِيفَوَيْه القاص . قال : وينزلون بنهر الملك؛ وعُطَيف بن ناجية بن مراد رهط فَرْوَة بن مُسَيْك العطيفى الصحابىّ، وسَلْمَان بن يشكُر بن ناجية بن مراد رهط عُبَيْدة السَّلْمانىّ؛ وهو جاهلى ٥ إسلامىّ من كبار التابعين .

ومن نَاجِية : قَرَنُ بن رَدْمانَ بن نَاجِية بن مُراد: رهط أُوَيْس القَرَنىّ نفعنا الله والمسلمين ببركته .

وفى مراد، تَجُوب : وهو رجل من حِمْير، كان أصاب دمًا فى قومه فلجأ إلى مُراد فقال : جئت اليكم أجوبُ البلاد لأحالفكم ؛ فقيل له : أنت تَجُوب، فسُمِّىَ به؛ ١٠ وهو فى مُرَاد رهط عَبد الرحمن بن مُلجَم المُرادىّ التَّجُوبىّ لعنه الله، قاتل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

وأمّا جَلْد بن مَذْحِج، فأعقب منه عِلَّة بن جَلْد؛ والعقب من علة من ثلاث أفخاذ : عَمْرو وعَامِر وحَرْب . فمن بنى حرب بن علة : رَهَاء : وهو رهاء بن منبه بن حرب ابن علة : منهم مالك بن مُرَارة الرَّهاوىّ الصحابىّ، ويَزِيد بن شَجَرَة الرَّهاوىّ، ١٥ وصُدَاء : وهو يزيد بن حرب بن علة، منهم زِيَاد بن الحارِث الصُّدَائىّ الصحابىّ .

وأمّا عَمْرو بن علة بن جَلْد بن مَذْحِج، فالعقب منه ثلاث أفخاذ : النَّخَع القبيلة المشهورة، وكَعْب، وعَامِر .

فأمّا النَّخَع بن عَمْرو، فأعقب منه فخذان : مَالِك وعَوْف ابنا النَّخَع .

وأمّا كَعْب بن عَمْرو، فأعقب منه نخذان : الحَارث ، وهم بَلحَارِث بن كَعْب ورُعَيل بن كَعْب .

وأمّا عَامِر بن عَمْرو بن علة، فالعقب منه في نخذ واحدة : وهي مُسْلِيَة بن عَامِر.

وأمّا مرّة بن أُدَد بن زَيْد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَإ ؛ فأعقب من نخذين : مرهم والحارث آبني مرّة بن أدد؛ فالعقب من الحارث من نخذين : عَدِىّ ومَالك ولديه . فالعقب من مَالِك بن الحَارث بن مُرّة خَوْلَان بن عمرو بن مالك وإليه يُنسب كلّ خَوْلَانىّ، ومَعَافِر بن يَعْفُر بن مالك بن الحارث آبن مُرّة بن أدد بن زيد بن يَشْجُب ؛ وإليه ترجع المعافر في أنسابها ، ولهم خطة بمصر، ومنهم نخذ بني قَرَافَة وهي أمّهم : وهم الذين عُرِفَتْ بهم القَرافَةُ بمصر. ومسجدهم المسجد المعروف بمسجد الرحمة بالقَرافة ؛ وهم بنو عِضّ بن سيف بن وائل بن الجرىّ بن المَعافر بن يعفر .

وأما عَدِىّ بن الحارث بن مُرّة فأعقب من أربع أبطن لصلبه : وهم عُفَيْر ونخم : قبيلة ، وآسمه مالك بن عدىّ . وجُذَام بن عدىّ : قبيلة ، وآسمه عامر . والحارث بن عدىّ وهو عَامِلة : قبيلة . وإنما سُمّيا لخما وجذاما : لأنّ أحدهما لخم وجه أخيه فسمّى لخما ، واللخمة : اللطمة . وجَذَم الآخر إصبعَ أخيه فقطعها فسُمّى جذاما : وهما القبيلتان المشهورتان ؛ والحارث بن عدىّ وهو عاملة وإليه يرجع كلّ عاملىّ . وعاملة وهي بنت مالك بن وَدِيعَة بن قُضَاعة ، وهي أمّ ولد الحارث المذكور .

فأما عُفَيْر بن عدىّ بن الحارث فأعقب من ثَوْر بن عُفَير، وثَوْر هو كِنْدة ومنه أعقب كِندة من نخذين : مُعَاوِيَة وشَرس بني ثور . والعقب من معاوية هذا من آبنيه مُرَتِّع وزيد ؛ فمن ولد مُرَتِّع : بنو آمرئ القيس وبنو الرائش وبنو معاوية

الأكرمين وبنو وهب . وبنو بدًّا مشدّد، خمسة : بنو الحَارِث بن مُعَاوية بن ثَوْر بن مُرَتِّع . وإلى مُعَاوية بن الحَارِث يرجع آمرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عَمْرو آبن حجر آكل المُــرَار بن معاوية المذكور الكندىّ الشاعر . والنسب إلى آمرئ القيس بن الحارث بن معاوية المقدّم ذكره : مَرقسىّ، مسموع عن العرب، وكلّ آمرئ القيس غيره فى العرب فالنسب مَرْئِىّ بوزن مَرعىّ . ٥

والعقب من أَشْرس بن ثَوْر وهو: كِندة بن عُفَير بن عدىّ: السَّكُون بن أشرس، والسَّكاسك : وهو حُمَيس السَّكْسَك بن أشرس ، وإليهــما يُنسب السَّكُونيون والسَّكْسَكِيّون؛ ومن السكونيّين معاوية بن حُدَيج السكونىّ الصحابىّ، وحاشــد بن أشرس، ومالك بن أشرس .

والعقب من السكون بن أشرس من فخذين : شَبِيب وعُقْبة آبنى السَّكون . ١٠ أعقب شبيب بن السكون من أشرس وشُكَامة، فأعقب أشرس بن شبيب بن السَّكون آبن أشرس من عدىّ وسـعد : وهم تُجِيبُ البطن المشهورة ؛ ولهم خطة بمصر ، وعرفوا بتُجيب : وهى أمّهم بنت ثَوْبان بن سُلَيم بن رَهاء بن منبّه بن حرب بن علة آبن جَلْد بن مَذحِج .

والعقب من مالك بن أشرس بن شبيب المذكور: الصَّدِف، وآسمه عمرو بن مالك، ١٥ وإليه يُنسب كلُّ صدَفىّ بالفتح كما قالوا: شقَرىّ ونمَرىّ وسلَمىّ : فى شقرة تميم ونمر آبن قاسط وسَلِمة من الأنصار . ومن النسَّابين من قال: الصدف هو سِماك بن عمرو آبن دُعْمىّ بن حضرموت .

وأما لخم بن عدىّ، فأعقب من فخذين وهما لصلبه : نُمــارة وجَدِيلة، ويقال: جُديلة؛ وذكر الوزير أبو القاسم بن المغربىّ أنه قيل فيها : جُدَبْلة بالباء بواحدة . ٢٠

والعقب من نُمَارة بن لخم بن عدىّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن مالك بن نُمَـارة لخذ، وحبيب بن نمـارة، وهو عَمَمٌ [وعدىّ بن نُمَـارة][1] سُمّى بذلك لأنه أوّل من اعتمّ، وهو الذى عمّم ملوك العراق؛ ولهم إخوة صغار: كالوجفا بن نُمَـارة وقَبِيصة وعمـرو وعوف ومجن أولاد نُمَـارة أعقبوا؛ ومن يُنسب اليهـم يُعزَى لجـذم لخم وأمّهم نُمَـارة .

ومن بنى مالك بن نمارة الفخذ الأولى: بنو راشدة بن مالك بطن مشهورة .

ومن بنى عدىّ بن نُمارة، وهم عَمَم بن لخم: بنو نَصْر بن ربيعة من ربيعة بن نصر.

ومن ولد نصر بن ربيعة: النعمان بن المنذر بن ماء السماء: وهى أمّه، بضدّ ما فى غسّان، لأن غسّانَ عامرا ماءَ السماء أبٌ فهو ثَمّ "أبٌ" وهاهنا "أمٌّ"، وماء السماء هاهنا هو امرؤ القيس بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدىّ بن نصر بن ربيعـة . قال: وفى ذلك خلاف .

ومن بنى حبيب بن نُمَـارة: بنو الدار بن هانئ بن حبيب بن نُمارة، ينتسبُ كلُّ دارىّ إلى هـذه البطن، وهم رهط تميم الدارىّ الصحابىّ المعروف بالمختطف. وقد انقرض تميم الدارىّ ولا عقبَ له .

وأما جَزِيلة[2] بن لخم ويقال: جُزَيلة، فأعقب من أَرَش وحجر وحَبَيل ويشكر وعمرو. أولاد جزيلة بن لخم . فمن بنى أراش بن جزيلة أَرْش بن أُرَاش لا غير، ويقال: أُرَيْش مصغّرا .

(١) الزيادة عن "نسبك" وتؤخذ أيضا من كلامه الآتى قريبا .

(٢) كذا فى الأصل وفى "نسبك" أيضا بالراى وأورده القاموس فى مادة (ج ز ل) وهو [illegible] سلف له قريبا من قوله (جديلة) فتنبه .

والعقب من أَرْش بن أَراش من نخذين : غَنْم وحَدَس ـــ بالحاء المهملة والدال المهملة المحرّكتين ـــ والحمراء القبيلة؛ لها خطة بمصر، والأشعث نخذ، وهذه الحمراء فى غيرها من الحمراء من قُضاعة ، وفَهْم ، وعَدوان ، والأَزْد ، وهُذَيل بن مدركة وبنى الأزرق وهم من الروم؛ ومنهم سُمِّيت الحمراوات .

فأعقب غَنْم بن أُرَيش بن أَرَاش بن جَزِيلة بن لخم من صعب وفَهْم وزِرّ وعمرو: أولاد غنم . ٥

ومن شيوخ النسب من قال : إن النعمان بن المنذر بن ماء السماء بن آمرئ القيس آبن المنـذر بن النعمان بن آمرئ القيس بن عُيَيْنة بن أبى الحرام بن العَمَرَّط بن غَنْم آبن عَوْدة بن عُبيد بن زِرّ المذكور .

والعقب من حَدَس بن أُرَيش بن أراش بن جَزِيلة بن لخم من ربيعة ورَمِية . ١٠

والعقب من ربيعة بن حَدَس أربع عشائر : مَنارة، وسعد، وكعب، والهُذَيم : بنو ربيعة .

والعقب من هُذَيم هذا من حُدَاد وعامر والحارث : بنى الهُذيم .

والعقب من رمية بن حَدَس بن أُريش بن أراش بن جَزِيلة من عمرو وجدّه .

والعقب من عمرو بن رمية هـذا : الحارث وصعب وعَلَامة وعدىّ والمنـذر وثعلبة . ١٥

فأما الحارث بن عمرو فأعقب من أُبَىّ بن الحارث، فأعقب أُبَىّ من كليب وعدىّ .

والعقب من كُلَيب بن أُبَىّ [بن] الحارث من أربع أنخاذ : فيض والحـارث وغَنْم وعُمَيْت : أولاد كليب .

والعقب من فيض بن كليب من أربع أفخاذ : أبي الشتاء، ورَقّاش، وقران، وصابى : أولاد فيض بن كُلَيب .

والعقب من الحارث بن كليب بن أبيّ من سعد وجدّه . وولد كعب بن غَنْم ثلاث أفخاذ : بنى قرقر بن كعب وبنى برّ بن كعب وبنى مُرقِّش بن كعب .

٥ ومن بنى برّ بن كعب : بنو واسع بن كعب : وهم بنو رومى وزُهَير وزير وحسان وبرّ : أولاد واسع، كلٌّ منهم فخذ .

والعقب من عُمَيت بن كليب بن أبيّ من دَعْجان وجدّه، ومن أفخاذه : مُغالة بن دعجان : الفخذ المعروفة فى آخرين .

وأما حجر بن جزيلة بن لخم، فأعقب من ثلاث أفخاذ : أُزْدة وزُغَر وأَدَبّ .

١٠ فأعقب أزدة من فخذين : منبع وعوف ٱبنى أزدة بن حجر . وأعقب زغر بن حجر من مالك بن دَعِن، وهو الذى ٱستخرج يوسف الصدّيق عليه السلام من الجبّ، وله عقب . فهذا مختصر فى نسب لخم .

وأما جذام وٱسمه عامر، فالعقب منه فى بطنين : حَرم وحِشْم ٱبنى جذام .

والعقب من حَرام بن جذام من فخذين : إياس ومالك ٱبنى حرم بن جذام .

١٥ والعقب من إياس بن حرام من رَبِيل بن إياس ، ومن سعد بن إياس . فأعقب سعد هذا من أَفْصَى، فأعقب أفصى بن سعد بن إياس من فخذين : زيد ومالك ٱبنى أفصى، وأعقب مالك هذا من سعد بطن المنسوب اليها بنو سعد جذام، وإن كان فى جذام عدّة سعود، لكن هذه ذات القُعدُد وليت والصميت .

ومن ولد زيد بن أفصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام: سعد بن مالك بن زيد المذكور : بطن؛ ووائل بن مالك ولَهَبَة[1]؛ وإلى وائل بن مالك بن زيد : يرجع زيد بن زنباع فى نسبه .

والعقب من مالك بن حرام بن جذام، من وائل وسعد. أعقب وائل بن مالك من حُبَيش وجمع ومازن . من ولد حبيش : شُعيب النبيّ عليه السلام : وهو شُعيب بن ثُوَيْب بن حُبَيش المذكور آبن وائل بن مالك بن حَرَام بن جذام. وأعقب سعد آبن مالك بن حرام بن جذام من غَطَفان : البطن الأكبر فى جذام. وأعقب غطفان آبن سعد من يامة بن عَنْبَس بن غطفان وغنم بن غطفان . وأعقب يامة بن عنبس آبن غطفان من علىّ بن يامة . وأعقب علىّ من كعب بن علىّ . وأعقب كعب بن علىّ من ثلاثة أفخاذ لصلبه : عُبَيد ومطرود وعوف؛ من ولد عبيد بن كعب هذا : الضُّبَيب بن قُرط بن حفيد بن سح[2] بن عبيد: فخذ . وأعقب مطرود الهواهُذَيم: فخذ من ثعلبة بن أميّة بن الضبيب: فخذ، وعمرو بن مالك بن الضبيب: فخذ، وأعقب مطرود بن كعب بن علىّ من خالد وعمرو ومبذول ونُفَاثة .

فأعقب غنم بن غطفان بن سعد، من نَضْرة بن غنم فى آخرين، فأعقب نضرة آبن غنم بن صَبِرَة العقد المشهورة آبن نصر .

والعقب من جِشَم بن جذام من بُدَيل بن جِشم . فالعقب من بديل : بكر وشَنُوءَة آبنى بُدَيل. والعقب من بكر هذا من سود بن بكر. والعقب من سعد: أسود وعمرو

---

(١) لعل الصواب "روح" .

(٢) كذا بالأصل ولم نعثر على صحتها فى كتب الأنساب .

آبنا سود . والعقب من أسعد بن سود بن بكر بن بديل بن جشم بن جذام من فخذين : السّلْم والهُون آبني أسعد. وفي سود أيضا : السّلْم بن مالك بن سود بسكان اللام فخذ .

والعقب من عمرو بن سود من لَهَبَة وحُبَيش وعِدَا: أولاد عمرو .

٥ فهذا مختصر من نسب جذام .

وأما عائذة : وهم ولد الحارث بن عدىّ بن الحارث بن مرة بن أدد بن يشجب وهو أخو جذام ولخم، فالعقب من الحارث بن عدىّ المذكور من فخذين : الزهد ومعاوية آبني الحارث : وهما آبنا عاملة كما تقدّم، وزهد: فعل، من قولهم: شيء زهيد أى قليل.

والعقب من الزهد بن الحارث بن عدىّ من ثلاث أفخذ : عوكلان وزحفان ١٠ وسلمان : بني الزهد . ومن بني عوكلان المذكور السّلم بن ضِبْيان بن أبي عزم بن عوكلان المذكور .

والعقب من معاوية بن الحارث بن عدىّ أخو الزهد خمس أفخذ تصبه : ثعل، وعِجْل، وسلمة، وقُرّة، وثعلبة. قال : وهذا النهاية في اختصار نسب مرّة بن أدد.

وأما الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. فأعقب ١٥ من جُماهير بن الأشعر وله عدد. وعبد الثريّ بن الأشعر وعبد شمس والأدغم ونُمَيم : أولاد الأشعر. وأعقب جُماهير وهو جُماهر بن الأشعر من ناجية بن جماهير له عدد . وأعقب ناجية من وائل بن ناجية وهو البيت .

وهذا مختصر نسب الأشعريّين . ومنهم من الصحابة : أبو موسى وأبو عامر وأبو بُرْدة؛ وهم فخذ متسع وفيه عدّة أفخاذ وعشائر يطول الكتاب بشرحها .

قال : وهـذا نسب بنى مالك بن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب آبن قحطان .

فالعقب من مالك بن زيد من بطنين : وهما نبت والخيار آبنا مالك . والعقب من نبت من الغوث آبنه . والعقب من الغوث بن نبت من عمرو والأزد؛ و إلى هذا الأزد يُنسب كلّ أزدىّ .

فمن ولد عمرو بن الغوث : بَجِيلة : وهم ولد أنمـار بن أراش بن عمرو بن لَحيان آبن عمر وأم الغوث و بجيلة بن أنمـار : وهى بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج، وقد قيل : بل هى أم ولد أنمـار .

والعقب من أنمار بن أراش بن عمرو بن لِحيان بن عمرو بن مالك بن زيد: خمس قبائل : الغوث وعَبْقر وصُهَيْبة ووَدَاعَة وأفْتَل : وهو خَثْعَم : بنو أنمار بن أراش . قال : وذكر علماؤنا فى النسب أن بَجِيلَة هو عَبْقر والغوث وصُهَيبه، وسُمُّوا بذلك لأجل أمهم بَجِيلة، وأن خَثْعم هو أفتلُ وأمّه هند بنت الغافِق الأزدىّ ، وسُمِّىَ خثعم بآسم جملٍ كان لآل أنمـار أو لآل أفتل بن أنمار، وكانوا يسمّونه خثعم . ويقال: بل قيل خثعم لأنهم تَخَثْعموا بالدم ؛ والأول أقرب إلى الصحيح .

والعقب من الغوث بن أنمار من ثلاث أنخاذ : وهم زيد وأَحْمَس وقيس كندة : بنو الغوث . وفى أحمس هذا : أسلم بن أحمس : نخذ؛ وفى أسلم بن أحمس بن الغوث : دُهْن . معاوية بن أسلم بن أحمس؛ نخذ: رهط عَمّار بن أبى معاوية الدُّهنىّ الصحابىّ .

والعقب من عبقر : بجيلة بن أنمـار بن أراش بن عمرو من ثلاث أنخاذ : قَسْر وعَلَقَة وقَطَن: أولاد عبقر . وفى قسر: عُرَيْنة بن زيد بن قسر، يقال له : قَسْرىٌّ فى النسب، ويقال : عُرَنىّ . والى عَلَقَة يرجع كلّ عَلَقِىّ .

والعقب من صهيبة بجيلة بن أنمار بن أراش بن عمرو: أُتَيْد بن خطام بن صهيبة ابن أنمـار : فخذ .

والعقب من زُرعة بن أنمـار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمـرو من ثلاث أفخاذ : حُزُرُق وسِمْط وحبيب : أولاد زرعة .

٥ والعقب من خثعم وهو أفتل بن أنمـار بن أراش بن عمرو بن لحيان من ثلاث أفخاذ : شَهْران وربيعـة وناهِش: أولاد عَفْرَس بن خَلَف بن أفتل وهو خثعم . وفى ربيعة بن أفْرس : بنو أكلُب بن ربيعة .

فهذا مختصر كافٍ فى بجيلة وخثعم .

وأما الأزد بن الغوث (واسمه دِراء : مثل رِداء وقيل : دِرء مثل درع .) فالعقب

١٠ مـن ولده أربع أبطن : وهم مازن وغَسّان . وغسّان ماء بسدّ مأرب باليمن وقيل : بالمشلل نزلوا به فنُسبوا اليه . والى غسّان هـذا يُنسب كلّ غسّانىّ . ونصر وعبـد الله والهِنوُ بنو الأزد بن الغوث . والى غسّان هذا يرجع الأنصار . وقد يكون مِن غسّان من ليس أنصاريّا كثيرا، ويكون من مازن من ليس غسّانيـا .

والذى نزل على غسان من الأزد بعضُ بنى امرئ القيس البِطريق بن ثعلبة البُهلول

١٥ ابن مازن ومماوية وربيعة وامرؤ القيس: بنو عمرو بن الأزد. وكُرْز وعامر ابنا ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد .

والعقب من عبد الله بن الأزد بن الغوث من ثلاث أفخاذ: الحرث وقرن وعُدْثان: أولاد عبد الله بن الأزد .

والعقب من عدثان[1] هذا من عَكّ وسود ومالك وغالب وكعب . ومن بنى سود ابن عدثان : طاحِيةُ بن سود : بطن .

والعقب من عك بن عدثان بطنان : الشاهد وصُحارٌ ابنا عَكّ .

والعقب من الشاهد بن عكّ : غافق، وإليه يُنسب كلّ غافقىّ، قال : ولهم خطّة بمصر، وساعدة ابنا الشاهد . وقيل : بل هو غافق بن الحارث بن عك بن الحارث ابن عدثان .

والعقب من صُحار بن عك بن عدثان : بَولان وعَبْس وغسّان : أولاد صُحارٍ هذا .

وأما نصر بن الأزد ، فأعقب من مالك بن نصر من أربع قبائل : عبد الله وراسب ومَيْدَعان وأكفر من حِمارٍ : أولاد مالك بن نصر بن الأزد . والى راسب ينسب كلّ راسبىّ . وفى بنى مالك راسبيّون أُخَر يأتى ذكرهم إن شاء الله تعالى .

والعقب من عبد الله بن مالك فى كعب بن عبد الله . ومنه فى الحارث بن كعب .

والعقب من الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك من ثلاث أفخاذ : كعب ومالك ونُبَيْشة وهو فاسخة . فمن ولد فاسخة بن الحارث بن كعب : بنو غِراء بن شُرَيْق ابن فاسخة؛ ومن ولد مالك بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر: بنو مَجَاعة وبنو الأرنب : ابنى مالك .

والعقب من كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر : زَهْران وأَحْجُنُ وعبد الله : أولاد كعب بن الحارث . والى زهران ينسب كلّ زَهرانىّ .

(١) ورد فى كل كتب النسب التى تحت أيدينا بأسم (عدنان) بالنون وقال عنها صاحب القاموس ما يأتى : « وعك بن عدثان بالثاء المثلثة ابن عبد الله بن الأزد، وليس ابن عدنان أخا معدّ » .

ومن أفخاذه: دَهْمان بن نصر بن زَهران، وغاضرة بن زهران، ودَوْس بن عدثان من زهران، منهم: أبوهريرة الدوسيّ الصحابيّ، وآسمه عمرو بن عامر، وفى آسمه خلاف.

والعقب من أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر من ثلاث: أسلم ولِهْب وقرن، أولاد أحجن فمن أفخاذ أسلم هذا: بنو ثُمالة وهو عوف بن أسلم بن أحجن: رهط محمد بن يزيد المبرّد النحويّ؛ وفيه يقول عبد الصمد آبن المعذّل.

سألنا عن ثُمالة كلَّ حىٍّ . فقال القائلون: ومن ثُمالَهْ؟
فقلت: محمد بن يزيد منهم . فقالوا: زدتنا بهم جهالَهْ.

وأما مَيْدَعان بن مالك بن نصر فمنه أربع أفخاذ: راسب واليه يُنسب الراسبيّون أيضا، ومُنْهِب وحبيب ومعاوية: بنو مالك بن ميدعان.

فهذا مختصر نسب بنى نصر الأزديّين.

وأما الهِنو بن الأزد، فأعقب من سبع أفخاذ: الهُون وبُدَيد ودَهْنة وبَرْق وعَوْج وأفكه وحُجْر: أولاد الهنو. فأعقب الهُونُ من فخذين: النَّدب ونَكل.

وأما مازن بن غسّان بن الأزد فأعقب من فخذين لصلبه: وهما عمرو وثعلبة العنقاء، سُمّى بالعنقاء: لطول عنقه.

فالعقب من عمرو بن مازن بن الأزد فى عدّة أولاد، كلّهم فى الأزد، من جماجمهم: عَدىّ والعاص. فأما العاص فمن ولده: بنو بُقَيلة بن سُنَين بن زيد بن سعد بن عدىّ آبن نمير بن صوفة بن العاص بن عمرو بن مازن، وسُمّى بُقَيلة: لأنه لبس ثوبين أخضرين.

وأما عدىّ بن عمرو بن مازن بن الأزد، فأعقب من عدّة أولاد، من جماجمهم: هند بن هند بن عمرو بن عدىّ وصَبِرَة بن عمرو بن صبرة بن حارثة بن عدىّ ومسعود بن مازن بن ذئب بن عدىّ؛ اليه يرجع سَطِيح الكاهن وكلّ مسعودىّ فى الأزد، وجميع بنى عدىّ بن عمرو يعزون الى الأزد .

٥ وأعقب ثعلبةُ العنقاء بن مازن بن غسّان من آمرئ القيس البطريق بن ثعلبة؛ فأعقب آمرؤ القيس البطريق : حارثة الغِطْريف؛ فأعقب الغطريف من عامر ماء السماء؛ فأعقب عامر ماء السماء من عمران وعمرو وهو مُزَيْقِياء سُمّى بذلك: لأنه كان يمزّق فى كلّ يوم [حلّتين] لئلا يلبسهما غيره .

والعقب من عمرو مُزَيْقِياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن آمرئ القيس

١٠ البطريق بن ثعلبة العنقاء بن مازن بن غسّان وهو السَّراج بن الأزد بن الغوث فى ست أفخاذ : ثعلبة : بطن الأنصار، وحارثة : بطن خزاعة، وجَفْنَة : بطن، وعمران من أزد عُمَان، ومحرّق: بطن، سُمّى بذلك لأنه أوّل من حَرّق بالنار، وكعب: أولاد عمرو مزيقياء واليهما يرجع نسبُ الأنصار . فأما الأوس بن ثعلبة بن عمرو فأعقب من مالك بن الأوس ، وأعقب مالك من خمس قبائل : النَّبِيت ، وعوف ، وجشم ،

١٥ وآمرئ القيس، ومرّة : أولاد مالك بن الأوس .

قال: وسُمّى النَّبِيت نَبِيتًا لكثرة ولده، فأعقب النبيت من فخذين: الحارث وكعب وهو ظَفَر بن الخزرج بن النبيت الأوسىّ . فأعقب الحارث بن الخزرج بن النبيت من آبنيه : جشم وحابية . فأعقب جشم من رَعْوان وآنقرض، ومن عبدالأشهل : آبنى جشم . وأعقب حابية بن الحارث من مجدعة وجويرة وجشم بنى حارثة . ومن بنى

٢٠ جشم بن حارثة : بنو خديج بن رافع بن عدىّ بن جشم، وظُهَير بن رافع بن عدى .

واما ظَفَر وهو كعب بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوسْ — وبنو ظفر البطن المشهورة فى الأوس — فأعقب من أربع أفخاذ : وهم بنو مُرة وهَيْثم وعبد رَدَاح وسواد : بنى ظفر بن الخزرج . ومن بنى سواد : بنو الحَطِيم بن عدىّ بن عمرو آبن سواد : فخذ، فهؤلاء بنو النبيت .

٥ أما عوف بن مالك بن الأوس، فأعقب من عمرو، وأعقب عمرو من لَوْذان، فخذهم بنو السَّمِيعة وثعلبة وحبيب وعوف : أولاد عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . (١١٤)

والعقب من عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس من بنيه : مالك وجِلْس وكُلْفَة . فأعقب مالك بن عوف من بنيه : عُزَير ومعاوية و زيد . وأعقب زيد بن مالك هذا من ضُبَيْعة : الفخذ المشهورة، وأميَّة الفخذ المشهورة فى الإسلام، ١٠ وعُبَيد أولاد زيد، وبنو ضُبَيعة بن زيد بن مالك، يقال لولده : بنو كسر الذهب، منهم : بنو حارثة بن عامر بن مُجَمِّع بن عطاف بن ضبيعة بن زيد : بطن معروفة . ومن أفخاذ كلفة بن عمرو بن عوف : جُلَاح بن حَرِيش بن جَحْجَبَى من كُلفة : بطن .

وأما جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة، فأعقب من خَطْمَةَ : بطن. وآسم خطمة عبدالله، وإنما سُمّى خطمة : لأنه خَطَم رجلا بسيفه على خَطْمه فسُمّى به، وأعقب ١٥ خطمة بن جشم من ثلاث أفخاذ : الحارث وعامر ولوذان : بنى خطمة .

وأما آمرؤ القيس بن مالك بن الأوس، فأعقب من فخذين : بنى السَّلْم و بنى واقف، وإليه يرجع كلّ واقفىّ فى الأوس .

وأما مرّة بن مالك بن الأوس بن حارثة، فأعقب من ثلاث أفخاذ : عامر وسعيد ومازن .

٢٠ وهذا نهاية الاختصار فى ولد الأوس .

وأما الخزرجُ بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مُزيقياء، فأعقب من خمس أفخاذ : الحارث وعمرو وعوف وجشم وكعب : بنى الخزرج .

والعقب من الحارث هذا من سبع أفخاذ : عوف وحُدَيش وجشم وصخر وجديم والخزرج وزيد : أولاد الحارث، ومن عوف بن الحارث بن الخزرج : خُدْرَة وخُدَّار ابنا عوف؛ ولخدرة يرجع أبو سعيد الخدرىّ، وهو فخذ بنى خدرة . ٥

وأما عمرو بن الخزرج فمن ولده : بنو النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج : البطن المشهورة، واسم النجار : تَيْم الله يدعى العِتْر، وإليه يرجع حسّان بن ثابت ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدىّ بن عمرو بن مالك بن النجار الشاعر : أعنى بالشاعر حسّان، وقد انقرض عقب حسّان .

١٠ وأما عوف بن الخزرج فمن أفخاذه : بنو غنم قَوْقِل : فخذ، وهو أُطُمٌ كان لبنى غنم، وسالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وغنم : رهط عُبادة بن الصامت الصحابىّ . ومن بنى عوف بن الخزرج : سالم الحُبْلَى بن غنم بن عوف، سُمّى بذلك لعظم بطنه .

وأما جشم بن الخزرج، فأعقب من فخذين : وهما تَزِيدُ وغَضْب ابناه لصلبه؛ ١٥ فمن أفخاذ تزيد بن جشم هذا : بنو سَلِمة وربيعة ابنا سعد بن علىّ بن راشد بن ساردة ابن تزيد . وسَلِمة رهط معاذ بن جبل الصحابىّ بكسر اللام .

وأما غضب بن جشم بن الخزرج، فمن أفخاذه : بنو زُرَيق وبَيَاضَة : ابنى عامر ابن زريق بن عبد بن حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج .

وأما كعب بن الخزرج فمن أفخاذه: سعيد وقيس ابنا سعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة ابن أبي حَذِيمة بن طَرِيف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، وقد انقرض قيس بن سعد بن عبادة .

ومن كعب بن الخزرج المذكور غير طريف هذا: ثلاث أفخاذ أخر إخوة طريف ابن الخزرج هذا : وهم ثعلبة وعامر وعمرو، كان لعامر هذا ابن الخزرج بن ساعدة ابن كعب بن الخزرج الأول : بنو قَسِّيَّة بن عامر وقد انقرضوا عن آخرهم .

فهذا مختصر كاف في أنساب الأوس والخزرج .

وأما حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من أربع أفخاذ : عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو أبو خُزاعة، وإنما قيل لهم خزاعة: لأنهم انخزعوا من بني عمرو مزيقياء بن عامر. والانخزاع التقاعس والتخلف. فأقاموا بمَرّ الظَّهْران بجنبات الحرم ووَلُوا حِجابة البيت دهرا وهم حلفاء بني هاشم. وقد اختلف النسّابون في خزاعة بعد إجماعهم على أنهم ولد عمرو بن لُحَيّ وأنّ خزاعة هو كعب بن عمرو بن لحيّ بن قَمَعَة بن خِنْدِف. وهو ابن الياس بن مضر، وعمرو بن لحيّ : هو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [فيه] لأكثم بن أبي الجون الخزاعيّ: "يا أكثم رأيت عمرو بن لحيّ بن قمعة بن خندف يجرّ قُصْبه في النار، ما رأيت رجلا أشبهَ منه برجل منك". فقال أكثم : يضرّني شبهه يارسول الله؟ فقال : "لا، لأنك مسلم وهو كافر" والقُصْب: حشوة البطن، وهو المصران؛ وكان عمرو بن لحيّ أوّل من غيّر دين إسماعيل عليه السلام، فنصب الأوثان وسيّب السائبةَ وبحّر البحيرةَ ووصل الوصيلةَ وحمى الحامىَ . قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما : نزل القرءان بلغة الكعبين : كعب بن لؤيّ وكعب بن

عمرو بن لحىّ ، وذلك أن دارهم كانت واحدة ، وأفصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وعدىّ بن حارثة وعمرو بن حارثة .

(٣) فأما عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء ، قال شيخنا شيخ الشرف : عمرو هو خزاعة نفسه أعقب من خمس أفخاذ : كعب وسعد وعدىّ ومُلَيح وهو لحىّ : بطن كثيّر بن عبد الرحمن الشاعر ، وعوف بن عمرو خزاعة . ٥

فأما كعب بن عمرو خزاعة بن ربيعة ، فأعقب من ستّ أفخاذ : وهم مُنْقِذ وسَلُول وحُبْشيّة ومطرود ومازن وسعد : أولاد كعب بن عمرو خزاعة .

فأما سلول بن كعب ، وإليه ينسب كلّ سلولىّ ، فأعقب من ثلاث أفخاذ : حبشيّة وعدىّ وحِرمِز ، فأعقب حبشيّة بن سلول من قُمَيْر وضَاطِر وكليب وحُلَيل وغاضرة : بنيه لصلبه . وأعقب عدىّ بن سلول من حَبير وهَيْنه وحُرَيز : بنى عدىّ . ١٠

وأما حبشيّة بن كعب بن عمرو خزاعة ، فأعقب من ابنيه لصلبه : غاضرة وحرام .

وأما سعد بن عمرو وهو خزاعة ، فأعقب من ثلاث قبائل : بنى المُصْطَلِق ، وبنى عامر وبنى الكاهن .

وأما أفصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء ، فإنه أعقب من أسلم : بطن فى آخرين : ١٥ وهم مَلَكان وزيد وعمرو وعدىّ وجُهَادة وحَطّاب وسَوادة وجُرَيش وآمرؤ القيس وصهيبة وجشم . فمن بنى أسلم بن أفصى : سلامان : فخذ ، وهَوزن : فخذ : ابنا أسلم بن أفصى ، ومن ملكان ، بالفتح ، بن أفصى : غبشّان بن ملكان : فخذ ، منهم : ذو الشّمالين المقتول ببدر .

وأما عدىّ بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من سعد بارق، نزل بمـاء بالسراة أيام سدّ مأرب يسمّى بارق، وقيل: هو جبل. وقيل: بل تبعوا البرق فسُمّوا بذلك، وعمرو وعوف: بنى عدىّ.

وأما عمران بن عمرو مزيقياء، فأعقب من الأَسْد والحُجْر ابنيه لصلبه؛ فأعقب الأسد من ثلاث أفخاذ: العَتِيك وشُهَيل والحارث: بنى الأسد. فمن ولد العتيك: أسـد بن الحارث بن العتيك: فخذ، ووائل بن الحارث. واليه ينسب المُهلَّب بن أبى صُفْرة.

وأما الحجر بن عِمران بن عمرو مزيقياء، فأعقب من أربع أفخاذ: زيد مَناة ومرحوم وعمرو وسُود: أولاده لصلبه؛ فأعقب عمرو بن الحجر من ابنه رَباب.

وأما كعب بن عمرو مزيقياء، فأعقب من خمس أفخاذ: السموءل وحنظلة وثعلبة ومالك وقاتل الجوع: أولاد كعب بن عمرو.

وأما عمرو بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من ثلاث أفخاذ: حارثة ولَرِيعَة وملادس: بنى عمرو.

وأما جفنة بن عمرو مزيقياء. فهم ملوك الشـام. والعقب من جفنة من ثلاث أفخاذ: كعب ورِفاعة وحارث: بنى جفنة فى آخرين.

فالعقب من كعب بن جفنة بن مزيقياء، من أُمام وحارث: بنيه لصلبه؛ ومن ولد أُمام: جَبَلَة بن الأَيهم بن عمرو بن جبلة بن الحارث الأعرج بن جبلة بن الحارث الأوسط بن ثعلبة بن الحارث الأكبر بن عمرو بن حجر بن هند بن أُمام هذا ابن كعب بن جفنـة بن عمرو مزيقياء. وقيل: بل هو جبلة بن الأيهم بن جبلة

ٱبن الحارث الأكبر بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، وفيه ٱختلاف ؛ وجبلة هو الذى تنصّر فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، ومن رفاعة بن جفنة : السموءل ٱبن أوفَى بن عادياء بن رفاعة بن جفنة : بطن؛ وأعقب الحارث بن جفنة من المنذر ٱبن النعمان بن الحارث : بطن، ومن الحسحاس ومنارة : ٱبنى عوف بن الحارث: بطن . وجماعة من قبيلة الأرمن نصارى يزعمون أن جدّهم هيّو يرجع الى جفنة غسّان . ٥

وأما الخِيار بن مالك بن زيد بن كهلان، فالعقب من ولده فى همْدان : وهو أَوْسَلَةُ ٱبن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار المذكور . وقيل : هو الجبار بالجيم والباء الموحدة .

والعقب من همدان : ٱبن مالك بن جشم بن خَيْران بن نَوْف بن همـدان هذا ، ومن جشم : ٱبن بَكِيل وهو الحبك : فخذ، وحاشد ٱبنا جشم لصلبـه . فأعقب ١٠ الحبك من دَوْمان وسَوْران وخَيْران . فمن ولد دومان بن الحبك وهو بَكِيل : أرحب ومرهِبـه : ٱبنا عامر بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان ، اليـه يُنسب كلّ أرحبىّ . ومن حاشد ٱبن جشم بن خيران : سَبِيع : فخذ، ٱبن سبع بن صعب ٱبن خيران بن معاوية بن كبير بن خيران : وهو مالك بن زيد بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران: رهط أبى إسحاق السَّبِيعىّ؛ وفى ذلك خلاف بين النسّابين ١٥ فى الأسماء .

وذكر بعض النّسابين أنّ ألهانَ بن مالك : أخا همدان بن مالك، اليه يرجع ويُنسب كلّ ألهانىّ : وهم قليل، ويَامُ بن أُصَىّ بن نافع بن خيران وهو مالك بن زيد : رهط زُبَيد اليامىّ شيخ التّوّزىّ .

وذكر بعض النّسابين : أن الأَوْزاع ، وهم من مَزِيدة بن زيد عدهم في همدان وهم من حمير، واليه يرجع كلّ أوزاعىّ . ومن ولد سَدَد بن زُرعة وهو حمير الأصغر : الأوزاع بن سعد بن عوف بن عدىّ بن مالك بن زيد بن سَدَد، والأوزاع بن زيد ابن سدد، والأوزاع بن سدد، والأوزاع بن شُقْران بن المعلّل بن سَدَد .

(١١٤)

٥ قال : وهذه النهاية في اختصار أنساب اليمن . وقد احتوت على الغاية في حسن إيصال البطون وتبيينها في الترتيب، فنرجع الى عمود النسب المحمدىّ فنقول :

إن عمود النسب من عابر بن شالخ في ابنه : فالغ بن عابر، وأمّه ميشاخا، وكان له من الولد غير عمود النسب الجبابرة، مثل تميم وقيناان وسيرى ومُدبّر[1] وغيرهم انقرضوا كلّهم لم يعقب منهم إلا أرغو بن فالغ . وهو الجد الذى يرجع إليه كلّ قرشىّ وكلّ

١٠ قيسى ، وهو أحد شعبى النسب .

والعقب من ولده في أرغو بن فالغ[1] وكان منه جبابرة انقرضوا . وعقبه في ابنه ساروغ بن أرغو . وكان له غير عمود النسب من العقب عشائر وأولاد جبابرة ، منهم يَعْصُم . ويَعْظُم . ونهان . وبعلاك . وبَهران ، وكاثم . وطولان . وغيرهم هلكوا دارجين .

والعقب منه في ابنه ناحور بن ساروغ . فعقب من ناحور في ابنه تارَح : وهو

١٥ آزَر بن ناحور .

ومن تارح غير عمود النسب : هاران بن تارح وناحور بن تارح، فولد هَرَنْ : لوط النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وعمود النسب من آزر في ابنه :

(١) الأسماء المرقومة برقم ١ وردت في الأصل هكذا . وفي الطبرى : [illegible]

إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام

وهو الجدّ الحادى والثلاثون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأمه أدنا بنت نمر بن أرغو بن فالغ بن عابَر. وله من الولد غير إسمعيل عمود النسب : إسحاق عليه السلام ويِشْباق : وهو طالب، وسَوَاح : وهو خاضع، وزِمْرَان : وهو نَجدان، ومَدَان، ويُقْشان : وهو مصعب ، فهؤلاء ولد إبراهيم عليه السلام لصلبه، والعقب منهم غير عمود النسب وهو إسماعيل لإسحاق لا غير . فولد إسحاق صلى الله عليه وسلم : يعقوب إسرائيل الله صلى الله عليه وسلم والعِيصُ وهو عيصُو(1)، وُلدا فى بطن واحد، فخرج عيصو أوّلا وخرج يعقوب بعده، ويده عالقة بعقبه فسُمّى يعقوب . وأمّهما رِفْقَا(1) بنت ناحور بن تارح بنت عمّ أبيهما إسحاق . فولد العيص بن إسحاق : رَعْوَال(1) ويَعُوس(1) وأَلِيفَاز ويَعْلام وقُورَح ورُوم . فولد أليفاز بن العيص : عمَالق(1) وغيره . وولد رعوال بن العيص : ناجب وغيره . وولد رُوم بن العيص بن إسحاق : بنى الأصفر لأن روم كان رجلا أصفر فى بياض فلذلك سُمِّيت الروم : بنى الأصفر .

قال : وعمّر عيصو مائة وسبعا وأربعين سنةً . وكذلك يعقوب ؛ ودفنا معا عند قبر أبيهما إبراهيم الخليل عليه السلام فى مزرعة حَبْرُون . وقيل : هى مزرعة عَفْرُون كان إبراهيم آشتراها لقبره، وفيها دُفنت سارةُ .

ومن ولد العيص : أيوب النبيّ عليه السلام، قيل : هو أيوب بن أَموص بن تارَح آبن رفو بن عيصان بن إسحاق، وأمّه من ولد لوط بن هاران عليه السلام .

وولد يعقوب عليه السلام : آثنى عشر سِبْطا . منهم يوسف النبى عليه السلام : عزيز مصر وصاحبها ، وإخوته : كاد(1) وبَنْيامِين ويهوذا ونَفْتَالى وزَبُولُون وشِمْعون

(1) الأسماء المسمرة بنمرة ١ وردت كذا فى الأصل ؛ وفى التوراة : عيسو . رِفقَة . رَعُوئيل . يَعُوش . عَماليق . جَادٌ .

ورَأُو بين، وكشاحا، ولاَوى، ودَان، ويانشير. جاء من ولد يهوذا : سليمان النبيّ عليه السلام، وجاء من سليمان : مريم ابنة عِمران أمّ المسيح عليهما السلام . وجاء من لاوى بن يعقوب : موسى كليم الله وهارون عليهما السلام ابنا عمران بن قاهث . وجاء من ولد هارون : يحيى بن زكريّا والياسُ واليَسَعُ والعزيرُ. وقد روى : أن الياس بن مضر نبيّ، وأنه المعنيّ بقوله تعالى (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ . سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ) فى قراءة نافع وابن عامر، وأن آلَ ياسين آلُ محمد صلى الله عليه وسلم .

والعقب من يوسف الصدّيق عليه السلام : أفرائيم ومَنَشَا(٢) ابنيه لصلبه، فمن ولد أفرائيم : يُوشَع بن نُون وصيّ موسى عليه السلام : وهو الذى رُدّت عليه الشمس فى حربه : وهو يوشع بن نون بن عازر بن شوتالح بن دابد بن نحب بن العاذ ابن ناحب بن يارد بن شوتالح بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب . وفى ولد منشا ابن يوسف : موسى بن منشا بن يوسف . وولد لمنشا ابنة اسمها رَحْمَة : وهى امرأة أيوب عليه السلام .

قال : وزعم أهل التوراة أن الله تعالى نبّأه وأنه صاحب الخضر. وذكر المؤرخون أنه لما مات يعقوب . فشا فى الأسباط الكهانة فبعث الله تعالى موسى بن منشا يدعوهم الى عبادة الله تعالى، وهو قبل موسى بن عمران بثمانمائة سنة والله تعالى أعلم .

ونرجع إلى عمود النسب : وهو من إبراهيم فى ولده إسمعيل : الذبيح بن إبراهيم الخليل عليهما السلام . وأمه أم ولد، تدعى هاجَر، من قبط مصر، من قرية يقال لها : أمّ العرب نحو الفرما .

---

(١) فى التوراة : أشير .

(٢) فى التوراة : مَنَسَّى .

وآختلف العلماء فيما بين عدنان إلى إسماعيل فى ذكر الآباء: فمن العلماء من ينسب اليمن إلى إسمعيل عليه السلام ويقولون : إنهم من ولد يَمَن بن نَبْت بن إسماعيل ، وآفترق باقى ولد إسماعيل فى أقطار الأرض فدخلوا فى قبائل العرب ودرج بعضهم فلم ينسب النسابون لهم نسبا إلا من كان من ولد قَيْدار آبنه عمود النسب .

قال : وآتفق أهل العلم بالنسب كما وجدوه فى التوراة وكما حملوه عن علماء أهل الكتاب، وكما روى عن عبدالله بن عباس : أن النسب فيما بين آدم وإسماعيل صحيح على ماأوردناه لاخلف فيه بينهم ولا خلاف إلا فى الأسماء لتنقل الألسنة، وإنما الخلاف فيما بين إسماعيل وعدنان ، وذلك أن قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون إليها، وإنما كانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من بعض ، فمن أجل ذلك حدث الآختلاف فيما حفظوه ، فقال قوم برواية وقال آخرون برواية . قال: وهذه الرواية التى أوردها فى هذا التأليف هى أحسن الروايات، وهى عمدة أكثر النّسابين الأجلّاء، وعليها كان يعتمدشيخ الشرف محمد بن أبى جعفر الحسينىّ العُبيدلىّ النسابة، وهى رواية عبد الله بن عباس، وآختيار أبى بكر محمد بن عبده العبقسىّ النسّابة الطرسوسىّ وغيره .

وكان لإسماعيل عليه السلام من الولد غير قَيْدار عمود النسب أحد عشر ولدا : وهم مَسًّا و يَطُور ومِسماع ودُوماء، وقيل: هو الذى بنى دُومَة الجَنْدل، ومبشام وإديال ونَعَابوا وتِيما ، وحُداد ونافيس وقَيدَما .

وعمود النسب من إسماعيل عليه السلام فى آبنه قيدار بن إسماعيل ، وأمّه هَالَةُ بنت الحارث بن مُضَاض الجرهمىّ ويقال: آسمها سَلمى، وقيل: الحنفاء، وقيل: هى أم أولاد إسماعيل كلهم .

والعقب منه فى آبنه حَمَل بن قيدار، وأمه الغاضريّة بنت مالك الجرهمىّ .

والعقب منه فى نبت بن حمل وأمّه هَامَة بنت زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب آبن يعرب بن قحطان، وتدعى حُرَيرة .

والعقب من نبت فى آبنه سلامان بن نبت .

٥ والعقب من سلامان فى آبنه الهميسع بن سلامان: أمّه حارثة بنت مرد بن زرعة ذى رُعَين الحميرىّ .

والعقب منه فى آبنه اليسع بن الهميسع .

والعقب من اليسع فى آبنه أدد بن اليسع . وأمّه حيّة من قحطان .

والعقب منه فى آبنه أدّ بن أدد، وأمّه النعج بنت عمرو بن تُبَّع سعد ذى فائش

١٠ الحميرىّ .

والعقب منه فى آبنه عدنان بن أدّ، وأمّه المتمَطِّرة بنت عدى الجرهميّة : وهو الجدّ الحادى والعشرون لسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال أكثر النسّابين : إن العقب من عدنان غير معدّ عمود النسب من عكّ: وهو الحارث والذيب والنعمان والضحّاك لاعقب له : وهو المذهب الذى يقال

١٥ فى المثل : «أحسنُ من المُذْهَب»، وعدىّ دَرَجَ، وغنىّ وأبىّ وعَمَن : وعوصحب عدن، وعمرو ونبت وأدّ وعد تقلبت فى يمن .

فأما عكّ بن عدنان فكلّ من كان منهم بالمشرق فهم ينسبون فى الأزد. والذى فى الأزد أيضا عكّ بن عدنان بالثاء المثلثة بن عبد الله بن الأزد .

وقال شيخ الشرف النسّابة : علكّ بن عدنان بالنون . وقال الأفطسيّ النسابة : علكّ بن الحارث بن عدنان بن عبد الله بن الأزد، وكلّ من كان منهم بالشام ومصر واليمن والمغرب فهم مقيمون على نسبهم فى عدنان .

وأما الذئب بن عدنان فيزعمون أن الأوس والخزرج من ولده . قال عبّاس بن مرداس : ٥

وعكّ بن عدنان الذين تلعّبوا * بغسّان حتى طردوا كلّ مُطرَدِ

نرجع . وعمود النسب من عدنان فى آبنه معـدّ بن عدنان، وأمّه مَهْـدَدُ بنت اللّهَمّ الجرهميّة .

قال[1] النسابون فى أولاده لصلبه فقالوا : إن ولده أحد عشر رجلا : وقالوا : ثمانية، وزاد آخرون، وقال قوم : لم يكن له غير نزار . ١٠

قال : فالذى أورد له أحد عشر ولدا قال : والعقب من معدّ بن عدنان : عُبَيد الرَّمّاح أعقب، وجُنَيد وجُنَادة وحَيد وقبضة، وقيل : بل آسمه قَنَصٌ آنقرض، وقُنَاصة وحَيدان أعقب، وشَطّ وعوف وسَنام وقُضاعة، قال العلماء : وكلّهم آنتقلوا فى اليمن وغيرها إلا نزارا . وقد قيل : إن حيدان هذا هو أبو مَهْرة : القبيلة . وقال النسّابون : والقَحْم أعقب، وسنام أعقب، وحبيب والضحّاك أعقب، وأَوْد أعقب : أولاد معدّ . ١٥

فأمّا عبيد الرَّمّاح فانتسب فى بنى مالك بن كنانة، ومنهم كان إبراهيم بن عربىّ صاحب اليمـامة .

وأمّا سنام بن معدّ فإنه آنتسب فى سعد العشيرة بن مالك فى اليمن .

(١) لعله : قال وآختلف النسابون الخ . ٢٠

وأمّا حَيدَةُ بن معدّ فانتسب فى الأشعريِّين .

وأمّا القحم بن معدّ فانتسب فى مالك بن كنانة .

وأمّا أود بن كعب فانتسب فى مذحج .

وأمّا قَنَصٌ فانقرض عقبه، وقيل : كان منهم النعمان بن المنذر .

٥ وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : ذو القرنين عبد الله بن الضحاك بن معدّ بن عدنان .

نرجع . وعمود النسب من معدّ بن عدنان فى ابنه نزار بن معدّ وأمّه مُعَانَةُ بنت جَوشُم(١) الجرهميّة، ومنه غير مُضر الذى هو عمود النسب ثلاث بطون : ربيعة الفَرَس وإياد وأنمار : بنو نزار . والصَّريحان من ولد إسماعيل عليه السلام : مُضَر الحمراء ١٠ وربيعة الفرس . وقولهم : ربيعة الفرس ومضر الحمراء . فزعموا أنه لما مات نزار تقسم بنوه ميراثه واستهموا عليه ؛ وكان له فرس مشهور فضله فى العرب فأصابه ربيعة فقيل : ربيعة الفرس ؛ وكان له ناقة حمراء مشهورة الفضل بين العرب فأصابها مضر فقيل : مضر الحمراء ؛ وكان له جَفنةٌ عظيمة يطعم فيها الطعام فأصابها إياد ؛ وكان له قدح كبير يسقى فيه اللبن إذا أطعم فأصابه أنمار . هذا أحد ما قيل فى ذلك ، ١٥ وسنذكر ما قيل فى قسمة ميراث نزار وما اتفق لأولاده مع الأفعى الجرهمىّ فى أمثال العرب فى حرف الهمزة وفى قولهم : «إن العصا من العُصَيَّة» . وهو فى الباب الأوّل من القسم الثانى من هذا الفن فى أوّل السفر الثالث من كتابنا هذا إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا فى الأصل وفى الطبرى : جَرهُم .

نرجع . فأمّا أنمـار بن نزار فإنها آنقلبت فى اليمن، قال : كذا روينا عن شيوخنا فى النسب ومن قال : إنها آنقلبت فى اليمن يقول فيه : إنّ خثعم وبجَيلة آبنا أنمار بن نزار، وإنما لحقا باليمن وآنتسبا عن جهل منهما إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث آبن النبيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وأمّا إياد بن نزار وهى القبيلة التى يرجع اليها كلّ إيادىّ، فمنها لخذان : بنو دُعْمِىّ آبن إياد، وبنو زَهْر بن إياد؛ ومن زهر بنو حُذَاقة بن زهر : عشيرة فى إياد، اليها ينسب الحذاقيّون .

وأما ربيعة الفرس بن نزار بن معدّ، فأعقب من ثلاثة أبطن : أَسَد، وهو البطن الأعظم من ربيعة، وضُبَيعة بن ربيعة، وأكلب. وضبيعة يقال له : ضبيعة الأَضْجم : لأنه كان مائلَ الفم . ومن أكلب أفخاذ : منها لصلبه : هُرَير وعوف ومَعْن ومُبَشّر وجليلة .

والعقب من ضبيعة بن ربيعة بن نزار من ثلاث قبائل : جُلَّى وعوف وبدر : بنو أحْمَس بن ضبيعة؛ ومن بنى جلّى : بنو مُجَمِّع الشعوب: ربيعة بن سَلِمَة بن سعد بن بلال آبن بُهْثة بن حرب بن وهب بن جلّى : بطن .

وأما أسد بن ربيعة فمنه ثلاث بطون: أفصى بن دعمىّ بن جديلة بن أسد، وعَنَزة آبن اللهازم بن أسـد، وآسمه عمرو، وعميرة بن أسد؛ وإلى عَنَزة يُنسب كلّ عنزىّ محرّك النون .

والعقب من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار لخذان : وهما أسلَم ويَقْدُم: آبنا يَذْكُر آبن عنزة بن أسد . فمن أسلم لخذان : بنو صُبَاح ، وهو قمر الليل والنهار، وبنو حُلّان :

آبني العتيك بن أسلم . ومن يقدم بن يذكر بخذان : تيم ونصر : آبنا يقدم . ومن بني تيم : بنو هَميم بن عبد العُزّى بن ربيعة بن تيم بن يقدم .

والعقب من عَميرة بن أسد بن ربيعة بن نزار بخذان : هما مبشّر وعديّ : آبنا عميرة بن أسد بن ربيعة .

٥ وأما أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد. فمنه بطنان : هِنْب وعبد القيس : آبنا أفصى بن دعميّ بن جديلة ؛ وإلى عبد القيس هذا ينسب كلّ عبقسيّ .

والعقب من عبد القيس بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد من أفصى بن عبد القيس، واللّبود بن عبد القيس. والعقب من أفصى بن عبد القيس من لُكَيز بن أفصى وشَنّ بن أفصى . فمن لكيز بن أفصى ثلاث عشر : وَديعة وصُباح ونُكْرة .

١٠ فمن ولد نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس : دُهن بن عذرة بن منبّه بن نكرة بن لكيز آبن أفصى بن عبد القيس ؛ وليس دهن هذا بخذ عمارة الدهنيّ. بل بخذه دهن التي في بجيلة .

والعقب من وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعميّ من عمرو بن وديعة ودهن بن وديعة وغنم بن وديعة .

١٥ والعقب من عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى — وهذا وَلَده: نُعْمُور — أنمار وعِجل ومُحارب ولدِّيل: أولاد عمرو بن وديعة .

والعقب من هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة من قاسط آبن هنب وعمرو بن هنب. فمن ولد عمرو بن هنب هذا : عَيب بن عمرو. ومن عَتيب في دهن : بخذ. وخفاجة : بني عس .

والعقب من قاسط بن هنب من النمر بن قاسط، واليه ينسب كل نمرى، وعمرو وهو غُفَيلة بن قاسط: قبيلة، ومعاوية بن قاسط فى عاملة، ووائل بن قاسط: البطن الأعظم من قاسط .

فالعقب من النمر بن قاسط من تيم الله ويقال: تيم اللات، وأوس مناة: آبنى النمر؛ ومن النمر بن قاسط: بنو الضَّحْيان وهو عامر بن سعد بن الخزرج بن سعد بن تيم الله آبن النمر . واليه كانت الرياسة واللواء والحكومة والمِرْباع . وقيل له الضحيان لأنه كان يحكم بين العرب فى الضُّحَى . ٥

وأما وائل بن قاسط بن هنب، فأعقب من أربع أبطن : تغلب بن وائل : البطن المشهورة ، اليها يرجع كلّ تغلبىّ معدّىّ . (وفى قضاعة أيضا تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة جدّ بنى كلب) ، وبكر بن وائل، وعَنْز بن وائل ساكنة النون كما يُنسب فى نزار إلى عنزة بن أسد كلّ عنَزىّ محرّك النون ، وعمرو بن وائل . ١٠ فمن عنز بن وائل بن قاسط فخذان : وهما رُقَيدة بن عنز وأَراشة بن عنز، وفيهما عدّة أفخاذ وعشائر .

والعقب من بكر بن وائل بن قاسط بن هنب من الحارث وعلىّ ويشكر وجشم وبَدَن: بنى بكر؛ وإلى علىّ هذا يُنسب كلّ علوىّ فى نزار؛ وإلى يشكر هذا يُنسب كلّ يشكرىّ . ١٥

والعقب من يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب من ثلاث قبائل لصلبه : وهم حرب وكنانة وكعب؛ فأعقب حرب بن يشكر من جشم وذُهْل : ولدَىْ كنانة بن حرب ؛ ومن بنى جشم بن حرب : بنو عُصَيم بن سعد بن عمرو بن جشم ؛ وبنو الحِمْير: حُبَيِّب بن كعب بن جشم، وإلى جشم هذا يُنسب كلّ جشمىّ فى نزار .

وأعقب كنانة بن يشكر من ذِبيان بالكسر بعد ذبيان عبس الذى هو بفتح؛ وأعقب ذبيان من فخـذ وائلة وعامر: ابنى ذبيان بن كنانة بن يشكر . فمن بنى عامر بن ذبيان : بنو جشم بن عامر: فخذ يقال لهم : الجشميّون أيضا .

وأما بنو علىّ الوائلى فالعقب من علىّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى

٥ ابن دعمىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة من صعب بن علىّ وحده؛ وإليه يرجع كلّ صعبىّ فى نزار . والعقب من صعب من ثلاث بطون : عُكَابة ولُجَيم[1] ومالك : أولاد صعب بن علىّ بن بكر بن وائل ، فأعقب مالك بن صعب فى بنى زِمّان بن مالك : فخذ، وإليه ينسب كلّ زِمّانىّ .

وأما لُجَيم بن صعب، فأعقب من حَنيفة بن لجيم : البطن المشهورة، ومن عجل

١٠ ابن لُجَيم .

قال الزبير بن بكّار : وحَنِيفة امرأة نُسب اليها ولدها : وهى حنيفة بنت كاهل بن أسد بن خَزِيمة . فأعقب حنيفة من ثلاث قبائل : الدُّؤَل بن حنيفة : القبيلة المشهورة فى بنى حنيفة ، ويقال فى النسبة إليـه : دؤلىّ كما تقدم سابقا و دؤلى كذلك . وعامر ابن حنيفة وعدىّ بن حنيفة ؛ وفيهم عدّة عشائر وقبائل . والعزوة فى حنيفة تغنى

١٥ عنها؛ منها بنو يَربوع بن الدؤل بن حنيفة إليه يُنسب كلّ يربوعىّ : وهم قبيلة خَولة بنت جعفر بن قيس بن سـلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع المذكور أم أبى القاسم محمد بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه المعروف بابن الحنفيّة . وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لعلىّ "سيولد لك ولد وقد نحلته اسمى وكنيتى" .

(١) كذا بالأصل وفى كتاب معارف لابن قتيبة : "جُشَم" بجيم معجمة .

قال : ولعُبَيْد بن ثعلبة بن يربوع غير سلمة خمس أفخاذ لصلبه : مَسلَمة وشَيْبان وزيد ووهب وأرقم ؛ ولهم عدد فى بنى مَسلَمة المذكور : عمرو بن معدى كرب بن الحارث بن مسلمة ، إليه يُنسب كنز الدولة حامى أسوان .

وأما عجل بن لجيم فأعقب من أربع أبطن : وهى سعد وكعب وهم قليل ، وربيعة وضبيعة أولاد عجل ؛ وإليـه ينسب كلّ عجلىّ . وفيهم عدّة أفخـاذ وعشائر ، وإلى ضبيعة يُنسب كلّ ضبعىّ .

(١١٨) وأما عكابة بن صعب بن علىّ فأعقب من بطنين : ثعلبة وفيـه العدد ، وقيس : ابنى عكابة .

والعقب من ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على من خمسة : قيس من اللَّهَازم : بطن ، ومالك وتيم الله من اللهازم : قبيلة أولاد ثعلبة بن عكابة ، وشَيبان وذُهْل وهما الذهْلان : ابنا ثعلبة ؛ وإلى شيبان هذا يرجع كلّ شيبانىّ ، وإلى ذهل يرجع كلّ ذُهلىّ .

فأما قيس ابن ثعلبة فأعقب من ضُبَيعة وسعد : ابنيه لصلبه . والعقب من ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عكابة من ربيعة وهو جُحْدَر ، وإليه يرجع كلّ جَحدرىّ ، وسعد وتيم وعُبَاد ومالك : بطن .

وأعقب تيم الله بن ثعلبة بن عكابة من سبع أفخاذ : وهم الحارث وذُهْل وعدىّ ومالك وعامر وزِمّان وحَاطِبة ؛ ومن بنى مالك بن تيم الله : بنو عائش بن مالك : فخذ .

فأما شيبان بن ثعلبة بن عكابة فأعقب من ثلاث بطون لصلبه : ذهل ، وإليـه يرجع الذهليّون ، وتيم وثعلبة ؛ وثعلبة هذا : هو الفخذ الذى يُنسب إليه ويرجع أبو الصقر محمد بن إسماعيل وزير المعتمد . وفيه يقول ابن الرومىّ الشاعر :

قالوا: أبو الصقر من شيبان، قلت لهم: * كلّا لعَمرى ولكن منه شيبانُ
وكم أبٍ قد علا بابنٍ له شرفا * كما علا برسول الله عدنانُ

وأعقب ذهل بن شيبان من أولاده لصلبه: وهم مُرّة، وإليه يرجع المرّيون الشيبانيّون وأبو ربيعة ومُحلّم وصُبيح[1] والحارث وعمرو: وهو جِذْرة وعوف وعبد غنم.
ومن ولد أبى ربيعة بن ذهل: المُزدلِف: وهو عمرو بن أبى ربيعة: فخذ كبيرة.

وفى مرة بن ذهل بن شيبان عدّة أفخاذ: وهم سعد ودُبّ وسيّار وكثيّر وجندب وبُجَير وجسّاس ونضلة وهمّام: قبيلة الأحلاف أولاد مرة. قال: وهمّام بن مرة ابن ذهل هو بيتُ ذهلٍ وقعددُ فخرهم. وأعقب لصلبه الأحلاف من مازن وعوف وثعلبة خمسين بيتا. وعمرو وعائشة والأسعد وحبيب: هؤلاء هم الأحلاف ومرّة وعبد الله والحارث.

وأما ذهل بن ثعلبة وهو أحد الذهلين فمنه بطنان لصلبه: شيبان وعامر. فأعقب شيبان بن ذهل بن ثعلبة من سبع أفخاذ لصلبه: وهم سَدُوس ومازن وعمرو الأعمى وعلْباء ومالك وعامر وزيد مناة. وإلى سدوس هذا يُنسب كلّ سدوسىّ. ومن ولد مازن هذا: أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن. وإليه أيضا يُنسب أبو عثمان المازنىّ النحوىّ وكلّ مازنىّ. وفى مذحج فى بنى سلَيم: زُبَيد مازن معروفة.

نعود إلى باقى نسب وائل.

وأما تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب، وتسمى تغلب دثار، وكان أكثرهم نصارى. فأعقب منه فى ثلاث أفخاذ لصلبه: عمران ... وأوس وغنم، وفيه العدد

(1) كذا بالأصل وفى كتاب المعارف لابن قتيبة: صُبَيح.

والبيت ؛ ومن قبائل غنم الخنّـاقون : بكر ورَزَاح ومالك وعدىّ : بنو معاوية آبن عمرو بن غنم بن تغلب، والأراقم الستة : جشم ومالك وعمرو والحارث ومعاوية وثعلبة : أولاد بكر بن حُبَيِّب بن غنم بن عمرو بن تغلب ، ومن جشم هـذا : بنو عُطَيْف مُجزِئة بن حارثة بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب : رهط سيف الدولة آبن حمدان . فهذا نهاية الآختصار فى نسب بنى نزار . ٥

وعمود النسب منه فى آبنه مضر بن نزار، وأمّه سَوْدة بنت عكّ العدنانية . ومنه غير عمود النسب وهو الياس آبنه قيس بن عَيْلان بن مضر ،وآسم عيلان : الناس، وهو أخو الياس . ويقال : قيس عيلان بن مضر، وعيلانُ حاضنٌ كان لقيس فنُسبَ إليه كما نُسب غير واحد من العرب إلى الحضان : كسعد هذيم حضنه هُذَيم فنُسب إليه ؛ والصحيح : أن عيـلان بن مضر، وآسمه الناس، وقيسا ولده . وقد قيـل ١٠ فى الناس : النأس بتشديد السين .

ذكـر نسب قيس وبطونهـا

والعقب من قيس بن عيـلان بن مضر بن نزار بن معـدّ بن عدنان ثلاثة نفر : خَصَفَة وسـعد وعمرو . وقال قائلون : وَبْر بن قيس وإنه ولد طوائفَ من البربر، وفى ذلك خلاف عند النسّابين . ١٥

فالعقب من خصفة هـذا من بطنين : عِكْرِمة ومُحارِب آبنى خصفة بن قيس . وقيل : إن خصفة بن عكرمة غلب آسمها عليه فنُسب إليها كما قيل فى خندف . أعقب (١١٩) عكرمة بن خصفة من منصور بن عكرمة : البيتَ الأوّل من بنى قيس، فيه العدد، وسعد بن عكرمة وأبى مالك وعامر : بنى عكرمة . أعقب منصور بن عكرمة من هوازن

آبن المنصور : القبيلة المشهورة، ومن سُلَيم بن منصور : القبيلة المشهورة، وسلامان آبن منصور : قبيلة ، ومازن بن منصور : قبيلة .

فأما هوازن فأعقب من بكر بن هوازن لا غير، وأعقب بكر بن هوازن من ثلاث أفخاذ : معاوية بن بكر، وفيه العدد، وقَسِىّ وهو ثقيف، وآسمه منبِّه بن بكر، وإليه ٥ يرجع كلّ ثقفىّ ؛ وسعد بن بكر، وإليه يرجع كلّ سعدىّ من عشيرة حليمة بنت أبى ذؤيب السعديّة : ظئر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهى حليمة بنت أبى ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجْنَة بن جابر بن رِزام بن ناصرة بن قُصيّة بن نصر ابن سعد المذكور؛ وآسم زوجها وهو والد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة : الحارث بن عبد العزّى بن رفاعة بن ملّان بن ناصرة بن قصيّة بن نصر بن ١٠ سعد ؛ وكنيته أبو كبشة، وبه كانت العرب تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : آبن أبى كبشة . وقيل فى أبى كبشة [أقوال] منها أن جدّه لأمّه لسيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة كان يكنى أبا كبشة فنسبوه فى ذلك ليتمه وموت أبيه . وكان أيضا عمرو بن زيد أبو أسد النجارىّ أبو سلمى بن عبد منضّب جدّ النبيّ صلى الله عليه وسلم يكنى : أبا كبشة . وقيل : بل خطؤوا نحوهم : أبا كبشة ١٥ يعنون أبا كبشة جرير بن غالب بن حارث، وهو أبو قَيْلة أمّ وهب بن عبد مناف والد آمنة أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال آبن قتيبة : إنه كان يعبد الشعرى دون العرب، فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة الله دون عبادة الأصنام، شبّهوه فى شذوذه عنهم بشذوذ بعض أجداده من قبل أمّه بعبادة الشعرى وتفصيله منهم .

وأما معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، ٢٠ فأعقب من صعصعة بن معاوية : القبيلة العظمى، وجشم بن معاوية، وإليه ينسب

كلّ جشميّ في هوازن . وله ثلاث أفخاذ : عُصَيمة وزِمّان وبنو جشم ونصر
آبن معاوية جدّ النصريّين القيسيّين . ومنه فخذان : بنو دهمان وبنو عوف : آبني نصر،
وجحش بن معاوية : فخذ، وسيّار بن معاوية : فخذ، وكلاب بن معاوية، ومِنجاب
آبن معاوية، وعمرو بن معاوية، وأُدحِيّة بن معاوية، ودُحَيّة بن معاوية ، ودَحْوَة
آبن معاوية ، والسَّبّاق : وهو يعيش بن معاوية ، وعوف بن معاوية، وجِحَاش بن ٥
معاوية : هؤلاء كلّهم أفخاذ قليلو العدد، يقال لهم : الهوازنيّون .

وأما صعصعة بن معاوية فأعقب لصلبه عامر : القبيلة المشهورة، ومرّة : وهم
سَلول؛ وكلّ سلوليّ ينسب إلى مرّة هـذا؛ وأمّ ولده سلول الشيبانيّة : وهي سلول
آبنة شيبان بن ذهل بن ثعلبة؛ وولده عشرة أفخاذ : وهم عمرو وضبيعة ونهار وسُحَيم :
وهو أعيا، وغاضرة وعُدَيّة وجابر ومعاوية وجنى ودهى . وباقى ولد صعصعة لصلبه ١٠
قبائل صغار : عبد الله وعائذ وعمرو وقيس وكبير وسيار ومساور وزبيبة وربيعة
وغالب ووائل ومازن وعوف ومنجور والحارث : خمس عشرة قبيلة ؛ وفي هذه
القبائل : بنو عادية وبنو عُدَيّة بالضم، فأما بنو عادية فهى أم عبد الله عادية والحارث .
وأما بنو عدية فهى أم قيس عدية وعوف عدية . والى عمرو بن صعصعة بن معاوية
تُعزَى الطائفة المعروفة بالأكراد . ومن النسّابين من ذكرهم إلى كرد بن مرد بن ١٥
عمرو بن صعصعة المذكور . ومنهم من نسبهم إلى أكراد بن فارسان بن أهلوا بن
إرم بن سام بن نوح ، وعليـه آعتمدوا . ومنهم من قال : كرد بن مرد بن يافث
آبن نوح .

وأما عامر بن صعصعة فأعقب من أربع بطون : وهم نمير وسُوَاءة وهلال
وربيعة . ٢٠

فأما نمير بن عامر ، واليه يُنسب كلّ نميرىّ ، ففيهم عدّة أفخاذ : بنو المقشّب : وهو ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير ، وبنو خُوَيلفة بن عبد الله بن الحارث ابن نمير ، وبنو أسقع : وهو مالك بن عامر بن نمير .

وأما سواءة بن عامر بن صعصعة فمنه عدّة أفخاذ : منها بنو حُبَيب بن سواءة وبنو جسّاس بن سواءة وبنو حرثان بن سواءة .

وأما هلال بن عامر بن صعصعة فالبطن المشهور ، وقد نزلوا المغرب من تلمسان إلى طرابلس ، فأعقب هلال من إحدى عشرة قبيلة وهم أولاده لصلبه .

أولهم البيت المقدّم عبد الله ونَهيك وربيعة وعائذة وعبد مناف ورُوَيْبة وصخر وشعبة وشَعَيبة وناشرة وحضرة .

وفى هلال عدّة أفخاذ وعشائر : كزغبة وريح وفادع والأثبج وحُوثة ، وقرّة وغيرهم .

فأعقب عبد الله : وهو البطن الأولى من بنى هلال من ثلاث أفخاذ : رُوَيْبَة ابن عبد الله وحوثة وحارثة : ابنى عبد الله ، فأعقب رويبة بن عبد الله من أربع عشائر : زغبة وريح وهزوم ومعاوية : بنى رويبة بن عبد الله ، فمن بنى هزوم بن رويبة بن عبد الله : ميمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَير بن هزوم بن رويبة بن عبد الله أمّ المؤمنين زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن بنى ريح : بنو جُبيّة بن علىّ ابن فادع : فخذ أعقب ، إليه يرجع جندة بن كامل مقدّم بنى هلال .

وأما نَهيك بن هلال فأعقب من خمس قبائل لصلبه : وهم معشر وأبو ربيعة وأبو معاوية وسهل وأبو جشم .

وأما عبد مناف بن هلال فأعقب من أربع قبائل : الحارث وعمرو وربيعة ويَعْمر : بنى عبد مناف لصلبه . فمن بنى ربيعة بن عبد مناف بن هلال : قرّة بن عمرو بن ربيعة : فخذ مشهورة كبيرة ، إليه يرجع كلّ قرّىّ . ومن بنى عمرو بن عبد مناف بن هلال : زينب بنت خُزَيمة بن الحارث بن عبدالله بن عمرو بن عبد مناف أمّ المساكين زوج النبى صلى الله عليه وسلم أمّ المؤمنين . فهذا مختصر قبائل هلال . ٥

وأما ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فأعقب من خمس قبائل : وهم الحارث وكليب وعامر وكلاب وكعب : بنوه لصلبه .

أما الحارث بن ربيعة فأعقب من فخذين لصلبه : عوف وعُوَيف .

وأما كليب بن ربيعة فأعقب من خمس أفخاذ لصلبه : أبان وجَهْم وجشم وخلف ومسروق . ١٠

وأما عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فأعقب من أربع أفخاذ لصلبه : عمرو وعوف والبكّاء ومعاوية .

وأما كلاب بن ربيعة بن عامر فأعقب من عشر أبطن ، قال الشاعر :

وإن كلابا هذه عشر أبطن * وأنت برىء من قبائلها العشر

يعنى شُمَر بن ذى الجَوْشن الضِّبَابِىّ ، والعشر أبطن لصلب كلاب : وهم جعفر ١٥ وأبو بكر واسمه عبيد ، ومعاوية : وهو الضِّبَاب بن كلاب وعامر وربيعة والأضبط وعمرو وعبد الله ورؤاس "قيل : بالفتح وواو بدل الهمز" ، وكعب .

فأما جعفر بن كلاب فأعقب من أربعة أفخاذ لصلبه : مالك والأحوص وخالد وعُتْبة ؛ وفيهم عدّة عشائر .

وأما أبو بكر عبيد بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ لصلبه : عبد وكعب وعبد الله . فأما عبد بن أبي بكر فمن العشائر التي لصلبه : بنو قُرْط وبنو قُرَيط .

وأما كعب بن أبي بكر فمن العشائر التي لصلبه : بنو جَحْش بن كعب .

وأما عبدالله بن أبي بكر فمن عشائره لصلبه : بنو المجنون: وهو ربيعة بن عبدالله.

٥ وأما معاوية بن كلاب وهو الضِّباب فمنه ثلاث عشرة قبيلة: وهم ضَبّ ومُضِبّ وضِباب، ولأجلهم عرف هذا البطن أعني بني معوية بالضباب. وحُسَيل وحِسْل وعمرو وأنس والأعور وزفر وأنيس ومالك وربيعة وزهير: أولاد عمرو بن معاوية . ومن ولد الأعور هذا شمر بن شُرَحْبيل بن الأعور قاتل الحسين بن عليّ رضي الله عنه.

وأما عامر بن كلاب فمنه أربع قبائل لصلبه : وهم بنو الأصمّ، وهم قليل، وبنو ١٠ كعب وهو البيت من عامر بن كلاب وطَريف بن عامر وعقيل بن عامر . فأعقب كعب بن عامر من الوَحيد : وهو عامر بن كعب ، من أفخاذه : خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب ، منه أمّ البنين بنت حِزَام بن خالد المذكور زوج عليّ بن أبي طالب ، وهي أمّ ابنه العباس السقاء ، عرف بذلك لأنه سقى الحسينَ الماءَ بكربلا .

١٥ وأما ربيعة بن كلاب فمنه ثلاثة أفخاذ لصلبه : وهم جُبَيْر وعُتْبة وعَبْل وغيره .

وأما الأضبط بن كلاب ففخذه : بنو وَبْر بن الأضبط ؛ ومن بني وَبْر سبع عشائر : وهم وَهْب الأكبر ووهب الأصغر ووهب ووهب ووُهَيْب وحنة وأبو ربيعة : أولاد وبر بن الأضبط .

وأما عمرو بن كلاب فمنه فخذان : عيل وعوف : ابنا عمرو بن كلاب .

وأما عبد الله بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ : عامر وعمرو والصُّموت : أولاده لصلبه . ومن عشائر الصموت بن عبد الله : ضُبَيعة الأغرّ بن عبد الله آبن الصموت .

(١٦١) وأما رؤاس بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ : بجَاد وبُجَيد وعُبَيد : أولاده لصلبه؛ ومن بُجَيد : عُفَيف بن بُجيد : فخذ؛ وإلى رؤاس هذا ينسب كلّ رؤاسىّ. ٥

وأما كعب بن كلاب فأعقب من أربعة لصلبه : عامر ووهب وربيعة وأوس .

فهذا مختصر بنى كلاب وأبطنها — نعود إلى باقى ولد ربيعة بن عامر .

وأما كعب بن ربيعة بن عامر فأعقب من ستة أبطن لصلبه : وهم جَعْدَةُ بن كعب : البطن المشهورة؛ إليها يرجع كلّ جَعْدىّ؛ وفيها عدّة قبائل وعشائر؛ وحبيب آبن كعب : البطن المشهورة؛ وإليها يرجع كلّ حبيبىّ؛ وفيها أفخاذ؛ وعبد الله بن كعب ١٠ منه العَجلان بن عبد الله : بطن ، وربيعة بن عبد الله ، ونُهَم بن عبد الله؛ وفيهم أفخاذ، وقُشَير بن كعب ، وإليه يرجع كلّ قُشَيرىّ ؛ وفيها عدّة أفخاذ وعشائر، والحرِيش بن كعب ، وإليه يرجع كلّ حَرِشىّ : كعبد الله بن الشِّخّير بن عوف بن كعب بن وَقْدان بن الحريش الحرشىّ الصحابىّ وغيره، وعُقَيل بن كعب : البطن المشهورة، إليها يرجع كلّ عُقَيلىّ بالضم . والعقب من عقيل بن كعب : بن ربيعة ١٥ آبن عامر من خفاجة بن عمرو بن عقيل : البطن المشهورة، وعبد الله وربيعة ومعاوية وعامر وعُبادة؛ كلّ هؤلاء أبطن . والعقب من خفاجة من أحد عشر فخذا لصلبه : وهم بنو معاوية ذى القَرْح : فخذ، وبنو كعب ذى النُّوَيرة، وبنو الأقرع : فخذ، وبنو كعب الأصغر ، وبنو عامر ، وبنو مالك ، وبنو الهيثم ، وبنو الوازع؛

إليه ينسب كلّ وازعيّ ، وبنو عمرو، وبنو حَزْن، وبنو خالد . والفخذ العظمى من بني عقيل بعد بني خفاجة : بنو يُزيد بصم لياء بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن حوثة بن طَهْفَة بن حزن بن عبادة : عشيرة الأمير أبي المنيع شرف الدولة محمد بن مرداس ؛ ودرج شرف الدولة ، وهو ملك العرب .

٥ فهذا مختصر من نسب بني عقيل ، وهؤلاء هوازن وهم بكر . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأما سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان : وهو البطن المشهورة ، فأعقب من بهثة بن سليم . وأعقب بهثة من خمسة أفخاذ لصلبه : معوية وعوف وآمرئ القيس والحارث وثعلبة . ومن بني آمرئ القيس بن بهثة : بنو عُصَيّة بن خُفَاف بن آمرئ القيس : بطن .

١٠ وأما محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان . فأعقب فخذين لصلبه : طُرَيف وجَسْر ، ويقال لبني جسر : بنو عليّ لأن العقب من جسر بن محارب في عليّ بن جسر لاغير .

انقضى ذكر بني خصفة بن قيس بن عيلان .

وأما سعد بن عيلان فأعقب من بطنين لصلبه : وهما غَطَفَان . ومنبه : وهو ١٥ أعْصُر ، والعقب من رَيْث بن غطفان من أربع بطون لصلبه : بَغيض ومازن وأشجع وإليه يرجع كلّ أشجعيّ . وأهون : بنو ريث .

والعقب من بغيض بن ريث [من عَبْس وذُبيان] وهما القبيلتان المشهورتان .

وذكر بعض النسّابين أنمار بن بغيض منهم أبو كبشة الأنماريّ . وقيل : إن أبا كبشة الأنماريّ إنما هو من مذحج .

والعقب من غيس بن بغيض بن ريث بن غطفان من نحـذين : قَطِيعة ووَرَقة ٱبنى عبس .

والعقب من قَطِيعة بن عبس من الحارث، ومُعتمِر : قبيلة قليلة، وعوف : قبيلة، وغالب ؛ قبيلة الحُطَيئة، ومُرَيْطة : قبيلة من ولد خالد بن سنان نبىّ أهل الرَّسّ بن جابر ٱبن غيث بن مريطة . ٥

والعقب من الحارث بن قطيعة بن عبس من جِرْوَة وعامر ومازن : قبيلة وذَكْوان وشـدّاد : بنى الحارث بن قطيعة . ومن مازن بن الحارث أنخاذ : منهم جَذِيمة بن رَوَاحة بن ربيعة بن مازن : نخذ؛ إليه يرجع الجذميون بالجيم : منهم عشيرة بنى زهير ٱبن جذيمة فى آخرين .

١٠ وأما ذبيان بن بغيض، فأعقب من فَزَارة : البطن المشهورة، وسعد ؛ فأعقب فزارة بن ذبيان من مرّة وظالم وروميّ ، دَرَجَ وشَمْخ وعدىّ ومازن : أولاد فزارة ؛ وفيهم قبائل وعشائر وأنخاذ .

وأما سعد بن ذبيان فمن بطونه المرّيون : بنو مرّة بن عوف بن سـعد، وفيهم أنخاذ، وبنو عقال بن سـعد : نخذ، وبنو بَجَالَة بن ثعلبة بن سعد وبنو نَجَب بن ثعلبة وبنو رِزَام بن ثعلبة . ١٥ (١٣٢)

وأما عبد الله بن غطفان بن سعد فالعقب منه فى بهثة بن عبد الله وقُطُبَة وعدىّ وعُذرة وكلب وباعث وشَبَابة وغنم وعوف ومنبّه؛ عشرة أنخاذ .

وأما أَعْصُر : وهو منبّه بن سعد بن قيس فأعقب من باهلة : وهم ولد مالك بن أعصر، وهى باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة أخت بَجِيلة بن مذحج؛ ولد سعد

ابن مالك بن يَعصُر ومَعْن بن مالك بن يعصر فغلب اسمُها عليهم ونُسبوا إليها ؛ وكلّ باهليّ ينسب إلى باهلة وهم ولد مالك بن أعصر بن معن بن مالك . وغنىّ بن أعصر بن سعد بن قيس أعقب من غنم وجعدة، إليها ينسب كلّ غَنَوىّ والطُّفَاوة. اسمه الحارث بن أعصر إليه ينسب الطُّفَاوِيّون، وعامر بن أعصر .

٥ وأما عمرو بن قيس بن عيلان، فمنه بطنان لصلبه : وهما عَدْوَان واسمه الحارث . وفَهْم : ابنا عمرو بن قيس؛ وإنما قيل له عَدْوان : لأنه عدا على أخيه فَهْم فقتله . وفهم وعدوان يقال لهما : جَدِيلة قيس . وهي أمهم جديلة بنت مرّ بن أدّ : أخت تميم بن مرّ . ومن قبائل عدوان : بنو يشكر وبنو دَوس : ابني عدون : القبيلتان المشهورتان .

١٠ هذا آخر مختصر نسب قيس بن عيلان بن مضر .

فلنرجع إلى عمود النسب . وعمود النسب من مضر في ابنه :

اليـاس بن مضر بن نزار

وأمه الرِّباب بنت إياد المعَدّية . ومنه غير عمود النسب (وهو مُدْرِكة) بطن واحد وهو طابخة بن الْيَاس ، قال : لأن قمعة بن الْيـاس فيه خلاف كثير . وأكثر مشايخ ١٥ النسب يذكرون أنه دَرَجَ ولا عقبَ له ؛ وذكر آخرون : أنه أبو خزاعة . وخزاعة ليست بأبٍ ولا أمٍّ وإنمـا هم انخزعوا من مضر اليمين ببطنِ مَرٍّ . وذلك حين أقبل بنو عمرو بن عامر يريدون الحجاز ؛ ألا ترى قول عون بن أيّوب الأنصارىّ (1) :

ولمـا هبطنا بطنَ مَرٍّ تخـزّعتْ ⁂ خُزاعةُ منّـا في حُـلولٍ كَرَاكِرِ

حمتْ كلَّ وادٍ من تِهامةَ واحتمتْ ⁂ بصُمِّ القنا والمرهَفاتِ البـواتِرِ

٢٠ (1) كذا بالأصل وفي اللسان أن القائل : حسان بن ثابت .

وقد أوردنا نسب خزاعة فى بنى عمرو بن عامر ماء السماء الغسّانىّ فى نسب اليمن،
ومن قبائل طابخة بن الياس خمس : بنو مُرّ بن أدّ بن طابخة، وبنو ضبّة بن أدّ
ابن طابخة، وبنو عمرو، وبنو تَميس، وبنو عبد مناة : أولاد أدّ بن طابخة .

فأما بنو مُرّ بن أدّ بن طابخة، فمنه بنو تميم بن مرّ، وبنو ثعلبة بن مرّ : ظاعنة
من الشُّعيراء، وبنو صوفة : وهم ولد الغوث : وهو الرّبيط بن مرّ وبكر بن مرّ من ٥
الشعيراء، ومحارب بن مرّ، فهم عدّة أفخاذ وقبائل. وقبائل تميم : وهم ثلاث : زيد مناة
والحارث وعمرو : أولاد تميم لصلبه . فمن قبائل زيد مناة بن تميم : نَهْشَل بن دارِم
ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وبنو سَدُوس بن دارم : قبيلة .
وبنو عبد الله بن دارم : منهم عُطارد : قبيلة حاجب بن زُرارة بن عُدُس (وكلّ من عداه
بفتح الدال) ابن زيد بن عبد الله بن دارم مجوس، وبنو أَبَان بن دارم : قبيلة . وبنو
ثعلبة بن يربوع بن حنظلة : قبيلة . وبنو كليب بن يربوع : قبيلة . وبنو رياح بن
يربوع : قبيلة . وبنو غُدَانة بن يربوع : قبيلة . وبنو جارية بن سَلِيط بن يربوع .
وبنو البَرَاجم : وهم ظُلَيم وعمرو وقيس وغالب وكافة : أولاد حنظلة بن مالك؛
فهؤلاء بنو حنظلة بن مالك، سموا بَرَاجم لتجمّعهم كالأصابع . ثم قبيلة الجوع :
وهم ولد ربيعة بن مالك بن زيد مناة؛ والكُرْدُوسَان من بنى زيد مناة : معاوية وقيس ٥
ابنا مالك بن زيد مناة بن تميم . ومن زيد مناة : بنو سعد بن زيد مناة، منه عدّة
قبائل، منهم قبائل الأبناء : وهم عبشمس وعُوَافة وعوف وجشم ومالك وعمرو : بنو
سعد بن زيد مناة . ومن بنى سعد بن زيد مناة : بنو الحرام : وهو من الحُدَمَة بن كعب (١٢٣)
ابن سعد، وبنو حِمّان بن عبد العُزّى بن كعب بن سعد، وبنو الأعرج : وهو الحارث

ابن كعب بن سعد، وبنو قُرَيْع بن عوف بن كعب بن سعد، وبنو بَهْدَلَة بن عوف
ابن كعب، وبنو بِرْنِيق بن عوف بن كعب، وبنو عطارد بن عوف بن كعب قليلون .

ومن قبائل كعب بن سعد المذكور: بنو مِنْقَر بن عبيد بن مُقاعِس: وهو الحارث
ابن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وهم المِنْقَرِيُّون . ومن بنى زيد مناة:
٥ بنو امرئ القيس بن زيد مناة، له عدد ومدد . منه ثلاثة أفخاذ : بنو عُصَيَّة وبنو
مالك وبنو الحارث : أولاد امرئ القيس المذكور . ومن بنى زيد مناة : بنو عامر
الصحيح بن زيد مناة؛ فهؤلاء بنو زيد مناة بن تميم .

وأما الحارث بن تميم فمنه شَقِرة بن الحارث : قبيلة، اسمه معاوية، وسُمّى شقرة
ببيت قاله :

١٠ وقد أحمل الرمح الأصم كُعوبُه - به من دماء القوم كالشَقِرات

والشقرات : شقائق النعمان، والنعمان : الدم؛ والله أعلم .

وأما عمرو بن تميم فمنه سبعة أفخاذ، وهم بنو مالك وبنو العنبر وبنو الهُجَيْم وبنو أُسَيد
وبنو الحَبَطَة: وهو الحارث . وبنو القُلَيْب : وهو أُنَيْهة [وزن عُتَيْبة] وكعب: بنو عمرو
ابن تميم؛ وولى كعب هذا البيت قبل قريش .

١٥ فأما مالك بن عمرو بن تميم فمنه فخذان: مازن . منهم وَقَى بن مَطَر من زنى جلى
العرب ، والحِرماز : وهو الحرث بن مالك . فمن بنى مازن بن مالك بن عمرو بن
تميم : أنمار بن مازن : فخذ قليلون . ورِزَّان بن مازن : قبيلة . وحُرْقوص بن مازن .
ورزام بن مازن : قليل . وخزاعىّ بن مازن : قليل .

وأما بلعنبر بن عمرو بن تميم فأعقب من ثلاثة : كعب وجندب ومالك : أولاد
٢٠ العنبر؛ وكلّ بلعنبرىّ ينسب إلى بلعنبر هذا : وهى قبيلة مشهورة .

وأما بَلْهُجَيْم بن عمرو بن تميم وهو الهُجَيْم فأعقب من خمسة : عامر وسعد وعمرو وربيعة وأنمـار . ويقال لبلعنبر وبلهجيم : الحَبَطَات[1] . وكذلك أخوهما الحـارث الحَبِطُ، وهو الذى عُرِفوا بذلك من أجله، يقال : إنه أكل خَبَطًا فسُمّى به[2] .

وأما أُسَيدُ بن عمرو بن تميم فأعقب من ستة لصلبه : عقَيل ونمير وجروة : قبيلة، وعمرو والحارث . فمن بنى جروة بن أسيد بن هند بن أبى هالة : نَبَّاشُ ابن زرارة ابن وقدان بن حبيب بن سلامة بن غوىّ بن جروة بن أسـيد بن عمرو بن تميم : ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأمّه خديجة بنت خويلد .

وأما الحـارث الحبط بن عمرو بن تميم فمنه قبيلة سعد بن الحـارث، وهى قبيلة الحبطات، ومشّادة بن الحارث الحبط ونضلة بن الحارث الحبط : فهؤلاء بنو تميم فى مُرّ بن أدّ بن طابخة .

وأما بنو ضبة بن أدّ فثلاث قبائل : سعد وسُعَيد وباسل . ولسعد وسعيد المثل السائر "أسعد أم سُعَيد" . أما سعيد بن ضبة فقليل عددهم . وأما سـعد بن ضبة فأعقب من اثنين : ثعلبة وبكر : ابنى سعد؛ فأما ثعلبة بن سعد، فمن قبائلها : بنو مسعود بن دُلْجة بن نُعَيم بن قُرَامة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد : قبيلة يُنسب إليها كلّ مسعودىّ، وبنو مبذول بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة

(١) كذا فى الأصل الكوبريلى بإعجام الخاء . والصواب بالمهملة كما فى كتب الأنساب واللغة، أنظر القاموس واللسان فى مادة : ح ب ط .

(٢) إنه أكل خبطا فسمّى به كذا فى الأصل، وجاء فى القاموس : أن الذين سموا بهذا الاسم هم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسـلم جاعوا فى الطريق حتى أكلوا الخَبَط وهو الورق المضروب بالمخابط يجفف ويطحن، فسموا بسَرِيَّة الخَبَط أو جيش الخَبَط وعليه يكون اسم الحارث الحبط بالحاء المهملة .

ابن سعد: قبيلة . ومن بنى بكر بن سعد بن ضبة: صبح وبجالة: ابنا ذهل بن مالك ابن بكر بن سعد: نخذان، وعائذة[1] بن مالك بن بكر بن سعد: فخذ، ونصر بن عبد الله ابن بكر بن سعد: فخذ .

وأما باسل بن ضبة فإنه خرج مغاضبا لابيه فوقع بأرض الديلم فتزوج امرأة من الديلم، فولدت له الديلم بن باسل: جد القبيلة المشهورة؛ ومن رجالها في الجاهلية: زيد الفوارس بن حُصَين، وفي الإسلام ابن شُبْرُمَة القـاضى . وأعقب من لديلم نخذان: الأبيض بن معاوية بن لديلم، وبُجَيْر بن معاوية بن لديلم . فأعقب لأبيض ابن معاوية من الضحاك ولار ونهريار وإيران ونشر: أولاد لأبيض بن معاوية ابن ديلم من بهرام بن الضحاك؛ وفيروز وزربوران وبريانوس: أربعة أفخاذ. وأعقب بَرْيانوس بن الضحاك من قابوس بن بريانوس . وأعقب قابوس من شه مرد . وأعقب لار بن الأبيض من كامياد بن لار . وأعقب كامياد من ابنه جور .

وأعقب بجير بن معاوية بن ديلم من باسل بن تيداذما، فأعقب تيداذما من داده.

فهذه النهاية في اختصار نسب الديلم، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأمّا عمرو بن أدّ بن طابخة فهو مُزَيْنة. ومزينة أمه: وهى بنت كلب بن وبَرة ابن ثعلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وكلّ مزنىّ ينسب إلى مزينة هذا . ومن مزينة: عثمان وأوس: ولدا عمرو؛ فمن عثمان بن عمرو بن أدّ بن طابخة بطنان: عدا ولاطم: ابنا عثمان . ومن مزينـة: النعمان بن مقرّن وزهير بن أبى سُلْمَى؛ وليس فى العرب سُلْمَى بالضمّ سواه، ورؤبة بن العجّاج . قال رسول الله

(١) وردت في بعض كتب الأنساب الدال مهملة وفي بعضها بالذال معجمة فتنبه .

صلى الله عليه وسلم ! "أسلَم وغِفَار ومزينة وجهينة (أو قال : مَن كان من جهينة) خيرٌ من بنى تميم وبنى عامر بن صعصعة ومن الحليفين أسد وغَطَفان" .

وأما عبد مناة بن أدّ بن طابخة فمنه ثورُ أطحل بن عبد مناة : بطن — رهط سفيان الثورىّ رحمه الله، (وأطحل جبل) ، وبنو الرباب : ولد تيم بن عبد مناة وعدىّ بن عبد مناة وعوف بن عبد مناة : سُمُّوا الرِّبَاب : لأنهم غمسوا أيديَهُم فى رُبٍّ إذ تحالفوا على بنى تميم .

قال : ومن النسّابين من يجعل الرباب بنى تيم وعدىّ وثور وعُكْل : وهم بنو عبد مناة وضبة بن أدّ .

فأما عدىّ بن عبد مناة، فإليه ينسب كلّ عدوىّ ليس من عدىّ قريش؛ ومنهم : أبو قَتادة العدوىّ : تابعىّ؛ وإلى عوف بن عبد مناة ينسب كلّ عوفىّ؛ ومنهم : عطيّة العوفىّ . قال : وشيخ الشرف النسابة يقول : إن عكلاً هو عوف بن وائل آبن قيس بن عوف بن عبد مناة، وعُكْل : أَمَةٌ لامرأةٍ من حمير يقال لها : بنتُ ذى اللِّحيَة، تزوّجها عوف بن وائل، فولدت له جشما وسعدا وعليّا، ثم هلكت، فحضنتْ عُكْلُ ولدَها فغلبت عليهم ونُسبوا اليها .

وأما تيم بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة ففخذه : عمرو بن الحارث بن التيم بن عبد مناة وفيه العدد .

انقضت خندف فلنرجع الى عمود النسب من الياس فى آبنه :

مُدرِكة بن الياس بن مضر

وآسمه عمرو، وأمّه خندف : وهى ليلى بنت حلوان القضاعيّة؛ وإنما سُمّى مدركة : لان أباه الياس خرج منتجعا ، ومعه أهله وماله، فدخلتْ بين إبله أرنب، فنفرت

الإبل ، فخرج أولاد الياس ، فأدركها عمرو ، فسماه أبوه الياسُ : مدركةَ ، وخرجتْ ليلَى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أمّه تهرول فقال لها الياس : مالك تخندفين؟ والخندفةُ : الهَرْوَلة ، فسمّيت خندف . وخرج عامر بن الياس أخو مدركة فى طلب الأرنب فاصطادها وطبخها ، فقال له أبوه الياس : أنتَ طابخة . ورأى عَمْرا أخاهما قد انقمع فى الظلّة فهو يخرج رأسه منه ، فقال له أبوه الياس : أنت قَمَعَة .

ومن مدركة غير عمود النسب : بنو هذيل بن مدركة . ومن هذيل : بطنان لصلبه : بنو لِحيان وسعد ، ومن قبائل سعد بن هذيل : بنو خُنَاعة بن سعد ، وبنو صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، منهم : عبد الله بن مسعود ابن غافل بن حبيب بن شَمْخ بن قار بن مخزوم بن صاهلة الصحابىّ : أحد القرّاء رضى الله عنه . ومن شعراء هذيل : أبو ذؤيب الهذلىّ وأبو كبير وأبو المثلّم وغيرهم .

(١٢٥)

وعمود النسب من مدركة فى ابنه خزيمة بن مدركة . وأمّه سلمى بنت أسلم القضاعية ، ومنه غير كنانة عمود النسب قبيلتان : وهما الهون وأسد . فأمّا الهون ابن خزيمة ، فأعقب من عَضَل والدِّيش ابنى بليغ بن الهون . وهم القارَة : سُمّوا قارة : لأن يَعْمَر بن عوف بن الشدّاخ أحد بنى ليث لما أراد أن يفرّقهم فى بطون كنانة ، قال رجل منهم : دعونا قارة لا تنفرونا فنجفل مثل إجفال الظليم فسمّوا قارة : وهم رماة العرب وفيهم قيل "قد أنصفَ القارَةَ من رَامَاها" وسبب هذا المثل أن رجلين التقيا ، أحدهما من القارة ، فقال القارىّ للآخر : إن شئتَ صارعتُك . وإن شئتَ سابقتُك ، وإن شئتَ راميتُك ، فقال خصمُه : قد اخترتُ المرماةَ . فقال القارىّ :

قد أنصف القارةَ من راماها * إنا إذا ما فئــةٌ نلقــاها

* نردّ أولاها على أخراها *

ثم آنتزع له سهما فسلّ فؤاده؛ وقيل غير ذلك .

ومن أسَد بن خزيمة أربع عشائر : بنو كاهل وصعب وعمرو ودودان : بنى أسَد .

فمن دودان : بنو عمرو بن دودان : قبيلة : وهم وجوه بنى أســد ؛ منهم : زينب ٥
بنت جحش بن رئاب بن يَعْمَر بن صبرة بن مرّة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن
خزيمة؛ زوّجت النبيّ صلى الله عليه وسلم : وهى بنت عمّته أميمة بنت عبد المطلب .
وبنو سعد بن الحارث بن ثعلبة بن دودان : قبيلة . من شعرائهم : بشر بن أبى خازم
الوالبيّ الجاهليّ . وبنو قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دودان : قبيلة، منهم : فخذ بنى
نصر بن قعين، ومنهم بنو فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة ١٠
آبن دودان : قبيلة . وبنو أعيا بن طريف : قبيلة، وبنو قيس بن طريف : قبيلة،
وبنو كعب بن عمرو بن قعين : قبيلة ، وبنو سُواءة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن
دودان : فخذ، وبنو ناشرة بن نصر بن سواءة بن سعد بن مالك بن تعلبة بن دودان .

وعمود النسب من خزيمة بن مدركة فى آبنه كنانة بن خزيمة، وأمّه عوانة بنت سعد
القيسية . وبنو كنانة أوّلُ عربٍ نلقَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى نسبه . ١٥

ومن بنى كنانة غير عمود النسب وهو النضر : خمس قبائل لصلبه : بنو عبد مناة
وعمرو وعامر وملكان ومالك منهم : بنو حداد بن مالك بن كنانة : فخذ .

فأما عبــد مناة بن كنانة، فمنهم : بنو بكر وبنو عامر وبنو مرة : بنى عبد مناة،
ومن بنى بكر بن عبد مناة : بنو الدُّئِل بن بكر بن عبد مناة : رهط أبى الأسود الدؤلىّ :

وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن حلس بن نفاثة بن عدىّ بن الديل بن بكر المذكور : وهو تلميذ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى النحو ، ويقال فى النسبة إلى هذا الفخذ : دؤلى مهموز مفتوح .

ومن بنى بكر : بنو الحارث بن بكر : فخذ، وبنو ليث بن بكر : فخذ، منهم : بنو حدج بن ليث بن بكر فخذ، وبنو ضَمْرة بن بكر : فخذ ، منهم : بنو غِفار بن مُلَيْل بن ضمرة بن بكر : رهط أبى ذرّ الغِفارىّ : وهو جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مايل بن صُعَيْر بن حرام بن غفار، وقد آنقرض أبو ذرّ الغفارىّ رضى الله عنه .

وأما عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فمنه : قَيْن بن عامر : قبيلة أهل لُغُمَيْصاء ، قتلهم خالد بن الوليد رضى الله عنه .

وأما مرّة بن عبد مناة بن كنانة، فمنه : بنو مُدْلج بن مرّة : قبيلة سرقة بن مالك آبن جعشم وهم المدلجيّون، قالوا : وهم قافة العرب وأعلمهم بالزجر والقيافة .

وأما عمرو بن كنانة، فهم العَمْريّون . وأما عامر بن كنانة، فهم العامريّون، ومن ملكان بن كنانة فهم الملكانيّون، وأما مالك بن كنانة فمنه بنو حارث، ومن حارث فى ثعلبة ، ومن ثعلبة فى فخذين : بنو عامر وبنو غنم . أما غنم فمنه : فِراس بن غنم : وهم الفراسيّون ، ومن بنى غنم : أمّ رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتّاب بن أُذَينة بن سبيع بن دهمان بن حارث بن غنم : وهى أم عائشة بنت أبى بكر الصدّيق رضى الله عنها زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم .

ومن عامر عشيرتان : بنو مُخْدَج بن عامر بن ثعلبة المُخْدَجيّون ، وبنو فُقَيْم بن عدىّ بن عامر النسأة . فهؤلاء أفخاذ كنانة، والله أعلم .

وعمود النسب من كنانة بن خزيمة فى آبنه النَّضْر بن كنانة، وآسمه قيس، وأمّه برّة بنت مرّ الأدّية، والنضر : الذهب؛ وكان له : يخلُد[1] بن النضر، منـه : بدر بن الحارث بن يخلد الذى سُمّيت به بدرٌ بَدْرا . قال : وليس له ولد باق .

والعقب من النضر بن كنانة فى آبنه عمود النسب وهو :

مالك بن النضر

وأمه عِكْرِشة بنت عَدْوان القيسيّة ، ولا عقب لمالك إلا من عمود النسب وهو آبنه :

فِهر بن مالك

وهو قريش ، وأمّه جَنـدلة بنت عامر الجرهميّة ، وكلّ من لم يلده فهرٌ فليس بقرشيّ . وقد قيـل فى تسميته بقريش أقوال : منها أنه آسم دابّة فى البحر، وأنه آسم للقبيلة، وأحسن ما قيل فيه : إن التقريش : التفتيش، فكان يقرش عن خَلّة كلّ ذى خَلّة فيسدّها بفضله : فمن كان محتاجا أغناه، ومن كان عاريا كساه، ومن كان طريدا آواه، ومن كان خائفا حماه، ومن كان ضالا هداه . قال الحارث بن حِلِّزة اليشكرىّ عفا الله تعالى عنه :

أيهـا الناطق المقرّش عنـا * عند عمرو، وهل لذاك بقاء؟

وقيل : التقرّش : التجمّع ، وسُميت قريش لتجمّعها ، فإنها لما تجمّعت بمكّةَ و جمعتْ خصائل الخير سُمّيت قريشا، وتُسَمّى أيضا الحُمْس من الحماسة؛ وذلك أنها تحمّست فى دينها فقالت : لا نطوف بالبيت عراةً ، ولا تسلأ نساؤنا سمْناً ، ولا تغزل وبَرا ، ولا نخرج إلى عرفات ، ولا نزايل حرمنا ، ولا نعظّم غيره ، ولا نطوف بين الصفا والمَرْوة .

(١) كذا بالاصل ووردت فى مكان آخر منه "مخلد" .

وكانوا يقفون بالمزدلفة ومن سواهم من العرب يقال لهم: الحِلّة: كانوا يطوفون بالبيت عراةً ويقولون: نكرم البيت أن نطوف فيه بثيابنا التى اجترحنا فيها الآثامَ .

قال: ومن بنى فهر غير غالب عمود النسب: بنو الحارث بن فهر وبنو محارب ابن فهر . فمن بنى الحارث بن فهر: قيس بن الخُلُج[1] بن الحارث . ويقال: الخلج بلاد قيس، سمّوا بذلك: لأنهم نزلوا الخلج بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام . منهم آل هَرْمة الشاعر: وهو هرمةُ بن الهذيل بن ربيع بن عامر ابن صبح بن عدىّ بن قيس .

ومن بنى الحارث بن فهر: أبو عبيدة أمين هذه الأمة: وهو عامر بن عبد الله ابن الجرّاح بن هلال بن أُهَيب بن الحارث بن فهر، لا عقب له .

ومن بنى محارب بن فهر: ضِرَار بن الخطّاب بن مرداس بن كثير بن حبيب بن شيبان بن محارب بن فهر وهو القائل:

ونحن بنو الحرب العَوان نشبّها وبالحرب سُمّينا فنحن محارِبْ

وعمود النسب من فهر بن مالك فى ابنه غالب بن فهر وأمه ليلى بنت الحارث الهذلية . منه فخذ واحد غير عمود النسب، وهم "الأدْرَميون": ولد تيم بن غالب، والأدرم: الناقص الذقن، وهم قليل وقد بدوا فى العرب ولادات . وعمود النسب من غالب بن فهر فى ابنه لؤى بن غالب . وأمه عاتكة بنت مَخلد الكنانية النضرية . وقيل بل هى سلمى بنت عمرو الخزاعية . ولؤى تصغير اللأى وهو ثور الوحش مهموز . وقال أبو حنيفة: اللأى البقرة . وقيل لؤىّ تصغير لأْي وهو البطء: نقيض العجلة .

(١) وردت فى القاموس بضمتين وفى كتب المعارف لابن قتيبة بتسكين اللام .

وأنشد أبو أسامة :

فدونكُمُ بنى لأيٍ أخاكم ، ودونكِ مالكا يا أمَّ عمرِو

وقال آبن دريد : هو مشتقّ من لِوَاء الجيش وهو مهموز ، وإن كان من لِوَى الرمل فهو مقصور، قال آمرؤ القيس :

* بسَقْطِ اللِّوَى بين الدَّخولِ فحَوْمَلِ * ٥

واللوى : آعوجاجٌ فى ظهر الفرس . قال : ومن قبائل بنى لؤى غير كعب عمود النسب : بنو عامر وبنو أسامة وبنو خزيمة : وهم عائذة قريش وسعد، وإليه ينسب بنو نُباتة بفتح النون وضمها : وهى أمّ سعد بن لؤىّ؛ بها يعرفون، وإليها ينسبون، وقيل: نُسبوا إلى حاضنةٍ لهم آسمها نباتة من بنى القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله؛ ويقال: سبع الله آبن الأسد بن وَبَرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة . والحارث بن لؤىّ، ١٠ وعوف وجشم : أولاد لؤىّ .

فأما عامر بن لؤىّ، فمنهم آبن أمّ مكتوم الأعمى الذى نزل فيه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ وهو مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة؛ وآسمه عمرو بن قيس بن زائدة آبن الأصمّ بن رواحة بن حجر بن عبد بن مُعَيْص بن عامر بن لؤىّ؛ ومنهم عمرو آبن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسْل بن عامر، الذى قتله علىّ بن أبى طالب ١٥ يوم الخندق .

وأما بنو أسامة بن لؤىّ، فيزعم من نسب بنى ناجية إلى قريش أنهم يلقون بنى لؤىّ عند أسامة بن لؤىّ، وقد كان علىّ بن أبى طالب سباهم حين أقاموا على النصرانية ثم باعهم فيمن يريد، فاشتراهم مَصْقَلة بن هُبَيْرة الشيبانىّ بمائة ألف درهم، فقدّم منها

ثلاثين ألفا وأعتقهم، فأنفذ علىّ عتقهم، وهرب مصقلة ببقيّة المال إلى معاوية .
وقد قيل عن علىّ إنه قال : ماأعقب عمّى سامة بن لؤىّ .

وأما خزيمة بن لؤىّ، فإليه يُنسب القوم الذين يزعمون أنهم عائذة قريش . قال:
وشيخ الشرف بن أبى جعفر النسابة يدفعهم عن النسب، وهم قوم تكثر بهم معوية
٥ فأدخلهم فى قريش، وعائذة هى ابنة الخِمس بن قُحافة بن خثعم، بها يُعرَفون: وهم
بنو الحارث بن مالك بن عُبَيد بن خزيمة بن لؤىّ، وعائذة أم الحارث هذا، ويقال:
الحارث بن مالك بن عوف بن حرب بن خزيمة بن لؤى. وهم بمالك خمس أفخاذ
من عوف : بنو جذيمة، وبنو عامر، وبنو سلامة ، وبنو معوية : أولاد عوف.
وعائذة مع بنى مُحَلِّم بن ذهل بن شيبان ، يديتهم مع يديتهم ، وحاضرتهم مع
١٠ حاضرتهم يد واحدة .

فانرجع إلى عمود النسب، وهو من لؤىّ بن غالب فى ابنه :

كعب بن لؤىّ بن غالب

وأمّه مارِيَة بنت كعب القضاعيّة . ومنه غير مُرّة عمود النسب وهم بطنان :
بنو عدىّ وبنو هُصَيْص، فأما بنو عدىّ ، فمنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابن
١٥ نُفَيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدىّ بن كعب .
وسعيد بن زيد بن نفيل المذكور أحد العشرة . ومن بنى عدىّ : عبد الله بن مُطيع
ابن الأسود بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عُوَيج بفتح العين وضمها ، بن عدىّ بن كعب .
وهو وأبوه من الصحابة ، وهو الذى أمره أهل المدينة حين أخرجوا بنى أميّة منها
فى وقعة الحرّة .

وأما بنو هُصَيْص بن كعب فمنــه فخذان : بنو جُمَح وبنو سهم : آبنى عمرو بن هصيص .

فأما بنو سهم : فمنهم عمرو بن العــاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص .

وأما بنو جمح ، فمنهم عثمان بن مظعون بن حُبَيْب بن وهب بن حُذافة بن جمح : هاجر الهجرتين وشهد بدْرًا . ومنهم صفوان بن أميّة بن خلف بن وهب بن حذافة المذكور، كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! "أبا وهب". ومنهم أبو محذورة : أوس بن مَعين آبن لوذان بن سعد بن جمح ، مؤذن المسجد الحرام لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويرجع إلى عمود النسب وهو كعب بن لؤى فى آبنه :

مرّة بن كعب

وأمه وحشيّة بنت شيبان الفهرية . ومنه غير كلاب الذى هو عمود النسب : بطنان وهمــا : بنو تَيْم ، منهم أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ويكنى بعتيق ، آبن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سـعد بن تيم بن مرة : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنيسه فى الغار بنصّ القرءان بقوله تعالى ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ فشهد له القرءان بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسـلم وناهيك بذلك شرفا ، وصهره ، وخليفته صلى الله عليه وسلم و رضى عن أبى بكر وأرضاه .

ومن بنى تيم : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم أحد العشرة ، و بنو يَقَظَة بن مرّة ، منهم : ام سلمة الصادقة : زوج النبى صلى الله عليه وسلم ،

وهى بنت أبى أميّــة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرّة .
وخالد بن الوليــد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم الملقّب بسيف الله .
قال وقد آنقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد شرقا ولا غربا . وإن آنتمى
إليهم أحد فهو مبطل فى آنتمائه، وكلّ من آدّعى إليه، فقد كذب . قال الشريف :
٥ وكان شيخنا الفقيه مجلّى بن جميع بن نجـاء الشافعىّ قاضى مصر يدعى إليه . وهو على
كتبه بخطه وشافهنا به ولا صحّة لذلك .

وعمود النسب من مرّة بن كعب فى آبنه :

كلاب بن مرة بن كعب

وأمّه هند بنت بَهْز بن حكيم . وقيل عُروة . ومنه غير قصىّ عمود النسب :
١٠ بطن واحد: وهم زهرة بن كلاب؛ منهم: السيّدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف،
آبن زهرة: أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبد الرحمن بن عوف بن الحرث
آبن زهرة : أحد العشرة، وسعد بن أبى وَقّاص .

ويرجع عمود النسب منه فى آبنه قصىّ بن كلاب بن مرّة .

وأمّه فاطمة بنت سَيْل الأزديّة ، وآسمه زيد، ويُدْعَى مجمِّعا : جمعه أمر قريش
١٥ بالرحلتين وأوّل من جمع يوم الجمعة . وقيل : إنما سُمّى قصىٌّ "مجمِّعا" : لأنه لما
أخرج خزاعة من مكة ورأى أنه من صريح ولد إسماعيل عليـه السلام . وأنه أحقّ
من خزاعة بالبيت الحرام، وبَنَى دار الندوة، وجعل بابها إلى البيت الحرام . وتجمّعت
قريش بمكة، فســمى بذلك "مجمِّعا" . لأنه جمعهم ولم يجعل معهم غيرهم . وكان
يجمعهم فى دار الندوة .

وأما الرحلتان، فأوّل من سنّهما هاشم : فكان يرحل فى الشتاء إلى اليمن و إلى الحبشة إلى النجاشىّ فيكرمه، و يرحل فى الصيف إلى الشام إلى غزّة ، و بها مات؛ و ربما وصل إلى أنقرة ويدخل على قيصر فيكرمه . وقد قال ٱبن الزِّبَعْرَى :

عمرو العلا هشمَ الثريدَ لقومه * ورجالُ مكّةَ مسنتون عجافُ
سُنّت إليه الرحلتان كلاهما : * سفرُ الشتاء ورحلة الأصيافِ (١)

وأما أوّل من جمع يوم الجمعة فهو كعب بن لؤىّ، وكان يُسمَّى : يومَ العَروبة؛ فكان يجمعهم و يعظهم ويحثّهم على ٱتبـاع نبىّ من صلبه .

و إنما سُمِّىَ قصيًّا : لأن أمّه فاطمة بنت سعد بن سيل لمـا تقصّت به مع زوجها ربيعة بن جذام القضاعىّ، فأحملها إلى بلاده من أرض عُذْرة من بلاد الشام سُمِّىَ بذلك . قال: ومنه غير عمود النسب وهو عبد مناف بطنان : بنو أسد بن عبد العُزّى ٱبن قصىّ ، وبنو عبد الدار بن قصىّ .

فأما بنو أسد، فمنهم خديجة بنت خويلد بن أسد : زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ ومنهم : الزُّبير بن العوّام بن خويلد بن أسد أحد العشرة وحوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما بنو عبد الدار بن قصىّ ، فمنهم الحَجَبَة ، فيهم : بنو شَيْبة بن عثمان بن أبى طَلْحة عبد الله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار . وفى بنى عبد الدار : هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . قال : وهى مسألة فى النسب يُمتَحَنُ بهـا من يدّعى علم النسب : يقال له : من يعلم فى بنى قصىّ جدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هاشم بن عبد مناف غير هاشم بن عبد مناف بن قصىّ ؟

نرجع إلى عمود النسب من قصىّ بن كلاب فى ٱبنه :

(١) يلاحظ القارئ أن قافيتى البيتين غير متجانستين والعرب يفعلون ذلك فى أشعارهم ، ويسمى "الإقواء" وهو ٱختلاف إعراب القوافى .

عبد مناف بن قصيّ

(١٢٩) وأمّه حُبّى بنت حُلَيل الخزاعيّة . وآسمه المغيرة والقمر . ومنـه غير هاشم عمود النسب ثلاث بطون : بنو المطّلب : وهو العِيص، وبنو عبد شمس وبنو نوفل: أولاد عبد مناف . فمن بنى عبد شمس: أميّة الأصغر، يقال لولده: العَبَلات : لأن أمّ أميّة هذا عَبْلَة بنت عبيد من البراجم بن تميم، وبنو أميّة الأكبر بن عبد شمس، منهم : ذو النورين : عثمان بن عفّان بن العاص بن أميّة بن عبد شمس أحد العشرة وزوج آبنتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ورضى عنه . ومن بنى عبد شمس : أبو العـاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يُثنى عليه فى صهارته خيرا . ومن بنى عبد المطّلب بن عبد مناف : رهطُ بن عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب البدرىّ، آنقرض، وشافع آبن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشم بن المطّلب جدّ الشافعىّ رضى الله عنه: وهو محمد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع . ومن بنى نوفل: جُبَيْر بن مُطْعِم آبن عدىّ بن نوفل ، وكان ممّن قام فى أمر الصحيفة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكر له ذلك، وهم يدٌ مع بنى أميّة .

وعمود النسب من عبد مناف فى آبنه هاشم بن عبد مناف . وأمّه عاتكة بنت مُرّة السلميّة، وآسمه عمرو العُلَا، وسُمّى هاشما لكرمه وهشمه الثريدَ فى جدب مبتدئ بذلك، آنقرض جميع ولده من الذكور إلا عمود النسب عبد المطّلب. وكان له أسد آبن هاشم، منه : فاطمة بنت أسد أمّ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، وهى أوّل هاشميّة تزوجت هاشميا فولدت له، وآنقرض أسد إلا منها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هى أمّى بعد أمّى . والعقب من هاشم فى آبنه :

عبد المطّلب بن هاشم

وأمه سَلْمى بنت زيد النجّارية : وهو شَيْبة الحمد ، أعقب من غير عبد الله عمود النسب من بنى أبى طالب عبد مناف بن عبد المطّلب والعباس بن عبد المطّلب والحارث بن عبد المطّلب وأبا لهب بن عبد المطّلب وهو عبد العزّى .

فأما بنو أبى طالب فهم ثلاث بطون : بنو علىّ بن أبى طالب بن عبد المطّلب : وهم العلويّون ، وبنو جعفر الطيّار : وهم الجعفريّون ، وبنو عَقِيل بن أبى طالب : وهم العَقيليّون .

فالعلويّون خمس أفخاذ : بنو الحسن بن علىّ ، وبنو الحسين بن علىّ ، وبنو محمّد ابن الحنفيّة : وهم المحمّديون ، وبنو العباس السقّاء بن علىّ : سمّى بذلك لأنه كان قد سقى أخاه الحسينَ الماءَ بالقربة فى الطَّفّ ، وبنو عمر الأطراف بن علىّ . وفى كلّ فخذ منهم عدّة عشائر .

وأما الجعفريّون فثلاث أفخاذ : بنو علىّ بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وهم الزينبيّون ، لأن أمّ علىّ هذا زينبُ بنت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت علىّ رضى الله عنه ، وبنو إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وبنو إسحاق العِرْضىّ بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . والعرْض : موضع بالمدينة . وفى كلّ فخذ عدّة عشائر .

وأما العَقيليّون ، ففخذان : بنو محمّد ومسلم : ابنى عبد الله الأحول بن محمد بن عقيل بن أبى طالب : فهؤلاء بطون بنى طالب .

وأما العباسيّون ، فبطنان : بنو عبد الله الحَبْر ومَعْبَد : ابنى العبّاس بن عبد المطلب ،

فأما عبدالله، فمنه ثمانى أفخاذ: بنو عبدالله وانقرض، وبنو عيسى، وبنو عبد الصمد، وبنو داود، وبنو إسماعيل، وبنو صالح : صاحب الشام، وبنو سليمان : صاحب البصرة، وبنو محمد الكامل: جدّ الخلفاء أولاد علىّ السجّاد بن عبد الله بن العبّاس.

وأما مَعْبد، فمنه فخذان : بنو داود ومحمد : ٱبنى ابراهيم بن عبد الله بن معبد بن العبّاس : فهؤلاء بنو العباس بن عبد المطّلب .

وأما الحارث بن عبد المطّلب، فمنه ثلاث أفخاذ : وهم الحارثيّون : بنو ربيعة، وبنو نوفل، وبنو أبى سفيان: أولاد الحارث بن عبد المطلب: فهؤلاء بنو الحارث.

وأما أبو لهب عبد العزى، فمنه فخذان : بنو عُتْبة وبنو مُعَتّب: ولدىْ أبى لهب. وعمود النسب الشريف فى عبدالله بن عبدالمطّلب، وأمّه آمنة بنت عمرو المخزوميّة، ولا عقب لعبدالله بن عبد المطّلب إلّا من سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محمد النبيّ العربيّ، ٱبن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصىّ ٱبن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (وٱسمه قيس) ٱبن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ٱبن أدّ بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ٱبن تارح: وهو آزر بن ناحور ٱبن ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر : وهو هود النبيّ عليه السلام، وهو جماع قيس ويمن ونزار وخندف بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ٱبن لَمَك بن مَتُوشَلَخ(١) بن أخنوخ : وهو إدريس النبيّ عليه السلام ٱبن يَارَدَ بن مَهْلَائِيل(٢)

(١) فى التوراة : مَتُوشَالَح .

(٢) فى التوراة : مهللئيل .

آبن قَيْنان بن أَنُوش بن هبة الله شيث بن أبى البشر آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر أنبياء الله تعالى أجمعين .

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضحى * نورًا ومن فلَق الصباح عَمودا

وروى عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لمـا خلق الله تعالى آدم، أهبطنى فى صلبه إلى الأرض، وحملنى فى صلب نوح فى السفينة، وقذف بى فى النّار فى صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلنى من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجنى من بين أبوين لم يلتقيا على سِفاحٍ قطّ".

والى هذا أشار العبّاس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه بقوله حيث يقول :

مِنْ قبلها طِبتَ فى الجنانِ، وفى * مستودَعٍ، حيث يُخصفُ الورقُ

ثم هبطتَ البلادَ، لا بشرٌ * أنتَ، ولا مُضْغةٌ، ولا عَلَق

بل نطفةٌ، تركبُ السفينَ وقد * ألجم نسرًا وأهلَه، الغرَقُ

تُنقَلُ من صالبٍ إلى رحِم * إذا مضَى عالَمٌ بدا طَبَقُ

اللّهم صلّ على أسعد الخلق سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم أفضلَ صلواتِك وسلامك عددَ خَلْقك، وأَجْرِ لطفَك فى أمورنا فى الدنيا والآخرة، حسبُنا الله ونعم الوكيل !

كمل الجزء الثانى

من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب،

يتلوه إن شاء الله تعالى فى أوّل الجزء الثالث : "القسم الثانى من الفن الثانى فى الأمثال"

وحسبنا الله ونعم الوكيل

وصلّى الله وسلّم على أشرف الخلق أجمعين

(مطبعة دار الكتب المصرية ٢٠/١٩٢٣/٢٠٠٠)